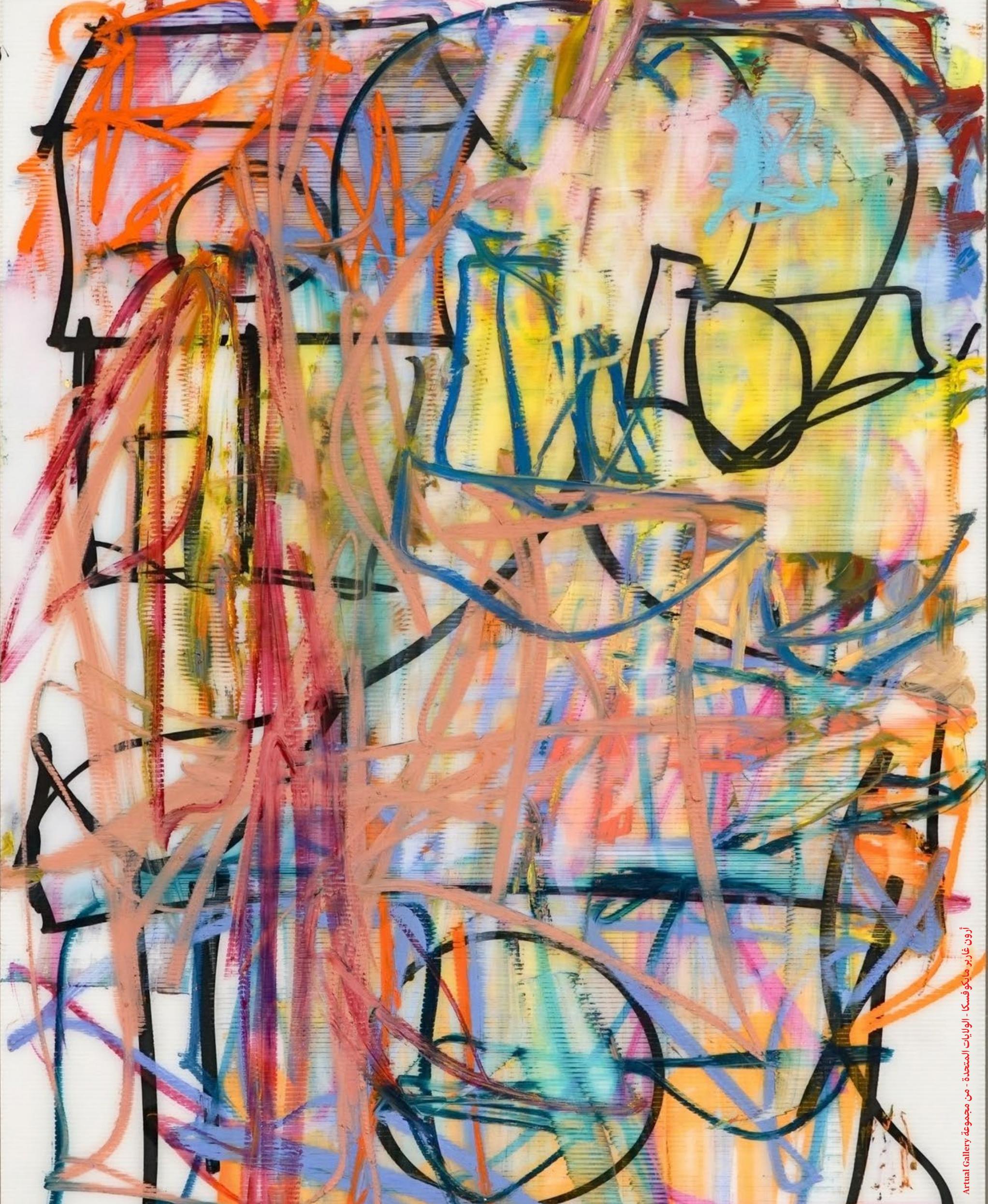
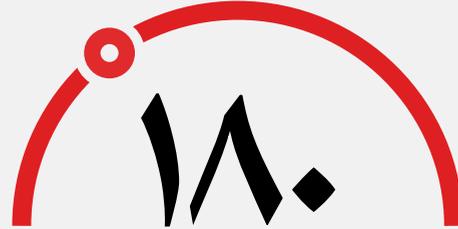


مجلة عربية شهرية تصدر من بيروت (امتياز الجهاد) | العددان الرابع والخامس | كانون الثاني - يناير 2020 | 180post.com



إتجاهات . حروب . تسويات
شخصيات . تحولات . انتفاضات





الوطن العربي بين الانتفاضة والانقلابات

طلال سلمان

180post.com

١٨٠ مجلة سياسية إقتصادية عربية، تصدر شهرياً بإمتهان "الجهاد" لصاحبه طلال سلمان

هيئة تحرير مجلة وموقع ١٨٠: أمين قمرية، سامي كليب، حسين أيوب، وسام متى وعلي شهاب

المدير المسؤول: حسين أيوب

إخراج: حسين ناصر الدين

الغلاف: لوحات للفنان الأميركي جاسبر جونز

العنوان: الحمرا، نزلة عبد العزيز، شارع الست نسب، بناية المباني، ط 8

هاتف: +961 1 747974

البريد الإلكتروني: 180majalla@gmail.com

هذه الانتفاضة التي جاءت لتزعجهم من حيث لا يتوقعون. من أجل مزيد من الفهم، تتبدى وحدة الموقف العربي من الانتفاضات العديدة التي شهدتها أقطار عربية مختلفة، من بينها تونس (قبل حين) ثم الجزائر التي استمرت الانتفاضة الشعبية ومسارات رفض نظام عبد العزيز بوتفليقة الذي اسقطه نظامه ليتولى الجيش السلطة.

وبرغم بقاء الشعب الجزائري لمدة سبعة شهور في الشارع رافضاً "حكم العسكر"، فقد نجح العسكر في تنظيم انتخابات رئاسية فاز فيها المرشح عبد المجيد تبون وتوالت تهاني الأنظمة الملكية والأميرية مباركة للرئيس الجديد انتصاره بالإرادة الشعبية.

بالمقابل، فان الشعب السوداني قد بقي في الشارع شهوياً منادياً بخلع الدكتاتور حسن البشير الذي واجه الانتفاضة بالرصاص، فأسقط عشرات القتلى ومئات الجرحى، ثم عقد نوعاً من التحالف بين بعض كبار ضباط الجيش وبين جماهير الشعب الثائر، وتم خلع البشير ومحاكمته وسجنه.

... ولقد سارعت بعض دول الخليج الى محاولة شراء "الحكم الجديد" عن طريق الإدعاء بأنها إنما تقصد مساعدته لتخطي الأزمة الاقتصادية الحادة التي يعيشها شعب السودان!. (كأن هذه الأزمة الخانقة وليدة اليوم) وكأن دول النفط والغاز لم تتفضل على البشير بالفضلات! إننا نعيش مرحلة جديدة من تاريخ الوطن العربي.. ومؤكد أن الهيمنة الأميركية لن تتقبل هذه الانتفاضات، وستحاول شراءها أو ضربها بالطائفية أو بما هو أخطر: الدولار.

... من غير أن ننسى العدو الإسرائيلي الذي تريد الولايات المتحدة تنصيبه في موقع الأمر النهائي على هذه الأمة بمختلف دولها، عبر استغلال ضعف هذه الدول وغربة معظمها عن شعوبها.

خافت الأنظمة العربية جميعاً من هذه الانتفاضة الرائعة والشاملة مختلف أنحاء الوطن الصغير: لبنان! وبدلاً من أن تهب لمساعدة النظام الذي عجز عن تلبية مطالب الانتفاضة لأسباب تتصل بطبيعة تكوينه، رأيناها تتجاهل "الانتفاضة" التي تخيفها، ولذا، تعامل النظام مع الجانب الأمني منها، وكفى الله الملوك وأولياء العهود شر الثورة.

وحدها قطر شذت عن الإجماع الخليجي و"وعدت" بتقديم مساعدات، لكن ليس أسهل من تبخر الوعود، خصوصاً وأن وعداً سابقاً من أمير هذه الدولة الغنية بالهواء من ذهب (الغاز) سبق له أن أعلن - قبل سنتين - قرار مساعدة لبنان بقرض قيمته مليار دولار، لكن ما وصل الى بيروت هو نصف مليون دولار كقرض واجب السداد خلال خمس سنوات.

مفهوم أن هذه "الدول" و"الدويلات" معادية، بطبيعة تكوينها، للثورات والانتفاضة، ولكنها كثيراً ما اعتمدت المزايدة على السعودية وسائر دول الخليج، فبادرت الى تقديم "مساعدات" إلى بعض الدول الأفريقية في محاولة لشراء موقع لنفوذها فيها، لا سيما حيث كانت تتق بالتقارير التي تؤكد غنى أرض تلك البلاد بالبتروال والغاز، ويمكن اقتحامها بالمساعدات.. ودائماً بالتنسيق مع الولايات المتحدة والعدو الاسرائيلي.

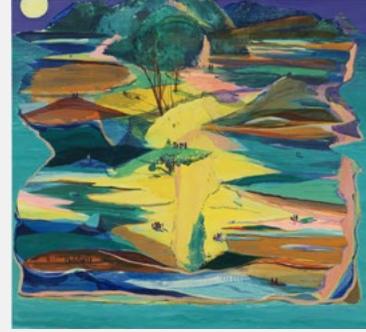
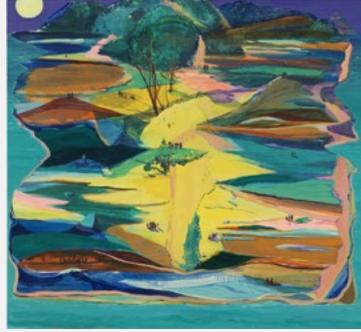
بالمقابل، تولى الاعلام الخليجي، المتلفز والمكتوب، محاولة تشويه الانتفاضة عبر دمغها بالطائفية ليسهل التحريض على جمهور المشاركين فيها الذين وصفوا بالشيوعيين تارة وبالمتطرفين من السنة الذين انتفضوا ضد "هيمنة حزب الله على السلطة في لبنان".

ومع أن الشعب العربي في أقطار عربية عديدة لم يخف تضامنه وتعاطفه القوي مع الانتفاضة في لبنان، إلا أن أهل النظام العربي عموماً كانوا يقفون صفاً واحداً ضد

السعر: خمسة آلاف ليرة لبنانية أو ما يعادلها الإشتراك للأفراد والمؤسسات: 100 دولار أميركي حقوق الطبع والنشر محفوظة

فهرس

آفاق ٢٠٢٠



٢٠

٢٠٢٠ عام إسرائيلي سيء
حلمي موسى

١٩

يحيى السنوار
صقر أبو فخر

١٨

التحديات الفلسطينية المتجددة
صقر أبو فخر

١٥

داعش ما بعد البغدادي
عبد الله سليمان علي

٢٦

عباس كامل
رجل «ما بعد الدولة»

٢٥

مايكل داندريا:
أمير الظلام

٢٤

داخل عقل كوهين
علي شهاب

٢٢

إيران والولايات المتحدة
استحالة التطبيع
أحمد الدرزي

٣٨

دائرة بوتين
وسام متي

٣٠

راشد الغنوشي عجوز تونس الأخير
صالح حداد

٢٩

مغرب ٢٠٢٠ وأسئلة التنمية
عبد الفتاح نقوم

٢٨

حرب اليمن في سنتها الخامسة
أحمد كامل محمد

٤٨

آسيا الوسطى «بلقان جديد»
أمين قمورية

٤٤

أمن روسيا ٠٠ عالم ٢٠٣٥
نيكولاي باتروشفيف

٤٢

الشرق الأوسط رهينة الإستقطاب
إسلام أبو العز

٤٠

إفيرا نابوليونا
وسام متي

٥٨

القوة الأميركية في أفق ٢٠٢٥
متي سكرية

٥٤

أوروبا: لماذا انتصر اليمين
ضيف حمزة ضيف

٥٢

رن تشنغ فاي
وسام متي

٥٠

الصين وتحديات ٢٠٢٠
عبد الرحيم عاصي

٣٢

من الذاكرة:
فلاديمير بوتين
فؤاد خشيش

١٢

إيران تخرج من سوريا ٠٠
لكنها باقية استراتيجياً
سامي كليب

٨

حماية المسيحيين بالدولة وبالذور
حسين أيوب

٦

لبنان ليس وحيداً ٠٠ لكنه دون عكازات
نصري الصايغ

٧٢

الفنون جنون
زاهي وهبة

٦٩

بدايات التخطيط السياسي
والعسكري للثورة الفلسطينية
إميل نعمة خوري

٦٤

صفحات من كتاب «الجورنالجي»
و «كاتم الأسرار»

٦٢

نظام عالمي يحافظ على
نفسه بكل الوسائل
بيري أندرسون

تعالوا إلى لبنان . . سوق كبيرة للفساد والإستهلاك

الفضل شلق

أنت فاسد. يصنعك النظام كذلك. أنت طائفي يجعلك النظام كذلك. أنا وأنت أبناء الحياة، أبناء النظام. النظام هو الحياة. لا بد من العيش تحت مظلة النظام بشروطه. وهذا مهم. كي نبقي على قيد الحياة.

ليس منا من لا يعمل، حبًا بالعمل أو تحت وطأة الضرورة. قليلون منا من يحبون عملهم. لكن الحصول على عمل هو ضرورة. حتى إن أعانك كيش الطائفة أو زعيم المحلة على إيجاد فرصة عمل؛ حتى لو كنت خريجًا جامعيًا؛ فأنت تعيش في خوف دائم وعدم استقرار نتيجة الخوف من إمكانية فقدان الوظيفة التي تدر كسبًا دوريًا، مهما قل أو كثر.

هناك جيش من العاطلين عن العمل جاهزون للحلول مكانك براتب أدنى. أنت مهدد دائمًا. لا يدور في خلدك إلا "دبر راسك". الاستنزاف لصاحب العمل أحد الوسائل لذلك. الطريق الأسلم على المدى الطويل، هو أن تكتنز بعض المال. لا تستطيع أن تدخر من راتبك المتدني. تلجأ إلى السرقة، المشروعة أو غير المشروعة؛ سرقة زبائن رب العمل أو سرقة رب العمل نفسه. أنت لم تولد سارقًا مرتشياً. يدفعك النظام الاجتماعي - السياسي إلى ذلك. تقبل بفضل ظروفك الاقتصادية. إذا لم تفعل ذلك، إذا لم تستجب للنظام، تعتبر غشيمًا. عليك أن تتحرك داخل النظام، بشروطه هو كي تبقى على قيد الحياة.

نظام كامل من النهب

ليس المرتشون الصغار هم المشكلة الأساسية. هي في الراشيين الكبار، المقاولين وأولياء الدولة الذين يتعاملون معهم من تحت الطاولة ومن فوق رؤوس الناس. على أساس أن رؤوس الناس الغلابي مدفونة في الأسفل. صفقات كبيرة لتبادل المنافع بين المسيطرين على الدولة وبين من يستفيد من أشغال الدولة. الفريقان يتقاسمان السمسرة. هو نظام السمسرة. لا يكفي السماسرة الكبار من السياسيين مما يجنوه في الداخل. يهزبون إلى الخارج معظم أموالهم. يجرمون البلد من موارد هائلة. نهب البلد مع إفقاره يسلب موارده وتهريبها إلى النصب والاحتيال في مرافق الحدود (جمرك، مطار، معابر برية)، الطبقة السياسية تسرق وتحكم وتحتمي بطوائفها. كم مرة سمعنا الرئيس الديني لطائفة يدافع عن قداسة أحدهم وهو يعرف أنه سارق نهاب. خطوط حمر يضعها رجال الدين الكبار لمنع محاكمة. بعض

على استعداد للعمل بكل جهد في ماكينات الفساد. لا تنتج الزراعة أو الصناعة أو الخدمات بل تنتج الفساد. هو نمط العيش ونمط الإنتاج. أسلوب العيش مبني على نمط إنتاج الفساد. الفساد سلعة ينتجها القطاع الخاص بكل كفاءة بما في ذلك قطاع المصارف. المنتجون لهذه السلعة موظفو القطاع الخاص وبعض القطاع العام. الشركات الاحتكارية التي تملكها الطوائف والكتل السياسية وغير ذلك من المناصب العليا. هؤلاء يصادرون سلعة الفساد بعد أن يتم تميمها في سوق تبادل الحصص. ينال موظفو المؤسسات الشرعية حصة صغيرة من الفساد. المدراء لهم حصتهم. هم وسطاء بين عمال الفساد وأصحاب شركاتها الاحتكارية. هؤلاء ينالون الحصة الكبرى. يوزعون بعضها على الناس. أحيانًا تنشئ السيدات زوجاتهم أو قريباتهم مؤسسات خيرية، معظمها لمساعدة العاطلين عن العمل في سوق الفساد. لم يعاقب أحد من كبار محتركي شركات الفساد. أحيانًا يعاقب بعض الموظفين الصغار. الفساد يشمل الرشوة، وتبييض العملة، وتهريب البضائع، وبيع الأولاد والبنات والخدمات الجنسية. هي سوق كبيرة. ينص القانون على جريمة يرتكبها العاملون فيها، صغارا كانوا أم كبارا. لكن هذه الجريمة أصبحت نمط عيش لا يستطيع القانون مقاضاتها أو معاقبتها. أصحاب الضمير مضطرون إلى الانزواء أو الانعزال أو الهرب. لا يهرب الفاسدون. يهرب أصحاب الضمير. الهجرة ليست للفقراء وحدهم بل لأصحاب الضمير أيضا. سلعة الفساد لا يتم إنتاجها في الخفاء خوفا من العقاب. هي تنتج في العلن لأن لا أحد يخشى العقاب.

المصارف معابد!

عندما يتحدثون عن نظام ريعي، فإن الريع الأساسي فيه هو مردود الفساد. كان سوق ريع الفساد تنافسيا في ما مضى. صار احتكاريًا. لا نعرف بالضبط كيف تم الانتقال من التنافسية إلى الاحتكار. نعرف شيئا واحداً أن الفساد صار علنياً. لا يعتبر جريمة؛ خالياً من الحياء. قلة الحياء غير مسبوقه في تاريخنا.

المؤسسات الدينية شريكة في هذا النظام؛ على الأقل، تدافع عنه باسم الطائفية والمذهبية وأخوانهما. منذ أن تحوّل المال من وسيلة دفع إلى غاية قائمة في ذاتها ولذاتها وبذاتها، صار إلهاً يعبد. تحولت العبادة من الله المتسامي إلى المال الذي رفع إلى مستوى التسامي. احتل المصرف مبنى موازيا للمعبد. الصلاة فيه لا تقل صدقا في ابتهالاتها عن الصدق في المعابد، إن بقي هناك صدق.

لا بد لكل مرحلة اقتصادية - اجتماعية - سياسية من دين يبررها ويجعل منها جزءا من العبادة الإلهية. يصير

السماسرة الكبار من بعض الطوائف لا يمكن الوصول إليهم. العناية الإلهية تحميهم. الطوائف تحميهم. السماسرة العاديون أبناء الطوائف المدللين. وهم على تنسيق مع الطوائف وأكباشها. الرأسمالية الليبرالية متورطة في ذلك، بما فيها مصارفها وجمعياتهم للتجارة والصناعة والزراعة. نظام كامل من النهب. القضاء عاجز عن الوصول إليه. لا ننسى أن القضاة أنفسهم أبناء النظام. يحميهم النظام فردًا فردًا. ليس منهم من لا يتسكّع على أبواب من عينوه من أبناء الطوائف. الأجهزة الأمنية شبيهة بالقضاء. كل قادتها مرهونون لأكباش الطوائف. النظام كله، حاميا حرامياها.

يظن البعض أن نظام الطوائف موجود لتأمين حصة كل طائفة. ما يتجاهله الجميع أن حصة الطائفة يأخذها كيش الطائفة. عموم الناس لا يبقى لهم الكثير. ليس لهم إلا الفقر. السياسة الحقيقية هي الإفكار المتعمد للجمهور في كل طائفة. تقسيم عمل بين الطوائف من جهة، وداخل الطوائف من جهة أخرى. يجتهد أهل النظام لتجهيل الناس بما يحدث. أو وضع غلالهم أمام أعينهم كي لا يرون. نظام معني بإنتاج المال لأكباشه والجهل لتابعه. كان لا بد من إنتاج الجهل حتى للخريجين الجامعيين. لذلك الهجوم على الجامعات التي تتمتع بأكثر نسبة من الاحترام. لأن حرصها على التعليم عالي المستوى يجعلها خارج النظام، بالأحرى خارج أهدافه المعلنة وغير المعلنة.

فلسفة النظام، إذا صحّ التعبير، هي حول الاستهلاك لا الإنتاج. الاستهلاك من أي نوع وبأي مستوى. الإنتاج ممنوع، فكأنه مكتوب على هذا الشعب أن لا يعمل ليكسب رزقه، بل عليه أن يتسكّع على أبواب أكباش الطوائف كي يتسوّل مالا أو وظيفة. ليس أمام الفقير إلا الصلاة لحفظ الطائفة وأكباشها. وجوده مرهون بوجودها. وجوده تابع لأكباشها، وهم مصدر الرزق. كيش الطائفة هو أبوها وأمها. وقد سمعنا هذا التعبير يتردد كثيرا على لسان أكباش الطوائف. فكأنهم يعيولون عيالهم. يعتقد الفقراء أن فقرهم تقدير من السماء. ليسوا في وضع يسمح لهم بالاعتقاد أن وضعهم يفرسه أهل النظام. يعلمه الدين أن يستكين للطبقة العليا وأن يخضع ويستسلم. وعندما نزل إلى الشارع وقال "كلن يعني كلن" كانت الهبة ثورة حقيقية على أكباش الطوائف، وعلى الطوائف ذاتها، وعلى أرباب الدين، وعلى الدين ذاته، وعلى أرباب المصارف والمصارف ذاتها. ثلاثي يشكّل النظام وينتج الفقر بكفاءة عالية. مع إنتاج الفقر، يدوسون الكرامة. هي ثورة الكرامة لأنها ثورة الفقراء.

في لبنان نمط إنتاج خاص به هو "نمط إنتاج الفساد". تنتج الفساد والفاسدين ونحافظ عليهم. نظام الانتخابات النيابية يضمن توليدهم. نظام مغلق من يدخل إليه يحتاج إلى أن تكون جيوبه مليئة وأن يكون



روسون كرو - أميركا - من مجموعة Actual Gallery

الريع الفسادي كأنه تكليف شرعي. مبارك إلهيا. المال هو الهدف والمبتغى والله هو الوسيلة، في هذا النظام. ما يمتلك الانسان من المال والعقار يقرر قيمة الإنسان: نبالته، شرفه، وجاهته. ربما يكون ذلك ليرشحه كبش الطائفة الى النيابة لقاء بدل. المهم أن من لا يملك المال لا يُعتد به. من يملك المال لا يهم إذا كان المصدر نظيفاً أو لا. ينعكس ذلك على شخصية الرجل. عليه أن

القضاة أبناء النظام. يحميهم فردا فردا. ليس منهم من لا يتسكع على أبواب من عينوه من أبناء الطوائف. الأجهزة الأمنية شبيهة بالقضاء. كل قادتها مرهونون لأكباش الطوائف. النظام كله، حاميها حراميها

يبذل جميع الوسائل لحيازة المال. يصير نصابًا سارقًا حراميًا للوصول الى الهدف الأبعد. يلتحق الفاسدون الكبار بالكتل النيابية الكبرى، أو هي تجندهم، أو يفضلون البقاء خلف الأستار. لكنهم في كل حال يؤمنون بصلاتهم السياسية حماية من القانون والأمن، وتستفيد الأحزاب (أو الكتل منهم) ببعض المال (والبعض يمكن أن يكون كثيرًا) لتمويل الانتخابات النيابية ودعم حسابات مصرفية في لبنان والخارج. في الأزمات التي تُفتعل غالبًا، تنتقل الأموال الى الخارج. ينتقل الشرف معها الى الخارج. العالم هو مجالسهم، والملاذات الضريبة هي مأواهم، مأوى شركاتهم وحساباتهم. وهي في معظمها مشفرة بحيث يستحيل تحقيق مطلب استعادة الأموال المنهوبة، التي يحوزون عليها بالتهريب وتمويل العمليات السياسية والإرهابية والرشوة ومصادرة الأملاك العامة، وأحيانًا مصادرة الأملاك الخاصة لمن لم يتح له بيعها في أوقات الازدهار. هذه الطبقة هدفها هو الاستيلاء على كل الأملاك اللبنانية، سواء أكانت مملوكة لأوقاف المؤسسات الدينية المسيحية أم الإسلامية. يعرفون أن ملكية العقارات المبنية وغير المبنية خير ملاذ لدفن، بالأحرى لاكتناز الأموال المنهوبة. المصارف وسيط بارع في كل هذه العمليات. يتنافسون مع الرساميل الأجنبية لتملك الأرض والشواطئ والمنتجعات الجبلية السياحية. غياب الدولار من السوق ليس مشكلة بالنسبة لهم. يستخدمون ما لديهم من إيداعات لتمويل عمليات الشراء. والمطلوب الحفاظ على العقارات

(وهم يشبهون قروش البحر والحيوانات المفترسة) جاهزون لشراء العقارات بأدنى الأسعار. عملية استيلاء على العقارات. الطبقة الوسطى تنحدر. مهما باع أعضاؤها من العقارات، سوف تبقى في البنوك بموجب الكايباتال كوتترول. سوق موازية من أصحاب الأموال في الملاذات الضريبية في الخارج أو عند الصرافين في الخارج. جاهزون لشراء العقارات. تجارة الدولار تحسم 25 الى 30 بالمئة من قيمة الشيك أمر عادي.

الازدهار على حساب الفقراء

تنحدر الطبقة الوسطى الى بورجوازية صغيرة، وتنحدر البورجوازية الصغيرة الى بروليتاريا والبروليتاريا تصير دون عمل. تُطرد من عملها، تضطر الى الهجرة. تُطرد من بلادها. تنضم الى الشتات في بلدان الاغتراب. يعبر الكثير منهم عن رغبتهم في العودة. لا يستطيعون ايجاد

المبنية في وسط بيروت التجاري، بحيث لا تمس مهما حدث من تظاهرات واحتجاجات. هي بقجة مال لهؤلاء. الثوار يفهمون ذلك. لا يريدون أن يُتهموا بالتخريب. إبعاد التهمة عنهم أمر مهم لبقاء الاحترام لهم كتوار. يتحولون الى حماية الملكية من حيث لا يدرون. أو ربما يدرون؟ بعض المناطق السكنية على شواطئ يمكن أن تصير منتجعات. سكانها يجب أن يقتلعوا. فيضانات تطوف على الطرقات وتهاجم بيوتهم. لا يبدو الأمر بريئًا. أمر يذكر باقتلاع الفلاحين من أراضيهم في الغرب ليشكلوا احتياطي القوى العاملة في القرن التاسع عشر. الفرق هو أن الهجوم على العقارات في لبنان ينتج ريعًا وفسادًا، وسلعًا فسادية، ولا يوفر فرص عمل للعاطلين المطرودين. اختفاء الدولار من السوق كان مبرمجًا ساهمت فيه المصارف. أما من يملكون العقارات من الطبقة الوسطى لسبب أو لآخر، فيضطرون لبيعها بأسعار بخسة. كلاب البحر المالويون



الدولارتحقق ما يجري في بقية أنحاء العالم، أي "التملك عن طريق المصادرة".
ثار الناس لكرامتهم. بعضهم لأسباب تتعلق بالفقر. بعضهم لشعورهم بفقر داهم سوف يأتي وسوف يؤدي الى الإجهاد على ما تبقى من ممتلكاتهم وإمكان دفعهم نحو أن يصيروا بروليتاريا هائمة في مختلف بقاع الأرض. هي أزمات أصحاب الرساميل التي ضاقت عليها سبل

كانت الهبة ثورة حقيقية على أكباش الطوائف، وعلى الطوائف ذاتها، وعلى أرباب الدين، وعلى الدين ذاته، وعلى أرباب المصارف والمصارف ذاتها. ثلاثي يشكّل النظام وينتج الفقر بكفاءة عالية

الخارج فلجأت الى استخدام المصارف المحلية وأزمتها "المفتعلة" لجعل العقارات المبنية وغير المبنية (قجتها) لاكتناز الثروات المالية. كم من عقار بيع في الأيام الأخيرة بأسعار بخسة؟ وكم من شيكات مصرفية (على مصرف لبنان) استخدمت بعد حسم 20% من قيمتها لدى الصرافين، لإرسالها بعد ذلك الى الأبناء والبنات الذين يدرسون في الخارج، أو لأداء التزامات أخرى؟

الثورة المضادة

هل يعرف هؤلاء الذين يُرسلون لضرب المتظاهرين صارخين: "شيعة، شيعة"، أو الذين يصرخون: "بالروح بالدم نفديك يا سعد"، أن ما يجري في المصارف وسوق العقارات هو لتهجيرهم وطردهم من بيوتهم. يعرفون أو لا يعرفون؛ الأمر ليس مهمًا. هم صرخة الثورة المضادة التي يشنها النظام/السلطة بجميع أطرافه ضد الناس/الثوار. كاد تجاوز الطائفية، ولو لفترة، أن يزعزع القواعد الشعبية لأحزاب السلطة. هذه لا تعرف كيف تستعيد سلطتها إلا بإثارة النزعات الطائفية والمذهبية كي تعود الطائفية (بأشكالها البشعة) وكي يعود الناس قطعًا طائفية موالين لأكباش الطوائف. الثورة المضادة هي رد فعل السلطة بأحزابها ضد الناس المتظاهرين، والمحتجين، والمنتفضين، والثوار، الذين احتفلوا بأنفسهم، بل خاضوا تجربة جديدة وغير مسبوقه في لبنان. هؤلاء إتقوا في الساحات في أجمل حفلة

تعارف بينهم (ولو لم يكن هناك مكسب غير هذا لكان كافيًا). وهؤلاء رفَعوا علم الكرامة وطالبوا بحقوقهم ومن جملتها الأموال المنهوبة. وهؤلاء، ربما يعرفون أو لا يعرفون، أو يشعرون بالمصير الذي ينتظرهم على يد أغنياء الحرب القدماء والجدد، وعلى يد النظام الأمني الذي يمارس شتى أنواع القمع، ومنها الاتهامات التي تؤدي الى اغتيال الشخصيات معنويًا لقادة الثوار، أو ما يشبه محاكم التفتيش في القرون الوسطى.

لا يقل عن ذلك بلاهة أو تواطؤ فضائيات انتحلت الولاء للثورة. وصارت تخضع لتعليمات الأجهزة بعدم بث مشاهد المظاهرات، كما كانت تفعل، وأن تركز على حوادث فردية لأناس مصابين أو مرضى يحتاجون الى المساعدة؛ فكأن الثورة تتحوّل من المطالبة بالحقوق الى نوع من الإحسان الفردي الذي يُشكر عليه أصحابه. الإحسان هو في معظم الأحيان نشاط يمارسه أصحاب الثروات وأغنياء الحرب. هو نوع من تطهير أموالهم المكتسبة بطرق ملتوية.

الأكثر خطرًا هو مجموعة المعلقين والباحثين والخبراء المنتدبين من أحزاب السلطة للظهور على محطات التلفزيون والمساهمة في دس نظريات وأراء ومعلومات تساهم في انحراف الثورة عن مطالبها الأساسية وأساليبها المعتمدة أصلًا. يساهم هؤلاء في إنتاج فساد من نوع آخر هو الجهل والجهالة. يتقصّدون الغباء، همهم الأول هو التجهيل، وسيلتهم أحيانًا كيل الاتهامات للأبرياء. محاكم تفتيش من نوع آخر. يضطر المشاهدون الذين كانوا في الثورة، الى إلتزام القعود في بيوتهم، والنظر الى الشاشات، وسماع سيل من الأقوال والنقاشات غير المفيدة والتي هدفها التبييس، أو على الأقل انخفاض القدرة على الفهم. يزداد ذكاء ومعرفة الناس أثناء الثورة أضعافًا، ويتراجع كل ذلك تحت وطأة إعلام الثورة المضادة. الضجيج عالي الوتيرة. الأصوات تصم الأذان. التجهيل يغلق العقل. هل كُتب على اللبنانيين أن يكونوا الضحية مرة أخرى؟

إنتاج الفساد نمط إنتاج

نجحت الثورة المضادة، أحزاب السلطة، في تحويل الثورة الى أزمة. أنتجت أزمة مالية خانقة. الذين سحبوا الدولار من السوق، وأغلقوا المصارف لأسابيع، وفرضوا ما يُسمى "كابيتال كونترول"، ومنعوا الناس من الحصول على ايداعاتها، بل ورواتبها، والذين تواطأوا لإنتاج سعر مواز للدولار، وسوق موازية له، هم أنفسهم الذين أرادوا سرقة الحقوق من الناس قبل أن تتحقق، إذا كان مقدراً لها أن تتحقق. موجة جديدة من الأموال المنهوبة عنينا هذه المرة.

إنتاج الفساد أصبح نمط الإنتاج الرئيسي في البلاد. الذي فهمه اللبنانيون، ولم يفهمه أهل السلطة، هو أنهم قاموا بثورة على أنفسهم؛ بالأحرى قامت الثورة بهم. حدثت بالرغم عنهم، ضد سلطة في داخلهم، ضد نمط يعيشونه، ضد سلطة خارجية تمثل هذا الذي يعيشونه. ثورة تطهر النفوس (نفوس الناس العاديين) من النظام وفساده ونمط إنتاجه. صار اللبنانيون شعبًا واحدًا. صاروا شعبًا آخر تطهر من فساد النظام القديم. هم يثورون وما زالوا يثورون ضد نمط إنتاج لا ينتج شيئًا آخر سوى الفساد. ينتج أيضًا نظام الاستهلاك والدين.

لبنان ليس وحيداً.. لكنه بلا عكازات!

نصري الصايغ



غرافيتي - لبنان

وانهار الإقتصاد الوطني وارتفعت نسبة البطالة وتتابعت إفلاسات المؤسسات المنتجة. المصيبة، أنه عندما تقع البقرة يكثر سلاخوها. رفض صندوق النقد الدولي، صاحب الإملاءات المدمرة، تقديم أي قروض جديدة، الأمر الذي أدى إلى تقادم التوتّر الذي تحول إلى تمرد شعبي أطاح بأربعة رؤساء جمهورية وفوضى لا سابق لعنفها. (اللبنانيون، ينتظرهم الأسوأ. والسلطة ينتظرها الأشد سوءاً. لقد بدأ اللبنانيون يدركون أن مسيرتهم الحياتية ستقودهم إلى الجحيم. ولكنهم، لن يذهبوا وحدهم. سيحرفون السلطة معهم، مهما كانت الكلفة. دماء اللبنانيين عندها في خطر النزف والعنف).

من أصل خمسة أرجنتينيين، يعيش إثنان على حافة الجوع والموت. هذا في الأرجنتين الكبرى، فماذا عن البرازيل الأكبر؟ كانت البرازيل تعاني إقتصادياً من وصفات صندوق النقد الدولي. خضعت لما أملى على الأرجنتين، مع فارق أساسي جداً، أن السلطة في البرازيل كانت تشبه السلطات اللبنانية في فسادها وإفسادها. تعاقب على السلطة فاسد، ثم الأكثر فساداً، ثم الأفدح فساداً. تماماً كما عندنا. سلالات فاسدة لا ترعوي عن الإرتكاب العلني. تشرع الموبقات لنفسها. هكذا كان التشريع لسوق الدعارة في شارع المتنبي. إنهم لا يخجلون ولا يختبئون ولا يمارسون عادات النهب بسرية. إنهم يعلنون على الملأ، أنهم فاسدون. هذا في لبنان.

"أنعم" على البرازيل حكم رشيد ونظيف جداً. أسماء لامعة جداً لا غبار عليها. خريجو جامعات عالمية. معروفون بالعلم والإستقامة والخبرة. وزير خارجيتها فيلسوف ليس كما

قيل، وقتذاك، أن لبنان مرشح لينافس دبي. سقط لبنان في المنافسة. إنه ليس دولة خليجية. جل ما تأهل فيه أنه كان يعكز على فوائض دول خليجية، واليوم هو بلا عكازات.

2 - لسنا وحدنا في العجز

فلنسافر إلى الأرقام. فلنقترب من المؤسسات المالية الدولية، وتحديدًا صندوق النقل الدولي، الذي يطوف طيفه حول لبنان راهتًا، بهدف إنقاذه، عبر إغراق ققرائه وطبقته الوسطى في البؤس واليأس. فتاريخ هذا الصندوق الأسود أدى إلى حصد الكوارث لأعوام عديدة، في دول عديدة.

أميركا اللاتينية مختبرٌ ناطق. ماذا جرى فيها؟ في ستينيات القرن الماضي كان مجموع ديون أميركا اللاتينية كلها، يبلغ ستين مليار دولار تقريباً. ديون موزعة على عدد من الدول. بعد عشرين عامًا، قفز الدين، بعد "مساعداً" صندوق النقد الدولي إلى 206 مليارات. القفزة هذه إحتاجت عشرين عامًا من المعاناة والإنزلاق إلى الأسفل. ثم بعد عشر سنوات بلغ الدين ضعفين. وصل إلى حافة 443 مليار دولار. وفي نهاية القرن، قفز الدين إلى 750 مليار دولار، ولم يتوقف بعد ذلك أبدًا.

الأموال، ليست هبات أبدًا. رأس المال لا يحب إلا الريح. يمقت الخسارة. مستعد لإرتكاب الجرائم، بشرط تأمين أرباح خيالية. هذا هو الرأسمال وفق تعريف جورج برناردشو له.

كيف حاولت الدولة المدينة إطفاء ديونها؟ بدأت بتحويل 25 مليار دولار سنويًا لمصلحة الدائنين على مدى ثلاثين الدائن جزار. المدين رقبته تحت المقصلة. ومنذ ثلاثين عامًا، إلتزمت دول أميركا اللاتينية بتخصيص 30 إلى 35% من قيمة صادراتها لإطفاء الدين. وبحساب مقسط على الأفراد، كان على كل فرد في أميركا اللاتينية، أن يدفع 2550 دولارًا للدائنين من بلاد الشمال الغنية. (من محاضرة موريس لوموان، معاون رئيس تحرير لوموند ديبلوماسيك عام 2011). يطلق اقتصاديون كثر على سياسات البنوك الدولية وصناديقها لقب "مشعلي الحرائق". وأبلغ نموذج الدول التالية:

كانت اقتصاديات الأرجنتين مزدهرة. إستدانت وأثقلت إقتصادها بالديون الخارجية. تعبت من الفوائد الباهظة. أقدمت على خصخصة القطاع العام، وحررت الأسواق المالية. فشلت، طبعًا، في سداد ما عليها. وقعت ثمرة ناضجة في قبضة صندوق النقد الدولي. صندوق النقد يملي سياساته ولا يتفاوض بشأنها. نظامه دكتاتوري مطلق. 10=1+1. وليس أقل من ذلك أبدًا. أملى صندوق النقد على الأرجنتين سياسة إقتصادية ومالية تخدم بالدرجة الأولى (الشركات الكبرى العابرة للقارات) وهي في معظمها أجنبية، وتحديدًا أميركية. إنهارت العملة الوطنية، فكان ما كان من فقر وبؤس ومجاعات وعنف وأحزمة بؤس وتخلف إقتصادي وإنتفاخ مالي للمصارف والشركات الأجنبية.

في العام 2001، بلغ الدين الخارجي للأرجنتين 146 مليار دولار (لبنان نقطة جغرافية في بحر الأرجنتين مساحة، ومع ذلك بلغت ديونه أكثر من 85 مليار دولار).

إضطرت القيادة السياسية في الأرجنتين إلى إتخاذ قرار بتجميد الودائع المصرفية الخاصة، فإنتشر الهلع بين الناس،

1 - الخطيئة الاولى

منذ مئة عام، كان الناس يموتون جوعاً في لبنان. الحق على الحرب الكونية. العالم لم ينج من مجاعات متنتقلة. الجوع منتشر في بلاد منكوبة. كل سبع ثوان، يموت طفل جوعاً. الخوف راهنا على لبنان. إنه يحارب الجوع بالإنتحار، أو بالتهديد به... من كان يتصور، منذ عام فقط، أن يصبح 33% من اللبنانيين من طبقة المعدمين؟

عندما قرع بعض الخبراء اللبنانيين جرس الإنذار، أنهم الموجهون بالمبالغة، والراؤون بالعمى. قيل: أزمة عابرة. لم يكن الأمر كذلك. سريعًا بلغ لبنان القاع. دخل جحيم الإفلاس. ومعروف بوضوح، أن لبنان لن يخرج من الأسفل من دون ضحايا: الفقراء سيدفعون الثمن. الطبقة الوسطى ستتهجى إلى السفلى. ها هم يعيشون في قلق الغد، مسكّنًا، عملاً، أفساطًا، مدارس، طبابة، دواءً، غذاءً، هجرةً، وهلم جرا. لبنان، ولأول مرة، منذ المجاعة في الحرب الكونية، تهدده الندرة النادرة، والمجاعة الزاحفة، والعوز المذل. عدّاد المنتحرين شغال. ما زلنا في البداية، وقد يكون الآتي أعظم.

لبنان ليس وحيداً. من قبل، عرفت دول كثيرة نكبة الإفلاس. أوجه الشبه كثيرة بين "نكبة" لبنان الراهنة، ومآسي الدول التي، بين ليلة كالحة وضحاها الأسود، فقدت سيولتها، فأقفلت مصارفها، وأغلقت معاملها وكسدت صناعاتها وبارت زراعتها وأفرغت مخازنها وتدنت عملتها الوطنية وفقدت عملتها الصعبة إلى درجة أن عملتها لم تعد تساوي "نكلة". أما الودائع فوداعًا. لا وسيلة للخلاص غير التسول الدولي.

لسنا وحيدين. هناك من تشبه به ويشبهنا. الذين أصيبوا بداء العولمة واجتياحات النيوليبرالية وتحكم الرأسمال المصرفي الربوي، وتسهيلات الإستدانة من الخارج، ومداواة العجز بمزيد من الإستدانة بشروط مغرية، بكلفة ظالمة تُمس السيادة الوطنية وتجعل من الإستقلال الاقتصادي أكلوبة، لإستحالة بلوغها، هؤلاء جميعاً، غرقوا، ونالوا حصتهم من الإفلاس والتبعية. في ظل سلطات تتمتع بحصانة الفساد المشترك، وغياب تام للسلطة القضائية. أكثر من أربعين دولة سبقتنا إلى الهاوية والإفلاس، ودفعت شعوبها الفقيرة حياتها ثمناً لهذه الدورة الجهنمية بقطيبيها: المال والموت.

لبنان، بعد نهاية حروبه، لم يتأخر عن دخول نادي الدول المدينة، وبالعملة الصعبة. تحالف زعماء الميلشيات ورأس المال المصرفي، والحماية السورية الأمرة، سهّل إنزلاق لبنان إلى وهم الفردوس المالي، لإصحاب رؤوس الأموال التي أغراها الريح السهل الذي توفره الفوائد والعائدات. جزء من هذه الأموال، كان مسجلاً في دفتر الدائنين الذين تسدد مع فوائدهم بديون جديدة. أي إطفاء الدين الأول بالإقتراض الدائم، ما جعل لبنان ينتقل، من دون نقاش، من دولة بلا ديون، إلى دولة مدينة، وبالعملة الصعبة، أي بالدولار. وللتاريخ، شهد مجلس النواب في التسعينيات نقاشاً حاداً بين أقلية استفظت الإستدانة بالدولار وأكثرية من نواب منتظمين بالسياق الذي فرضته "ترويكا" التحكم المالي: رفيق الحريري، زعماء الميلشيات، النظام السوري. ولقد

الوسطى. سويسرا الشرق، تحولت إلى حي من أحياء سان باولو البائسة. تَبَا مرة أخرى. غير أن النصيحة المكتوبة تكون سرية: تطبيق النقشف. تخفيض الانفاق المجدي وغير المجدي. وقف القروض المصرفية. إذا، لا دواء، لا طاقة، لا فيول، لا مواد غذائية. إنه الحريق الكبير ولا وجود لمن يطفئ هذه الحرائق، إلا من أشعلها!

الإفلاس، تتسبب به أولاً، السلطات الفاسدة. هذا ما اتفق عليه خبراء دوليون، كما جاء في كتاب، "أسياد العالم الجدد" لجان زيغلر. لبنان نموذج. إقتصاد الفساد أكبر من أي فروع الإقتصاد في لبنان. المشاريع التي تنفذها الدولة (ولا يتم إنجازها) هي بيد مقاولين وشركات تمت بصلات رحم وصلات حساب، مع الطغمة السياسية. الحاكمون، صيادو فرص وقتناصو مناسبات، علماً وبلا أي شعور بالفضيحة. الفساد هو العملة الوطنية الرائجة. طغيان المال وتوظيفه حكومياً، يمنع الشفافية والمساءلة. تتساوى في هذا الأمر، الأنظمة الديكتاتورية والأنظمة الديمقراطية الفاشلة. يضاف إلى ذلك، إعتقاد سياسات إقتصادية تتفق ومنطق الأسواق العالمية، بما فيها من رذائل تفرضها تقنيات العولمة الإحتيائية. من "خرائب" العولمة، سياسات التخلي عن الزراعة والإنتاج الصناعي، والتعديل الحاسم على التجارة، باتجاه واحد. وصية الفيلسوف الإقتصادي ميشال شيحا أن لبنان بلد تجارة بين بضائع البحر وأموال الصحراء، ولبنان نقطة وصل. محطة لا أكثر. "قوميسيون". من إرشادات العولمة المؤذية، تمكين المصارف والشركات الكبرى من التحكم بمفاصل التجارة، بحيث تظل الأسواق مفتوحة للإستيراد، مقابل تصدير هش وضعيف وفقير.

5 - من يدفع الثمن؟

منذ مئة عام، مات الناس جوعاً في لبنان. فقد البلد ثلث سكانه. رواية "الرغيف" لتوفيق يوسف عواد شهادة جارحة في ذلك الزمن الأسود. هل نحن عائدون قرناً إلى الوراء؟ بعد مئة عام، يتساءل اللبنانيون عن حق، هل نحن على أبواب مجاعة، وهل يمكن النجاة منها؟ الجواب مقلق. لا طمأنينة بعد اليوم.

يبدو أن لبنان محاصر خارجياً. فقر في الداخل وقرار حرمان من الخارج. مساعدة لبنان ممنوعة، أولاً، لأن لبنان لم يف بتعهداته، وثانياً، وهو الأهم، لأن لبنان على مفترق خيارات إقليمية مفتوحة فيها جهات المواجهة والقتال. لا أحد مستعد لمساعدة لبنان من دون ثمن، أو أثمان سياسية. لا صندوق النقد الدولي، ولا الأشقياء الأشقاء العرب. الخوف، كل الخوف، من المساعدات المشروطة، إن بصفحة القرن لتوطين اللاجئين والنازحين، وإن بقبول لبنان ترسيم حدوده البحرية مع كيان الإغتصاب وفق المنظور "الإسرائيلي"، أو بسلاح المقاومة وهو من سابع المستحيلات جملة وتفصيلاً.

لا أموال بلا سياسة، حتى ولو جعنا. حدث ذلك في طشقند. في العام 1995، قطع صندوق النقد الدولي كل علاقته بهذا البلد لإدارته الكارثية لقروضه. صندوق النقد الدولي ليس مستقلاً أبداً عن إرادة الإدارة الأميركية. منعت الولايات المتحدة الأميركية تقديم قروض إلى طشقند، غير أن الضوروات العسكرية في حرب أفغانستان، حتمت على واشنطن البحث عن محطة لطائراتها المقاتلة. لم يكن أمامها سوى طشقند. فندفعت القروض وشطبّت الديون، وعادت عمليات الضخ المالي، بأوامر من البيت الأبيض وجورج بوش تحديداً.

هل يُعامل لبنان كطشقند؟

ليت لا.

بر العملية بما يلي: "إن شركائنا العامة قوية ومرغوب فيها جدا. لذلك، سوف نبيعها لإستخدام ثمنها لإنقاذ الشعب البرازيلي من الفقر". الورقة الإصلاحية اللبنانية تتضمن بيع المرافق الحيوية. النتيجة بعد البيع، أن المحصلة المالية كانت ممتازة جداً، إنما، وهنا جوهر الموضوع، فإن عشرات مليارات الدولارات قد تبخرت. أين؟ قيل، بسد فجوات في الميزانية، وهناك جزء حرزان حُول إلى حسابات خاصة في الخارج، أو في جيوب الوزراء والجنرالات والقضاة والموظفين الكبار وكبار موظفي المصارف.

اليس لبنان نموذجاً يحتذى. منذ ثلاثين عاماً، ولبنان يراكم الفضائح، ويعالج كل فضيحة، بفضيحة أفدح؟

4 - إرتكابات صندوق النقد الدولي

اميركا اللاتينية ضحية مثالية، كونها الحديقة الخلفية للبيت الأبيض الأمريكي. فماذا عن بلاد في قارات بعيدة؟ تايلاند مثلاً؟

الحائز على جائزة نوبل للإقتصاد جوزف ستيفليتز، يتهم صندوق النقد الدولي، وهو كان مسؤولاً كبيراً فيه، بأنه فاقم بتدخله، الأزمة المالية التي ابتلعت في النصف الثاني من تسعينيات القرن الماضي إقتصاد عدة بلدان في آسيا، وبأنه "كان المسؤول المباشر عن إغلاق عدة معامل وشركات تجارية، متسبباً بحالة الفقر التي غرق فيها ملايين العمال وأسرههم".

منذ ثلاثين عاماً، إنفجرت تايلند. أزمة مالية كبيرة افقدت العملة الوطنية قيمتها. غادرت الرساميل البلاد، سرّاً وعلناً بكثافة. أقدم البنك المركزي على إستخدام مئات الملايين من الإحتياطي من الدولارات من أجل شراء العملة الوطنية مقابل الدولار دفاعاً عنها. بعد ثلاثة أسابيع توقف النزف لأنها وجدت نفسها عاجزة عن الدفع. إنتقلت العدوى إلى اقتصادات دول مجاورة: اندونيسيا، تايوان، كوريا الجنوبية. صندوق النقد الدولي حاضر لتطبيق وفرض شروطه. فعل ذلك ودفعت تلك الدول خسائر ضخمة. المكسيك كذلك. طبقت سياسات مالية ونقدية تسامحية امام هرب الرساميل والتهرب من الضريبة وفساد المسؤولين وتراكم الديون الخارجية. النتيجة هي في تضخم نقدي، بعد هذه السياسات، هدد النسيج الاجتماعي للبلاد. صارت البلاد بحاجة ماسة الى الاموال. لجأت حكومة المكسيك الى مقصلة صندوق النقد الدولي، فطالب المكسيك بالاتي: خفض المصاريف العامة، مكافحة التضخم، تجميد الأجور. يشير ستيفليتز الى الإجراءات ذات البعد الواحد التي يطبقها صندوق النقد الدولي: تحرير اسواق المال تحريراً كاملاً. تدفق رساميل لم توظف لأجل طويل، تأمين الربح السريع والمرتفع، عن طريق المضاربة على العقارات. التمويل المتدفق أنفق على ناطحات سحاب نمت كالقطر، وأبراج ضخمة لكازينوهات وما يشق منها، ونوادي للترفيه، وأحياء كاملة من شقق للسكن وقيلات ضخمة جداً.

اليس هذا ما حصل في لبنان ما بعد الحرب. "سوليدير". فقاعة عقارية. أبراج فارغة. فنادق الخ. بناء فخم زاد عن الطلب وليس في متناول الطبقة الوسطى، فتهجرت من مساقط رؤوسها وانتقلت إلى أحزمة من الأبنية المتصلة، بحيث أكلت المساحات الزراعية والجبال والشواطئ، وتشوهت صورة لبنان بالكامل. معظم ما تم إرتكابه عمرانياً فارغ، فارغ، فارغ. هكذا حصل في أكثر من بلد: عرض المساحات المبنية زاد عن الطلب عليها، فأنفجرت الفقاعة العقارية. هربت الرساميل الأجنبية بالسرعة التي دخلت فيها، فانهار الإقتصاد. لبنان، لم يشذ عن القاعدة. أنفقت الأموال في مشاريع كبيرة لا تتفق مع متطلبات الطبقة

عندنا أبداً. هو تلميذ نجيب للفيلسوفة حنة اردنت. وزير العدل، مارس الرفض الثوري وانضم الى صفوف المقاومة المسلحة في البرازيل. شهادة حسن سلوك شرعية. وزير التعليم العالي، كان رئيساً لجامعة. سكرتير الدولة لحقوق الإنسان كان مقاوماً شجاعاً للديكتاتورية في البرازيل. اطروحته الجامعية هي حول "قمع العمال". ثوري بإمتهان ولكن جميع هؤلاء من اليسار المستنير غير الكلاسيكي. والغريب، أن هذه النخبة الممتازة، انزاحت كلها، باستثناء واحد فقط، وانخرطت في التيار النيوليبرالي، "وبعد أن كانوا ينتقدون توافق واشنطن ويقاومون مؤسسات بريتن وودز، أصبحوا خدماً مطيعين للخزانة الأميركية ومرترقتها"

(Les nouveaux maîtres du monde Jean Zigar)

حلت الأماسة: سوء تغذية، عجز، موت. عدد المتضررين من سياسة السلطة آنذاك بلغ 22 مليوناً من الفقراء والجانحين والبلابا مآوى. إحصاءات المعارضة تقدر عدد الضحايا بـ 44 مليوناً. المؤتمر الوطني للأساقفة يقدر عدد المعدمين بـ 55 مليون إنسان. كارثة.

3 - يا فقراء العالم موتوا

يصف شاهد عيان كيف عاش فقراء البرازيل، في ظل حكومة فاسدة وتحت امرة المصارف وسياسة صندوق النقد الدولي. يقول الشاهد: "في سان باولو، وفي ميدان براكاداسي، كنت أرى الفقراء يتدافعون حول صنادير المياه المنتشرة على سلم الكنيسة: عاطلون عن العمل، زائغو البصر، صنادل مقطعة، قدرون بشعر كثيف، نساء يحملن أكياساً من البلاستيك، كلهن يفتشن داخل حاويات القمامة عن شيء أو قطعة خبز يابس أو فواكه عفنة أو قطعة عظام، أو قطعة من اللحم الفاسد".

هل سيصل لبنان إلى هذه الحالة، أم أنه وصل؟ كيف تتعامل الحكومة الفاسدة مع الفقراء المنتفضين بضعف يعبر عن عجزهم. تقمعمهم. لم نجد دولة تقمع الأغنياء النهائيين. إنهم يقمعون الفقراء المنهويين فقط، وقياداتهم التي إختارت الإلتزام إلى الفقراء. شعار الشرطة: أوقف واحترز وعذب. عندما يخيم الظلم والفقر والإستبداد، تكثر حوادث الإغتيال. ألف حادثة إغتيال في البرازيل. 90% من حوادث العنف التي تمزق المدن الكبرى في البرازيل، "منشؤها الفقر المدقع الذي تعانیه أكثرية البرازيليين... الجوع كافر" يا عالم يا هو!

ولأن العنف يصير مذهباً للفقراء، كان الأغنياء يتنقلون بطائرات مروحية أو بالسيارات المصفحة، محاطون ومحروسون بميليشيات مسلحة، وبيوتهم مختبئة خلف جدران عالية جداً. لم تكتمل الصورة بعد. والفقر يتقدم بسرعة. والسلطة عالت الأماسة الإقتصادية بالخصخصة والخصخصة واقفاً، هي أكبر عملية نصب، يقدم عليها البائع والمشتري. بيعت مؤسسات الدولة المنتجة، بأرخص الأثمان. القطاعات المربحة يبيع بأقل من ثمنها بكثير. باستثناء الشركة الوطنية للنفط، حيث تمت حمايتها بقوة نقابات العمال (برافو).

عندنا، باعوا الشواطئ مجاناً. يا حيف. لا يوجد أحقر من سلطة تتباهى بأنها فاسدة. يقول الدكتور غسان سلامة، فقط عندنا، يسير الفاسد في الشارع متباهياً. انظروا اليهم. حدقوا بهم بركم، كيف تطيقون هذا المشهد. تبا، ولولا الإحتشام الضروري في هذا المقام، لأطلقت للسان العنان لفضحهم بأبشع الشنائم والكل يجيدون هذا الأمر.

خاتمة المشهد البرازيلي، تصلح عنواناً للورقة الإصلاحية التي تفتتت فيها عقريه جهنمية غير مسبوقة، ويشهد لها الرئيس البرازيلي كاردوسو بارك. الخصخصة. مدير مكتبه

حماية المسيحيين .. بالدولة، بالدور، بالرئاسة أم بالتقسيم؟

حسين أيوب

2016، بمعطيات لبنانية (صفحة ما بين القصرين: عون في القصر الجمهوري، وسعد الحريري في السرايا الكبير) وبمباركة خارجية. في العام 2020، يبدأ ميشال عون سنته الرابعة، لكن بلا سعد الحريري، وفي ظل واقع إقتصادي ومالي غير مسبوق منذ العام 1943. مسيحيو لبنان إلى أين في المرحلة المقبلة؟ لا بد من الإشارة إلى أن النصف الأول من الحقبة الرئاسية العونية رافقه إشتباكات كبرى؛ الأول، أميركي - إيراني؛ والثاني، سعودي - إيراني، وكان لبنان، وما يزال، جزءاً لا يتجزأ من هذين الإشتباكين المحتدمين، ومعهما إشتباك ثالث أعنف منهما، حتى الآن، على أرض الجوار السوري، لكن بفارق أن السنوات الثلاث الأخيرة، أدت إلى تبدل جوهر في ميزان القوى في سوريا لمصلحة الدولة السورية التي كان يراد تدميرها، بينما لم تتجلى أمور الإشتباكين الآخرين، بل هما مرشحان للإحتدام من الآن وحتى نهاية الإنتخابات الرئاسية الأميركية في الخريف المقبل، خصوصاً بعد إغتيال قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني الجنرال قاسم سليمان. يصح القول هنا إن جلوس حليف إيران وسوريا في كرسي قصر بعبداء، لم يكن محض صدفة. هو خيار أظهر أن ميشال عون قارئ إستراتيجي جيد، ولو أنه مستعد، أحياناً، لخوض معارك غير مربحة بالضرورة، كما فعل في كل معاركه وصولاً إلى 13 تشرين الأول/أكتوبر 1990.

إنفجار الحريري.. والشارع

طيلة ثلاث سنوات، كان سعد الحريري، بالنسبة إلى أغلب جمهوره، يدفع ثمن تسوية غير مربحة، إلى أن قرر زعيم تيار المستقبل الإنفجار دفعة واحدة في نهاية النصف الأول من الولاية العونية، بالتزامن مع إنفجار إجتماعي غير مسبوق. قبله، لطالما كان الحريري يزايد على المعارضين من جمهوره وحلفائه بأنه "يضحى" حماية للبلد (ضمنًا التسوية الرئاسية)، ولو كان الثمن، تنازلات من هنا أو من هناك. هذه التنازلات أشعلت غضب الشارع السني، وعبر عنها بنزوله الواسع إلى الشارع بعد 17 تشرين الأول/أكتوبر، رافعاً شعارات واضحة ضد العهد وجبران باسيل، ولو إنها إندرجت في سياق هبة شعبية لم تستثن جمهور كل الطوائف والمناطق في لبنان.

في المحصلة، دُفنت التسوية الرئاسية وانتقل الحريري من موقع الصبر الإستراتيجي إلى موقع المظلومية السياسية، فأعاد تلميع صورته من جهة وشيطنه صورة ميشال عون وجبران باسيل من جهة ثانية، محاولاً وضع الإثنين في موقع "المغتصب" لحقوق شريكه المسلم السني. إلا أن المستجد هو عجز رئيس تيار المستقبل عن ترميم صورته مسيحياً. مسار حرييري يشي بالتفريط برصيد كبير. من إجماع مسيحي حاضن للحريرية

المئة، والسبب الرئيس لهذا التراجع هو الهجرة، حسب الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني. قبل مئة سنة، كان المسيحيون في سوريا يشكلون نسبة 30%، وإزدادت هذه النسبة لتصل إلى 35% في مرحلة الاستقلال في منتصف أربعينيات القرن الماضي، أما اليوم، فإنهم يشكلون حوالي 10% من السكان المقدر عددهم بحوالي 23 مليون نسمة. في العراق، تقول أرقام منظمات إغاثية مسيحية إن العدد الإجمالي للمسيحيين العراقيين لا يتجاوز حالياً الربع مليون نسمة، وثمة من يقول من أهل الكنيسة إن الرقم أقل بكثير، بعدما كان يتجاوز المليون ونصف المليون نسمة في العام 2003.

هذه الأرقام وحدها تكفي للقول إن الوجود المسيحي في المشرق العربي بات مهدداً، ومعها يصبح كل مجتمع تعددي بخطر. المنطقة التي شهدت ولادة السيد المسيح ومراحله الأخيرة على الأرض، ستصبح هويتها - بلا المكون المسيحي - بؤرة صراعات وقلقل طائفية ومذهبية لا يمكن التنبؤ بنتائجها في منطقة سمتها التاريخية أنها غير مستقرة. منطقة غنية بالثروات وهي مهد الحضارات والأديان. مهد الأفكار والعقائد. موقعها الجغرافي مفصلي بين القارات وحتى ضمن الحيز الممتد ما بين بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين.

وبرغم أرقام الديموغرافيا اللبنانية المؤلمة، ثمة فسحة للتفكير أو للإستدراك. يستوجب الأمر "مقاربة ثورية" بكل معنى الكلمة. قبل عشر سنوات، قيل كلام فاتيكاني (نقلًا عن شخصية مارونية لبنانية) يعبر عن ذلك النفس الثوري: "عندما إنسحبت إسرائيل من لبنان في العام 2000 وسوريا من لبنان في العام 2005، كان بمقدور اللبنانيين حياكة صياغة جديدة للدور. عقد إجتماعي جديد. المسيحيون ما كان ينبغي لهم أن يتلقفوا هذا الإستحقاق أو ذاك، لإستخدامه في لعبة التوازنات الإقليمية أو محاولة تغيير وقائع داخلية. لكن للأسف، يبدو أن معظم المسيحيين لم يكونوا في وارد التأمل بهذا كلام يصدر عن الكرسي الرسولي، وهذا ينسحب ليس على السياسيين، بل على البطريكية المارونية نفسها".

صفقة ما بين القصرين

منذ الإحتلال الأميركي للعراق في العام 2003، وُضِع لبنان على خط الزلازل. من ولادة القرار 1559 وإغتيال رفيق الحريري وخروج السوريين في العام 2005، إلى إنفجار انفجار الصراع على سوريا في العام 2011، سلسلة من الأحداث والتواريخ دخل معها الشرق الأوسط في مرحلة من الفوضى وانعدام التوازن وغياب الافق في إنتظار إرتسام معالم نظام اقليمي جديد. إنتخب ميشال عون رئيساً للجمهورية في نهاية العام

لن يستقر لبنان ما لم تستقر سوريا. هذه حقيقة تاريخية عمرها من عمر كيانين واقعين في حيز صراعي، جغرافياً وإستراتيجياً. المسار الأميركي - الإيراني، برغم طلعاته ونزلاته، وآخرها إستهداف قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني اللواء قاسم سليمان، هو مسار جلوس الطرفين إلى طاولة المفاوضات، في نهاية الأمر، ولو أن الحيز الزمني غير محدد السقف. أي تفاهم إيراني - أميركي في السنوات المقبلة، ستكون له حتمًا هزاتة الإرتدادية في المنطقة. هل نشهد ولادة "إتفاق رباعي" جديد في لبنان؟ وإذا تكرر تفاهم السنة والشبيعة في لبنان على إدارة منظومة السلطة وحماية مصالح كل طرف من الطرفين، هل يكون أحدهما محتاجًا للتحالف مع قوة طائفية محلية أخرى، أم أن التفاهم السني - الشيعي سيكون الناظم والمحدد لباقي العلاقات والتفاهمات الطائفية؟ هل يقود نقاش من هذا النوع إلى سؤال أي سلوك يجب أن يسلكه مسيحيو لبنان، في مواجهة إحتتمالات التسويات الكبرى، فلا يدفعوا من دورهم كبير الأثمان، بل يجنّون مكاسب لا تحمي مستقبلهم وحسب، بل مستقبل بلد تعددي لا مثيل له في الشرق، برغم لحظته الحالية الصعبة، سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً ومالياً.

شكّل المسيحيون في العام 1932 نسبة 58.7% من اللبنانيين، فيما شكّل المسلمون 40%، أما في العام 2018، فقد انخفضت نسبة المسيحيين إلى 30.6% وارتفعت نسبة المسلمين إلى نسبة 69.4%. هذه أرقام شركة "الدولية للمعلومات". أما نسبة المسيحيين في الأراضي الفلسطينية، فلا تتجاوز 1 في المئة، بعد أن كانوا يشكلون قبل نكبة العام 1948 حوالي 11.2 في

السيادية في العام 2005، إلى انفكك مسيحي كبير عن الحرية الحاضنة للصفقات والتسويات في العام 2020. عمليًا، لا ثقة بين الحريري وبين معظم مكونات الساحة المسيحية، من أحزاب وقوى عديدة وآخر من بقي من شخصيات مسيحية مستقلة.

تفاهم معراب: جعجع راجح/راجح

لم يكن يكفي أن يقول السيد حسن نصرالله "إما عون رئيسًا أو الفراغ". وليس سعد الحريري وحده من يتحمل، أقله بنظر جمهور محايد، مسؤولية وصول ميشال عون إلى بعدا. للقوات اللبنانية دورها المرجح، بدليل قطعها، أولاً، الطريق على وصول سليمان فرنجية، بعد تنبيه أميركيا وفرنسيًا وسعوديًا، ورفعها، ثانيًا، ميشال عون على راحتها.

في العام 2020، يبدأ ميشال عون سنته الرابعة، لكن بلا سعد الحريري، وفي ظل واقع إقتصادي ومالي غير مسبق منذ العام 1943. مسيحيو لبنان إلى أين في المرحلة المقبلة؟

فجأة، تصالح "الأخوة الأعداء" (التيار الوطني الحر والقوات اللبنانية). إنبرى عقل براغماتي لإقناع سمير جعجع بإبرام "تفاهم معراب". أنامل كاثوليكية مُدرية أرثوذكسيًا، شاهدنا معها كيف أن ملحم رياشي، وبالشراكة مع الماروني إبراهيم كنعان، خيطا إتفاقًا ثنائيًا ألزم قطبيه المارونيين بخيارات وفرت لميشال عون الفوز بالكرسي الرئاسي بعد أربعين سنة من الإنتظار الثقيل. في المقابل، كسب سمير جعجع ورقة "لوتو" من فئة "راجح/راجح": إذا إلتزم ميشال عون بالتفاهم، يكون راجحًا وأنا أريج معه (تكريس الثنائية المارونية المتساوية)، وإذا تخلى عن التفاهم، يصبح خاسرًا وأنا أريج وحدي. كيف؟

كان يفترض بأن يتقاسم طرفا التفاهم الماروني المقاعد الوزارية وتعيينات الفئة الأولى مناصفة (على طريقة أمل وحزب الله). أن يتفاهما على قانون إنتخابي وأن يخوضا الإنتخابات معًا. الأهم من ذلك، أن جعجع كان مقتنعًا، وربما أقتنع السعوديين والإماراتيين أن حزب الله لا يريد إلا الفراغ الرئاسي، وأنه إذا سارت القوات بميشال عون رئيسًا للجمهورية، سيتراجع حزب الله عن دعمه لـ"الجنرال". عندها، تصبح حظوظ الآخرين أكبر (باستثناء عون وفرنجية بعدما يكونا قد إحترقا رئاسيًا). الأهم من ذلك، تثبيت معادلة إنتخاب المكون الأقوى في طائفته، وهي معادلة تنطبق اليوم على عون، لكنها قد تنطبق على جعجع الطامح للرئاسة مستقبلاً. يمكن إسقاطها على المكونات الطائفية الأخرى. التنصل من سعد الحريري بصفته الأقوى سنياً ضمن طائفته، اليوم،



بزن حلواني - لبنان - من مجموعة Artual Gallery

"توحيد البندقية المسيحية". باسيل وجعجع، رجلان يتقنان التكتيك. يربحان باليومي ويخسران بالإستراتيجية. ميشال عون عكسهما كليًا. يخسر باليومي ويربح بالإستراتيجية. هذا ما تظهره الوقائع. عندما إنتخب عون رئيسًا للجمهورية، جاهر باسيل بأنه يعاني من مرض "الفجع السياسي". ما أريده سأحصل عليه بالوزارة والإدارة والنيابة.. والرئاسة. تنصل من تفاهم معراب بـ"شحنة قلم". إعتقد أن لا قوة على وجه الأرض تزايد عليه مسيحيًا. وعدّ المسلمين كلهم، سنةً وشيعةً ودروزًا، بأنهم سيترحمون على كميل شمعون. زايد مسيحيًا. بحقوق المسيحيين. بالماروني القوي. الرئيس القوي. التيار القوي. نسي لبرهة أن سمير جعجع ما زال على قيد الحياة وأن سامي الجميل، برغم هزاله أو هزله، كما ابن عمه نديم، ما وُلدا أصلًا

يساوي تنصل الآخرين من أي ماروني، حتى لو كان الأقوى في طائفته، مستقبلاً. ليس خافيًا على أحد أن جبران باسيل لم يكن مقتنعًا بتفاهم معراب، وجاهر بموقفه أمام الجميع. إقتناص الفرصة الرئاسية للجنرال عون لا يحول دون التنصل من التفاهم في أقرب فرصة. أقتنع نفسه بهذه "الوصفة"، وهذا ما حصل، في اليوم التالي لإنتخاب عون رئيسًا للجمهورية.

الفجع السياسي

تبين أن جبران باسيل مصاب بالتوحد السياسي. أنا أو لا أحد في الساحة المسيحية. مرض أصاب القوات اللبنانية منذ زمن بشير الجميل، ولو كان العنوان، حينذاك، هو



غرافيتي - لبنان

لزعيم مسيحي بالمواسفات الشهابية. خاضوا مع ميشال عون غمار تجارب وحروب عديدة، وما بدلوا موقفهم. تماهوا معه حتى بموقفه الاستراتيجي المدافع عن المقاومة. عن موقع لبنان الإقليمي، كجزء من الصراع مع عدو لا يقيم وزناً لحياد أحد... لذلك، فإن ما قام به ميشال عون، هو خرق استراتيجي لكل البنية التاريخية المسيحية منذ عقود من الزمن. لعل الأقرب إليه هو فؤاد شهاب. إستقوى الأخير بالعربي الأول جمال عبد الناصر، في زمن الوحدة بين مصر وسوريا، لترسيخ الحكم وتقوية موقع الحاكم في لبنان. بهذا المعنى، يمكن القول إن فؤاد شهاب هو الرئيس الماروني الأول الذي حاول تحييد لبنان إيجاباً عن صراعات المنطقة، وفي الوقت نفسه، أرسى دعائم الدولة. دعائم اجتماعية وانمائية وإدارية وقضائية، ما زلنا ننعيم ببعضها إلى يومنا هذا.

يجلينا ذلك مجدداً إلى عون الاستراتيجي. جرت محاولة لبناء مؤسسة حزبية عونية، لكنها اصطدمت في السنوات الخمس الأخيرة بعقلية فردية. بدا جبران باسيل محتاراً بين تنظيم بيار الجميل المؤسس وزعامة كميل شمعون المارونية.. جاءت لحظة 17 تشرين الأول/أكتوبر 2019، لتطرح أسئلة الزعامة والتنظيم. المفاضلة بين الحالة العونية والمؤسسة العسكرية وقائدها. المفاضلة بين حاكم البلد.. وحاكم الجيش. المفاضلة بين المؤسسة الحزبية وماكينه "التفقيس" الإنتخابية. المفاضلة بين التثقيف السياسي وعوالم السوشيل ميديا.

أو رئيس أكبر تكتل نيابي، لكن سبحان من يغير الأحوال. رئاسة الجمهورية والتيار الوطني الحر يصوّبان سهامهما على المؤسسة العسكرية، ولماذا؟ لأنها لم تقمّع الحراك. لو كان بمقدور جبران باسيل أن يجمع مجلس وزراء حكومة تصريف الأعمال في اليوم التالي لتاريخ 17/1 أكتوبر، لكان قد أقال جوزف عون من قيادة الجيش، وهو لن يتوانى عن ذلك، إذا توفر الظرف والتوقيت.

هذه الملاحظات وغيرها، لا تحجب حقيقة راسخة. أثبت ميشال عون، أنه ظاهرة سياسية غير مسبوقه في الوجودان المسيحي اللبناني. من البدلة المرقطة إلى الوقوف إلى جانب المقاومة. القناة الراسخة بالعلاقة مع سوريا. الانفتاح على إيران.

عون خرق إستراتيجي

هذا الواقع إن دلّ على شيء، إنما على أن الظاهرة العونية استطاعت دغدغة الوجدان المسيحي. الطبقة الوسطى المسيحية منحازة تلقائياً إلى الدولة ومؤسساتها وفي طليعتها المؤسسة العسكرية. هذا هو الأصل. الباقي تفاصيل والأمثلة كثيرة. عندما قرر ميشال عون الخروج من مربع تحالف الأقليات بتفاهمه الرئاسي مع تيار المستقبل، بدا أن براغماتيته تتيح له فرصة إفتتاح سوبر ماركت مشترك في السياسة مع الرياض، كما فعل قبلها مع طهران، والناس لن تولمه أبداً على خياراته، طالما أنه يضعها في سياق عنوان كبير: حماية الوجود المسيحي. رُبّ قائل أنه بعد رحيل فؤاد شهاب، إفتقد المسيحيون

لولا خطابهما التبشيري الذي لم يصنع لهما حيثة جدية خارج حدود الأشرقية وبعض نواحي "المتصرفية". ضيّع باسيل فرصة إستراتيجية. لو إتجه نحو الخطاب المدني العلماني، لأصاب مقتلاً عند خصومه المسيحيين، لكنه ذهب إلى حيث يريد له الآخرون أن يصطدم حتماً بحائط مسدود وينكشف ثم يقف وحيداً في العراء. هذا هو ما حصل مع "التيار القوي" وزعيمه الأقوى، بعد 17 تشرين الأول/أكتوبر 2019.

من هنا يصح القول إن تشرين الأول/أكتوبر 2019 بات تاريخاً فاصلاً في الوجدان المسيحي. ما قبله ليس كما بعده. ثمة

جلوس حليف إيران وسوريا في كرسي قصر بعبدا، لم يكن محض صدفة. هو خيار أظهر أن عون قارئ إستراتيجي جيد، ولو أنه مستعد، أحياناً، لخوض معارك غير مريحة بالضرورة

حراك مسيحي أدى إلى تموضع جديد لشرائح إجتماعية مسيحية، وهذا الحراك لم يدرك حزب الله أبعاده الحقيقية حتى الآن. فما بناه ميشال عون في خمسين سنة، طيره وريثه في أقل من 50 ساعة. هل سأل "الوريث" نفسه: ماذا لو كان تفاهم معراب ما زال حياً. هل كان الحراك ليحصل بهذا الزخم مسيحياً، وهل كان بمقدور القوات اللبنانية إلا أن تكون منسجمة مع توقيعها، فتقف في طليعة المدافعين عن رئاسة الجمهورية، حماية لمستقبل رئيسها.. الرئاسي؟ إنه مجرد تمرين ذهني.

العونية ظاهرة غير مسبوقه

ليس خافياً أن الحراك الشعبي بأبعاده الإسلامية كان خجولاً، خصوصاً بعد إنكفاء حزب الله شيعياً وتحييد جمهوره، وإستقالة سعد الحريري وصداهها الإيجابي عند جمهوره السنّي أيضاً، وإنحصار المشاركة الدرزية بمجموعات مدنية قيد التشكل. أما مسيحياً، فقد نطقت الساحات من بيروت إلى رجة، مروراً بجل الديب والزوق والمتن. ساحات غصت بجمهور كبير ينتمي بمعظمه إلى الطبقة الوسطى المسيحية. ضاق هذا الجمهور ذرعاً بحقبة الثلاث سنوات، وما تخللها من ممارسات إقصائية وخطابات إستقوائية وإغراءات لذاكرة كانوا قد قرروا أن يغادروها، سواء أكانت "بشيرية" أو من صنف التذكير بخطاب الحرب الأهلية المنبوذة. زاد الطين بلة، أن هذا الجمهور، ومعظمه كان في الأمس القريب، إما عونياً أو قريباً جداً من الحالة المسماة "برتقالية"، وجد نفسه متدنئاً بالرداء العسكري المرقط. رداء تعرفوا من خلاله على عون جنرالاً قبل أن يكون رئيساً أو نائباً



صفري، أولاً بالرهان على قوة لا تملك إستراتيجية جديدة في الشارع المسيحي، وثانياً، برمي جزء من هذا الجمهور المسيحي المعترض في خانة حزب مسيحي، لا يريد أخذ الحراك إلا إلى حيث لا تغادر تلك الفكرة مخيلته: جدار نفق نهر الكلب. فعل يساوي بنتيجته كل أخطاء التيار الوطني الحر ورئيسه جبران باسيل. لكن هناك من يصبر على التمسك بمعادلة "المجتمع المسيحي من كفرشيماء إلى المدفون"، ولو أن الزمن هو 2020.

تبيين أن جبران باسيل مصاب بالتوحد السياسي. أنا أولاً أحد في الساحة المسيحية. مرض أصاب القوات اللبنانية منذ زمن بشير الجميل، ولو كان العنوان، حينذاك، هو "توحيد البندقية المسيحية"

هذه هي القوات

ليس خافياً على أحد أن القوات اللبنانية تراهن في المستقبل على مراجعة لا بد وأن يقوم بها حزب الله في ضوء الحراك الشعبي. الأرقام تشي بضرورة ذلك. في العام 2018، أظهر إستطلاع أن حزب الله يستطيع أن يحصد شعبية تلامس عتبة السبعين بالمئة مسيحياً. الأرقام تدهورت في الأشهر الأخيرة. لقد نجح 17 تشرين الأول/أكتوبر في تحقيق إصابة عميقة جداً سياسياً في مرمى جميع القوى السياسية ولا سيما التيار الوطني الحر: في العمق السياسي، القضاء على فرصة تدمير ولاية ميشال عون عبر الإتيان بجبران باسيل رئيساً للجمهورية في العام 2022. هل في هكذا إستنتاج مجازفة؟ نعم. لا ينفي ذلك أن حزب الله المسيحي (القوات) وحزب الله الشيعي براغماتيان ولو قالوا عكس ذلك الآن.

الطموح الاستراتيجي المستحيل لـ"القوات"، أن تُمسك بالقرار المسيحي. أن توصل مرشحها إلى رئاسة الجمهورية. أن تتحول إلى قوة قادرة على مجاراة "حزب الله" مستقبلاً، بعد أن تكون قد أنهكتها الحرب الحتمية المقبلة مع إسرائيل والإشتباك السني - الشيعي المفتوح على كل الإحتمالات. عندها، إما التسوية أو المواجهة، أو "التوافق حياً" على الفدرالية.

يزيد من صعوبة الوضع المسيحي، الانشقاق إلى المرجعية الجامعة. شكّلت بركي مرجعية جامعة لـ"المجددين الديني والسياسي"، في زمن "النفي الباريسي" و"سجن البرزة"، لكن بعد عودة "الجنرال" وإطلاق سراح "الحكيم"، تعطل دور "المكتب السياسي" برئاسة بركي في حقبة

البطريك الراحل نصرالله صفير. مع بشارة الراعي، كانت البداية صادمة بالمعنى الايجابي، وهذا في صلب تزيكته فاتيكانياً، أي جعله عنواناً لاجتماع المسيحيين بعد طول فراق، لكن مع الإنزلاق الواعي إلى معادلة "الثنائي الماروني"، تراجع دور زعامات الأطراف (نموذج سليمان فرنجية) أو الشخصيات المستقلة (نموذج إليي الفرزلي). من الواضح أن إنتخابات رئاسة الجمهورية تخاض منذ اليوم الأول لإنتخاب ميشال عون. رصيد الرجل يتآكل. حتى الصورة نفسها تبهت. من كان يتصور أن "الأيقونة" المسيحية ستصبح محور إحتجاج عند أجيال لم تعرفها أبداً. الأفدح، أن "الظاهرة" لم تعد قادرة على الإجتذاب، والورثة كادوا أن يبددوا كل الرصيد. هل القوات مؤهلة للورثة؟ الجواب بسيط. هذه هي القوات، بالأمس، اليوم، وغداً. ألا توجد خشية من تحول الانقسام المسيحي إلى مشروع "حرب إلغاء" جديدة؟

الفاتيكان يلوم.. وينصح

هناك لوم فاتيكاني كبير على الزعماء الموارنة لجهة عدم تركيزهم "على استعادة الدور المسيحي"، الحضور المسيحي يتجاوز جبل لبنان. لا بد من تشجيع الشباب المسيحي على الانخراط في الجيش وباقي الإدارات والمؤسسات الرسمية، وصولاً إلى مصالحة المسيحي مع الدولة ومؤسساتها. وهذا أبرز إستثمار وحائل دون الهجرة.

هنا، تتجدد النصيحة الفاتيكانية إلى قادة المسيحيين في لبنان بأن لا يجعلوا أنفسهم أسرى أوهم الماضي أو رهانات الغد وهل تريح إيران أو السعودية وكيف يتصرف هذا أو ذاك مستقبلاً، في ضوء هذا الإحتمال أو ذاك. "هذه غمضة. عليهم أن يلتفتوا إلى بيتهم (المسيحي) وبلدهم، بدل الرهان على عناصر خارجية يمكن أن تأتي لمصلحتهم أو ربما العكس.. ولكنها، بكل الأحوال، لن تحميهم، لأن الحماية كانت وستبقى لبنانية بالدرجة الأولى، وخير دليل المصير الذي يواجهه المسيحيون في فلسطين وسوريا والعراق ومصر".

"استقرار لبنان هو الأولوية" بالنسبة للكرسي الرسولي "وأية محاولة للمس بسوريا ستؤذي المسيحيين لأن مسيحي سوريا لطالما كانوا يعيشون "العصر الذهبي" في ظل نظام البعث العلماني، وكانوا أكثر استقراراً من مسيحي لبنان وسائر دول المشرق".

لغة فاتيكانية هادئة إزاء سوريا ومعها "تشجيع المسيحيين على الاندماج في بيتهم اللبنانية ومع محيطهم العربي". من هذا المنطلق، يشجع الكرسي الرسولي المسيحيين على بناء جسور تواصل وإنفتاح وأن يكون الحوار سمة أساسية تطبع العلاقات الداخلية بدل توسل وسائل أخرى جربها اللبنانيون وارتدت سلماً عليهم وكان المسيحيون أول ضحاياها. قد تبرع هذه الدولة الكبرى أو تلك بأن تكون هي الضامن لهم ولغيرهم من الأقليات، لكن، مجدداً، يتأكد للمسيحيين أن وجودهم في الشرق مرهون بدورهم الوطني في مجتمعاتهم. إذا حرّموا من الدور، حتماً، سيصبح وجودهم مهدداً، ولن تكون بعض الأوطان، مثل لبنان، إلا ملاذاً للراغبين بالعيش في القرن الطائفي والمذهبي.. غيرهم، لهم الله وبلاد الواسعة.

في العام 2005، تصرف ميشال سليمان عندما كان قائداً للجيش، كما كان يليق بأي ضابط يحتل الموقع نفسه. عندما راجع قادة قوى 8 آذار/مارس، جاءه الجواب بأن دور الجيش أن يحمي المتظاهرين. في عز الفراغ الرئاسي في صيف العام 2015، وعندما قرر العونيون التظاهر، قال ميشال عون لقائد الجيش السابق جان قهوجي إن وظيفتك أن تحمي المتظاهرين لا أن تضع المؤسسة العسكرية في مواجهة الناس. في العام 2019، إنقلبت الآية. صار جوزف عون خائناً، فقط لأنه تمرد على أوامر "القصر". هذا خطأ إستراتيجي كبير. دلالتة، كما "القيتوات" على بعض المرشحين الموارنة للوزارات المتعاقبة، أننا في خضم معركة رئاسية مفتوحة قبل ثلاث سنوات من موعدها الفعلي. كل مندرجات ما بعد الحراك وإستقالة الحريري لم تعدل الحسابات الرئاسية.

في المقلب الآخر، ثمة نقاش عند حزب الله. التحالف مع "التيار الحر" منذ العام 2006 وظيفته سياسية. جلب هذا التفاهم منافع متبادلة للإثنين. تنويح عون رئيساً هو الذروة. لا فواتير للتسديد أعلى من فاتورة الرئاسة العونية. في لحظة الحراك، بدا حزب الله مرتبكاً ومستسهلاً في مواجهة حراك شعبي هجين سياسياً. أن يدافع حزب الله عن العهد، هذا بديهي، وأن تحتاج المقاومة إلى رافعة مسيحية، هذا بديهي أيضاً، خصوصاً في ظل الإفتقاد إلى منظومة حماية طائفية أخرى، لكن عندما تؤدي حماية هذه الرافعة المسيحية إلى تدفيع حزب الله كلفة إستراتيجية مسيحية، عبر إستعداد جمهور مسيحي كبير، معظمه من الشباب ومن مشارب عونية، ألا يؤدي ذلك إلى خسارة إستراتيجية مقابل مردود

إيران تخرج من سوريا.. لكنها باقية إستراتيجيًا

سامي كليب

على طرفي نقيض مع بعض المعارضة العراقية، كما أن دمشق كانت قد بدأت (قبل الاجتياح) بإقامة علاقات مع العراق حتى ولو أن التقارب مع صدام حسين كان فاترًا أو شبه معدوم بسبب أحقاد الماضي. فقبل الحرب بفترة قصيرة، ذهب رئيس الوزراء السوري محمد مصطفى ميرو إلى بغداد، وقدم لصدام حسين سيقًا دمشقيًا تعبيرًا عن التضامن وطي صفحة الماضي. وما لم تقله الهدية، أوضحه ميرو بقوله لصدام: "إن العدوان على العراق هو عدوان على سوريا"، ثم إن الأسد نفسه كان قد استقبل من كانوا بالأمس القريب أشد خصومه في العراق: علي حسن المجيد وطه ياسين رمضان وغيرهما، وفتحت دمشق أبوابها لقادة العشائر ومسؤولين من المعارضة والكردي.

خشية من تفخيخ المنطقة بالفتنة

اللافت للانتباه منذ تلك اللقاءات بين بشار الأسد والمسؤولين الإيرانيين أو التي قام بها أيضًا نائب الرئيس عبد الحليم خدام آنذاك إلى بغداد، أن القلق من الفتنة المذهبية كان الشاغل الأول لسوريا. كان الأسد يقول لمحدثيه في معظم اللقاءات إن أميركا قد تنجح فقط إذا ما خرقت النسيج الداخلي العراقي، ولذلك علينا جمع العراقيين والتواصل مع كل المعارضة. وهو ما كان يقوله أيضًا الإيرانيون وعبد الحليم خدام. وهو ما رده لاحقًا وفي أكثر من خطاب السيد حسن نصر الله، معتبرًا أن إسرائيل وأميركا عجزتا عن ضرب المقاومة بالقوة وأنهما ستلجآن إلى تفخيخ العرب والمسلمين بالفتنة السنية - الشيعية.

كان لافتًا للنظر أيضًا أنه في خلال لقاءات الأسد في طهران، كان الطرفان على اقتناع بأن المشاريع التفتيتية والتقسيمية تستهدف السعودية إضافة إلى إيران والعراق وسوريا، ولو بنسبة أقل. ويعجب المرء أن دمشق وطهران كانتا تعتبران أن سقوط النظام السعودي في حينه سيؤجج الفوضى ويأتي بتكفيريين إلى الحكم السعودي، ولذلك حرصتا على العمل لمنع حصول ذلك. شعرت سوريا آنذاك، بأنها ستكون الهدف التالي بعد اجتياح العراق، وأن السبب هو موقفها من إسرائيل، ولذلك لم تجد وسيلة أخرى سوى تعزيز دورها في تأسيس ما سيصبح لاحقًا "محور المقاومة".

لم تكن هذه فقط قناعة القيادة السورية، وإنما أيضا بعض معارضة الداخل السوري. في هذا السياق، كان عبد العزيز الخيزر، المعارض السوري الماركسي يؤكد أن احتلال بغداد "جاء في سياق مشروع الشرق الأوسط الكبير ليرفع المخاطر والتهديدات إلى مستوى شديد السخونة، وليتبعه بلا إبطاء تفاهم أميركي - فرنسي على تغيير الوضع في لبنان ومباشرة الضغوط والحصار على النظام لإخضاعه سياسيًا واقتصاديًا للمشروع الجديد

عليه لأن ذلك سيؤدي إلى إنهاك أميركا وإغراقها أكثر في الوحل العراقي. صحيح أن الكثير من الشعب العراقي لا يحب صدام حسين، لكنه لن يقبل احتلالًا أميركيًا على أرضه، ونحن على اقتناع بأن مقاومة ستنتقل ضد هذا الاحتلال، ولا بد لنا من التنسيق قبل الحرب، لأنه في حال نجحت أميركا في العراق، فستصبح إسرائيل هي التي تقرر مصير جميع الدول، بما فيها سوريا وإيران، وسوف

كان الأسد يقول لمحدثيه في معظم اللقاءات إن أميركا قد تنجح فقط إذا ما خرقت النسيج الداخلي العراقي، ولذلك علينا جمع العراقيين والتواصل مع كل المعارضة

تنتقل الحرب ضد الفلسطينيين وتستهدف القضاء على المقاومة. ونحن نعتقد أن علينا الآن التركيز على المواطن العراقي غير المرحب بالأميركي وغير المرتبط بواشنطن والذي لا ينتمي إلى أية جهة، يجب أن نعمل على إفشال أميركا في العراق، وإن لم نستطع هزيمتها يجب أن نساهم في إبقاء الوضع متفجرًا وأن نحصل عمليات استشهادية، ذلك أن أكثر شيء يربح الأميركيين هو أن نقول لهم إن أبناءكم سيقتلون في العراق".

كان لسان حال الأسد في كل اللقاءات مع الرئيس محمد خاتمي أو مع المرشد خامنئي أن الحل هو فقط بالإعداد للمقاومة، خصوصًا بعدما تبين أن كل تعاون سوريا مع الأميركيين لمكافحة الإرهاب عبر الحدود، لم يغير شيئًا في نظرة المحافظين الجدد في الإدارة الأميركية لدمشق وطهران كمحورين للشر. وهو إذ وجد بعض الحذر الدبلوماسي عند الرئيس الإيراني آنذاك محمد خاتمي وفق ما تظهر محاضر الجلسات، فإن مرشد الثورة وافقه تمامًا على ضرورة المقاومة.

اعتبر خامنئي أن المقاومة ودعمها في العراق هما الأساس على الرغم من أن سوريا وإيران كانتا آنذاك

كيف تطورت العلاقات الإيرانية - السورية التي نسجها بدقة الرئيس الراحل حافظ الأسد مع القيادة الإيرانية، غداة إنتصار الثورة الإيرانية في العام 1979، ووظفها في علاقاته مع الخليج، وفي تموضعه اللافت آنذاك على الساحة الدولية خصوصًا بعد تفكك الاتحاد السوفياتي، تمامًا كما وظفها في الصراع المرير مع إسرائيل؟

كان القلق السوري قد بلغ ذروته بعد اجتياح العراق من قبل الجيشين الأميركي والبريطاني في العام 2003، من دون أية تغطية من مجلس الأمن الدولي. كانت غطرسة المحافظين والمبشرين الجدد في الإدارة الأميركية قد فاقت كل التوقعات. صار التهديد العسكري المباشر يطرق بقوة أبواب سوريا بتهمة إعاقة هذا الاجتياح والتمهيد لضرب الأميركيين، وأيضًا بهدف اضعاف آخر دول الطوق الداعمة للمقاومة والرافضة لإستمرار الهيمنة الإسرائيلية. جرى كل ذلك، بعدما فشل التفاوض الإسرائيلي - السوري برعاية الرئيس الأميركي بيل كلينتون في أواخر عهد الرئيس حافظ الأسد، وتنگرت تل أبيب لما سميت "وديعة رايبين"، أي قبول رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إسحق رايبين بالانسحاب من كامل الجولان السوري المحتل مقابل السلام مع إسرائيل.

توجه الرئيس بشار الأسد إلى طهران في 16 آذار/مارس 2003، للقاء المسؤولين الإيرانيين. كان اللقاء مع مرشد الثورة السيد علي خامنئي حاسمًا وواضحًا في الذهاب صوب مقاومة أميركا في العراق. يتبين مما تسرّب من محضر تلك الجلسة أن الأسد قال لمضيفه الإيراني: "لم تكن في بداية الأمر راغبين في الحرب لمعرفتنا بضررها الكبير، لكننا لا نستطيع أن ننتظر مجيئها إلينا، وتعلمون أننا وإياكم الوحيدون في المنطقة الذين نملك قرارنا، وبعقاداتنا أن إطالة أمد الحرب هو أهم ما يمكن أن نعمل



مارولد أنكارت - بلجيكا - من مجموعة Artual Gallery

من المرجح ان لا يتم الاتفاق على الخروج العلني للقوات الايرانية وقوات حزب الله، الا بعد الاطمئنان الكامل على تطور العلاقات السورية العربية والدولية

بلا قيد أو شرط، كحلقة يتعين إسقاطها لإسقاط سائر حلقات المحور الذي يندرج فيه مع إيران وحزب الله وحماس، ذلك المحور الراض لمشروع الشرق الأوسط الكبير. وقد استمرت تلك الضغوط حتى نهاية العام 2008، عندما فشل العدوان على غزة في إسقاط حماس، كما فشلت محاولة استئصال حزب الله في لبنان عام 2006.

هذه القناعة التي تولدت أولاً من ردة فعل أميركا على سوريا بعد الاعتداءات الإرهابية على برج التجارة العالمي في نيويورك في العام 2001، برغم عدم علاقة دمشق بالأمر، ثم بعد اجتياح العراق، وقبلهما بعد الانسحاب الإسرائيلي المفاجيء من لبنان في العام 2000، جعلت بشار الأسد يقتنع وأكثر من أي وقت مضى، بأن التحالف الاستراتيجي مع طهران أمر حيوي لمستقبل سوريا.

تعددت المبادرات واللقاءات بين إيران وسوريا. طارت الصورة التي جمعت الأسد في العام 2010 بالرئيس الإيراني محمود احمدي نجاد والأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله عبر أثير الفضائيات العالمية. وقرر السيد خامنئي بعد فترة تردد بسيطة من قبل ادارته حيال سوريا بفتح كل أبواب المساعدات العسكرية والأمنية والمالية والاقتصادية للقيادة السورية بغية مواجهة الحرب.

ماذا بين ايران وسوريا؟

ثمة مغالاة كثيرة في الحديث عن "هيمنة إيرانية" وعن "عمليات تشييع واسعة" وعن "تغلغل إيراني" في النسيج السوري، وذلك لسببين، أولهما، ان هذا النسيج بقي طيلة قرون عصيا على الاختراق من قبل الخارج، وثانيهما، لأنه بعيدا عن الحرس الثوري الذي كانت له اليد الطولى في دعم سوريا في خلال الحرب، وبالتالي، فان الإدارات الإيرانية تتعامل مع دمشق من منطلق المصالح المشتركة، ماليا واقتصاديا، أي من خلال الديون وليس الهبات، وهو ما أدى لاحقاً الى منح المستثمرين الإيرانيين بعض التسهيلات في عدد من المناطق والمرافق لتسديد هذه الديون على المدى الطويل. صحيح ان السياحة الدينية الإيرانية الى سوريا كانت لافتة

تفاوضية رابحة بيد الدولة السورية. فاذا كانت واشنطن ودول الخليج والدول الأوروبية تشتري مثلًا خروج القوات ذات الثقل "الشيوعي" من سوريا، لكي تعيد فتح سفاراتها، او لترفع العقوبات، او لتسهل عمل الدولة السورية، فان دمشق تستطيع ان تستخدم ورقة الخروج العلني للقوات الإيرانية ولحزب الله (وبالتنسيق معهما طبعاً) في أي وقت تراه مناسباً. هذا سيساعد كثيرا الحليف الروسي الذي يفضل ان يكون وحده راعي المصالح السورية مستقبلاً، وهو القادر ان يفاوض مع الدول العربية والأوروبية وأميركا وصولاً الى إسرائيل بشأن هذا الأمر، بمعنى انه سيقول ان وجوده في سوريا كقيل بضمناً أمن إسرائيل وانه ساهم في خروج إيران وحزب الله.

لعل الرئيس الأسد حاول ونجح الى حد ما في الحفاظ على الورتين الروسية والإيرانية بيده، نظراً لتناقضهما في عدد من الملفات، برغم ما يقال عن ان طهران وموسكو هما اللتان أمسكتا بخيوط اللعبة السورية، ولذلك فمن المرجح ان لا يتم الاتفاق على الخروج العلني للقوات الإيرانية وقوات حزب الله، الا بعد الاطمئنان الكامل على تطور العلاقات السورية العربية والدولية.

هذا كله بات قابلاً للتحقيق. فالقوات الإيرانية وقوات حزب الله لن تبقى في سوريا بعد انتهاء الحرب في سوريا، ولا حاجة أصلاً لبقائها، وخروجها سيخفف عبئاً مالياً كبيراً عنها. اما العلاقات الاستراتيجية مع طهران وحزب الله، فهي كانت وستبقى من ثوابت السياسة الخارجية السورية.

لانتباه برغم الحرب، وصحيح أيضاً ان ثمة مساجد جديدة أقيمت، وصحيح ان البعض اشترى أراض وعقارات، لكن كل ذلك لم يؤد حتى الآن الى تشكيل بنية "شيعية - فارسية" في سوريا كما يعتقد غير العارفين، وانما بقي في اطر محدودة.

أما ما يحكى عن تأسيس خلايا مقاومة ضد إسرائيل في المناطق الحدودية، فهذا صحيح، ولكن كل ذلك يبقى تحت سقف وغطاء الجيش السوري، ومن يعرف طبيعة وتركيبه هذا الجيش، يدرك أنه من المستحيل تأسيس أي خلية أمنية بعيداً عنه او مستقلة او تابعة لطرف آخر. وهنا يختلف الأمر تماماً بين الإيراني والروسي، ذلك ان التحالف التاريخي بين روسيا وسوريا، قارب كثيراً بين عقليات ومفاهيم الجانيين على مدى عقود طويلة، وهذا ليس أمراً طارئاً او جديداً، وهو حتماً سيستمر حتى بعد الخروج العسكري الإيراني.

ماذا عن المستقبل؟

من المنطقي القول إن دمشق غير محتاجة عسكرياً لتواجد مباشر لقوات إيرانية او لحزب الله على أرض سوريا. فعين يستعيد الجيش السوري السيطرة على كل المناطق بدعم مباشر من روسيا، لا تعود ثمة حاجة لأي وجود عسكري آخر. وتزداد الحاجة الى الحضور العربي، ذلك ان إعادة الاعمار تتطلب ليس فقط حضوراً للصين وروسيا وانما أيضاً وخصوصاً لدول الخليج التي باشر بعضها فعلاً في فتح السفارات والشروع في وضع خطط للمساهمة في إعادة الاعمار والاستثمار، وهذه ورقة



إيلودي سنبل - لبنان

آفاق ٢٠٢٠

كازون الثاني ٢٠٢٠

الآفاق

أردنا أن يكون العددان الرابع والخامس، عددًا واحدًا مميزًا، كمًا ونوعًا، خصوصًا وأن صدورهما قد تأخر، بسبب الظروف اللبنانية الإستثنائية المستمرة.

قاربنا في ملف العدد، آفاق العام 2020، إستنادًا إلى ذخائر السنوات المنطوية، لا سيما 2019، في محاولة لإستقرار مستقبل منطقتنا والعالم. إختارنا لملف العدد مواضيع تتعلق بلاعبين دوليين أساسيين كالولايات المتحدة، الصين، وروسيا، مع التركيز على روسيا ورئيسها فلاديمير بوتين، نظرًا للدور الذي تلعبه في منطقتنا حاليًا، وما يمكن أن يكون عليه مستقبلًا.

كذلك، إختارنا الإضاءة على شخصيات تلعب أدوارًا إما في الظل أو في العلن، مثل الحلقة الضيقة في محيط الرئيس الروسي. حاكمة المصرف المركزي في روسيا إلفيرا نابولينا. رئيس شركة هواوي الصينية رن تشنغ فاي. رئيس "الموساد" يوسي كوهين. رئيس حركة النهضة في تونس راشد الغنوشي. رئيس حركة حماس في غزة يحيى السنوار. المرشح الأبرز للإنتخابات الرئاسية في إيران إبراهيم رئيسي. رئيس جهاز المخابرات العامة في مصر عباس كامل. مسؤول ملف العمليات الخاصة بإيران في جهاز المخابرات المركزية الأميركية مايكل داندريا. وقد إختارنا قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني الجنرال قاسم سليمانني ونائب رئيس هيئة الحشد الشعبي في العراق أبو مهدي المهندس، من بين أبرز الشخصيات التي يضيء عليها هذا العدد، فالأول (سليمانني)، لعب دورًا كبيرًا في المسرح الممتد من هضاب غرب آسيا حتى مائدة البحر الأبيض المتوسط في العقد الأخيرين، والثاني، كان أحد مؤسسي المقاومة العراقية ضد الإحتلال الأميركي، وأحد المشاركين في صنع القرار السياسي في العراق.

بعد إغتيال سليمانني والمهندس، نشرنا المادة المتعلقة بهما على موقع 180، ونكتفي بنشر باقي "البورتريهات"، على أن نحاول في الأعداد المقبلة، الإضاءة على شخصيات أخرى، تلعب أدوارًا في منطقتنا أو في مراكز القرار السياسي والإقتصادي في العالم.

العددان ٥-٤

داعش من زوال خلافته إلى إستراتيجية العودة

عبدالله سليمان علي

تقلص السيطرة المكانية للجماعات الجهادية إلى أدنى مستوياتها، ومقتل أبي بكر البغدادي زعيم تنظيم داعش، كانتا من أبرز المحطات التي شهدتها العام 2019 على صعيد انحسار "الجهادية" وتراجع دورها في مسار الأحداث في المنطقة. لكن برغم أهمية هذه الانجازات، فإن شبح التهديد الجهادي ما زال يخيم بظلاله السوداء على المشهد العام في المنطقة وسط مخاوف من إمكان عودته للتصدر في ما لو توفرت له الظروف المناسبة.

معركة داعش الأخيرة

شكلت هزيمة تنظيم "داعش" في معركة الباغوز في شهر آذار/مارس من العام 2019، الخطوة الأخيرة في انهيار خلافته المزعومة. وقد دخل التنظيم في أعقاب المعركة ضمن نفق طويل من الفوضى والشتات: آلاف من مقاتليه وقعوا في مصيدة الاعتقال وسط تجاذب دولي حول مصيرهم. أما نساء هذا التنظيم وعائلات مقاتليه، وبينهم آلاف الأطفال، فلم يجدوا مأوى يضمهم سوى مخيمات بدائية متناثرة في الشرق السوري. في غضون ذلك، كان بالإمكان تتبع فتح مسار خاص لبعض كبار قادة التنظيم وعائلاتهم لتجنبيهم الوقوع في الاعتقال عبر تأمين تهريبهم إلى بعض الدول المجاورة وخاصة تركيا، قبل أن يتم "إستثمارهم" في جبهات جديدة!

مع ذلك، ما زال من السابق لأوانه تقييم حجم النزيف الذي لحق بمقاتلي داعش وقادته، خصوصاً في ظل تقارير صادرة عن الأمم المتحدة والبنتاغون تتحدث عن بقاء ما يقارب 14 ألفاً من مقاتليه بين سوريا والعراق.

مقتل البغدادي

في خضم الفوضى السابقة التي استغرقت أشهراً طويلة، كانت روح "كايل مولر" الناشطة الأميركية التي قتلت في سجون داعش، تسحب مسمار الأمان من قنبلة سيدوي صوتها طويلاً: قُتل أبو بكر البغدادي.

ففي فجر 26 تشرين الأول/أكتوبر، كانت عملية إنزال نفذتها وحدة من القوات الخاصة الأميركية في بلدة باربشا بريف إدلب، تنسج لغز مقتل البغدادي في عقر دار أعدائه. ولا يقتصر اللغز على كيفية وصول البغدادي من الحدود السورية - العراقية إلى إدلب في أقصى الشمال السوري، بل تعدى ذلك إلى رسم علامات استفهام كبيرة حول السبب الذي دفع البغدادي لاختيار إدلب دون غيرها لتشكيل مخبأه الأخير، هل هو العجز أم كان في تفكير الرجل سيناريوهات أخرى تتعلق بطموحه لإيجاد منصة ظهور جديدة بعد أن خسر "دار خلافته"؟. ومما لا شك فيه أن تلاشي السيطرة المكانية لتنظيم داعش، ومقتل زعيمه هارباً متخفياً في معقل خصومه، مثلت ذروة الانهيار الذي أصاب التنظيم خلال العام

المنصرم. ولكن ما زال من غير الواضح حتى الآن حجم التداعيات التي يمكن أن تترتب عليهما بالنسبة لبنية التنظيم وأدواره المحتملة في ميدان الأحداث. إذ وسط تفاؤل البعض بأن التنظيم بات يواجه مساراً انحداريًا غير مسبوق، هناك من يقلل من تأثير ذلك على مستقبل داعش وإمكانية عودته، وذلك إستناداً إلى تجربة التنظيم في العراق بعد هزيمته على يد "الصحوات" في العام 2009 حيث لم يطل به العهد حتى تمكن من تجديد نفسه وركوب موجة الأحداث في سوريا ليني امبراطوريته المعروفة.

كل ما سبق، يشير إلى أن تنظيم داعش ما زال محكوماً بإرث زعيمه السابق أبي بكر البغدادي. ولا غرابة في ذلك لأن منطق "الاستصحاب" يتطلب إبقاء ظل البغدادي مخيماً لفترة محددة، لضمان عدم تفكك التنظيم وانهاره من الداخل، وذلك ريثما تتبلور شخصية زعيمه الجديد ويجمع بين يديه كافة الخيوط اللازمة للقيادة، وهذا يحتاج إلى وقت ليس بقصير. ولعل ما يمكن القياس عليه أن البغدادي نفسه استغرق الأمر منه أكثر من سنتين قبل أن يفرض رؤيته القيادية بعد مقتل سلفه أبي عمر البغدادي عام 2010.

داعش على مفترق طرق

تتقاطع استعدادات داعش السابقة لانتهاز أية فرصة للإطلال برأسه على مسرح الأحداث في المنطقة، مع انطلاق موجة من التقارير الاستخبارية التي تضمنت تحذيرات واضحة حول إمكان عودة التنظيم لا سيما بعد تزايد نشاطه في عدد من مناطق العالم ومنها غرب أفريقيا وليبيا بالإضافة إلى سوريا والعراق. ويشير هذا التقاطع إلى مسألتين هامتين: الأولى، أن احتمال عودة التنظيم إلى الخريطة العسكرية والأمنية للمنطقة بات يستند إلى معطيات ومعلومات دقيقة لا ينبغي تجاهلها. والثانية، أن بعض أجهزة الاستخبارات التي ترؤج في تقاريرها لاحتمال عودة التنظيم، قد تكون لديها غايات مختلفة وغير بريئة بصح بعضها في خانة العودة إلى استخدام شفاة التنظيم وتوظيفها ضمن مسارات محددة، بالسياسة والأمن.

وانطلاقاً من ذلك، لا يمكن فهم تحذيرات البنتاغون المتكررة من خطر داعش واحتمال استعادته لقوته في سوريا، على أنه مجرد انعكاس لمعلومات أمنية محضة. بل يتعلق الأمر في جانب منه بالخلاف بين البنتاغون والبيت الأبيض حول السياسة الواجب اتباعها في سوريا. إذ بينما يميل الثاني إلى الانسحاب من "أرض الرمال والدماء" والتخلي عن "الحروب العنيفة"، يتمسك الأول بضرورة البقاء لأسباب مختلفة تمتد بدءاً من مواجهة النفوذ الروسي المتزايد مروراً بحماية أمن إسرائيل عبر تقليص الوجود الإيراني وصولاً إلى الحفاظ على بعض التأثير في صياغة الحل السياسي للأزمة السورية. وقد انعكس هذا الخلاف على موقف الطرفين من خطر داعش واحتمال عودته. فالبيت الأبيض يركز على مسألة "الانتصار" وانتهاء الخلافة وزوال السيطرة المكانية للتنظيم، في حين لا يميل البنتاغون من التأكيد على أن

يمكن القول أن تنظيم داعش بات

اليوم يتواجد على أرضية معقدة

من الصراعات الإقليمية والدولية

العابرة لحدود دول عدة، وأنه

يقف عند مفترق طرق من شأنه أن

يحدد مصيره ومستقبله

إرث البغدادي واستراتيجيات العودة

وعلاوة على خبرته العراقية السابقة، كشفت التطورات اللاحقة أن أبا بكر البغدادي لم يرسل قبل أن يضع لتنظيمه الخطوط العريضة لاستراتيجية التعايش مع واقع الهزيمة المكانية ومنع انتقالها إلى هزيمة تصيب الإرادة. وأهم هذه الخطوط التي وضعها البغدادي:

1 - ترك وصية باسم الشخص الذي سيخلفه في منصبه، وهو أبو إبراهيم الهاشمي القرشي. وتدل هذه الوصية أن البغدادي كان يتحسب جدياً لاحتمال اغتياله وما يستتبعه من فراغ في القيادة. كما تدل على أن كلمة البغدادي ما زالت مسموعة حتى بعد غيابه. وهذا ما يثبت التزام أعضاء مجلس الشورى بوصية زعيمهم واتفقهم على مبايعة الهاشمي.

2 - وضع البغدادي قبل مقتله استراتيجية "الاستنزاف القسوي" كمرحلة لا بد من اختبارها قبل التفكير بالعودة إلى "التمكين". وتعتبر استراتيجية الاستنزاف هي الحد الأقصى والأخطر من أداة "النكاية" باعتبارها الخطوة التي تسبق إدارة التوحش في أديبات الجهادية العالمية. وقد أثبت أداء التنظيم في ظل قيادته الجديدة مدى التزامه بالاستراتيجية التي وضعها زعيمه السابق، حيث واطب على أتباع السياسة ذاتها التي تقوم على نشر المفارز



كيني شارف - أميركا - من مجموعة Artual Gallery

السلطات العراقية بإنسحاب جميع القوات الأجنبية عن أرض العراق، تداعيات خطيرة على المشهد العراقي، سيحاول تنظيم داعش، الذي لا تنقصه الخبرة، التسلسل عبر هذه الصراعات وتجييرها لمصلحته، فضلا عن إمكان إستعمال التنظيم من قبل أجهزة الإستخبارات. من كل ما سبق، يمكن القول أن تنظيم داعش بات اليوم يتواجد على أرضية معقدة من الصراعات الاقليمية والدولية العابرة لحدود دول عدة، وأنه يقف عند مفترق طرق من شأنه أن يحدد مصيره ومستقبله. غير أن الأمر لا يتعلق فقط بطبيعة الخيارات التي سيتخذها التنظيم وكيفية تعامله مع بعض هذه الصراعات ومدى قدرته على استغلالها وتوظيفها لمصلحته، بل يتعلق أيضًا بسياسة بعض الدول وطبيعة أدائها والأساليب التي ستلجأ إليها من أجل معالجة بعض ما يواجهها من انسدادات في هذا الملف أو ذاك.

هل سيكون داعش ضمن خيارات هذه الدول لاعتماد دواء الكي في حال أخفقت وصفات العلاج الأخرى أو في حال شعرت أنه لا بد من إعادة خلط الأوراق والعمل على ترتيبها من جديد انطلاقاً من ورقة داعش؟ وسوف يبقى التساؤل الأهم: ألا يقود ذلك إلى ترسيخ معادلة التقاطع بين داعش وبعض الصراعات الاقليمية والدولية لدرجة يصعب معها تصور وجود التنظيم إلا في بيئة حاضنة تتمثل في مناخ الفوضى الذي تبثه تلك الصراعات؟

إعادة ترتيب أوراقه وتنظيم صفوفه بما سمح له بتجديد نشاطه عبر تنفيذ عمليات كبيرة في بعض مناطق الجنوب الليبي. وقد توجّ "فرع ليبيا التابع لولاية غرب أفريقيا" عملياته بنشر إصدار "أخرجوهم من حيث أخرجوكم" الذي يمكن اعتباره بمثابة تدشين لمرحلة إعلامية جديدة يستعد لها التنظيم من شأنها التذكير بإعلامه السابق الذي قام على التخويف والترويع.

وبرغم الفوارق، فإن حالة العراق الذي يمر بأزمة داخلية غير مسبوقة منذ الغزو الأميركي عام 2003، لا تبدو استثناءً من قاعدة خروج داعش من رحم الفوضى. ومما له دلالة في هذا السياق أن "ديوان الإعلام المركزي في داعش" اعتبر الهجوم الذي نفذته مقاتلو التنظيم مؤخرًا في سامراء بمثابة تدشين لسياسة "الاستنفار المُجهد" ونظر إليه على أنه نموذج يمكن الاقتداء به.

ويذهب خبراء عراقيون إلى أن أزمة الحكم العراقية وانعكاساتها الخطيرة، ليس لها تبعات مباشرة بما يخص موضوع داعش واحتمال عودته. ويستند هؤلاء إلى أن المناطق الساخنة في الأزمة الراهنة هي المحافظات الجنوبية ذات الغالبية الشيعية، وبالتالي هي بعيدة جغرافيًا واعتباريًا من ميادين اللعب التقليدية التي ينشط فيها التنظيم عادةً.

ومن الممكن أن يستدرج إخرط العراق في بؤرة الإشتباك الأميركي - الإيراني المتصاعد، إثر إغتيال الجنرال قاسم سليمان وأبو مهدي المهندس ومطالبة

انتهاء السيطرة المكانية لا تعاني نهاية التنظيم. وتصدر بين الفينة والأخرى تقارير عن تزايد نشاطه وتصاعد التهديد الذي يمثله. ولا يخفى أن أحد الأسباب التي تدفع البنتاغون إلى اتباع هذه السياسة هو إدراكه أن خطر داعش بات يشكل الذريعة الوحيدة التي تمكنه من مواجهة منطوق البيت الأبيض بخصوص الانسحاب. وقد لعبت السياسة الأميركية غير المستقرة دورًا بارزًا في رفع منسوب الفوضى والتوتر في منطقة شرق الفرات، سواء عبر تضارب قراراتها بين انسحاب شامل والاتجاه بعد ذلك إلى احتلال مناطق النفط أم عبر إعطائها الضوء الأخضر لغزو تركي امتد بين رأس العين وتل أبيض. وكان تنظيم داعش أول المستفيدين من مناخ الفوضى والتوتر. وتمثلت فائدته الكبرى في الصراع المحتدم بين تركيا والأكراد حيث وجد فيه فسحة وفرها له الطرفان من أجل إلتقاط أنفاسه وإستعادة نشاطه. وهو ما ظهر جليًا من خلال تزايد عملياته الأمنية في دير الزور وريف الحسكة، حتى أنه أطلق "غزوة الثأر" لمقتل زعيمه البغدادي. والمفارقة أن الأتراك والأكراد يتبادلون الاتهامات حول دعم الطرف الآخر للتنظيم وتسهيل حركته.

ليبيا.. وغرب أفريقيا

وبينما تتعمق الأزمة الليبية على وقع فشل الأمم المتحدة وتصاعد التدخلات الخارجية، أفسح ذلك لتنظيم داعش فسحةً من الزمن والجغرافيا من أجل

براغماتية الجولاني وإمارة إدلب.. في أحضان المجهول

عبدالله سليمان علي

أم لم تقصد. ولعلّ الجولاني يرى في هذا الدرع خير وسيلة لتعزيز قناعته بأن موعد الحسم النهائي في إدلب لم يحن بعد وأن إمارته ستستمر عامًا آخر وربما أكثر.

وذلك في رسالة مشفرة أراد أن تلتقطها إدارات بعض الدول المعنية بالملف السوري.

"الإمارة" في أحضان التناقضات

علاوةً على خلافه مع قيادة "القاعدة"، واختلال علاقته بأنقرة، ثمة عوامل من شأنها أن ترفع وتيرة القلق لدى الجولاني، أهمها على سبيل المثال: العمليات العسكرية المتتالية التي يقوم بها الجيش السوري في منطقة إدلب ويقضم من خلالها أجزاءً من إمارته؛ مقتل زعيم تنظيم داعش أبي بكر البغدادي في ريف إدلب، الأمر الذي جعل الجولاني يتوجس من احتمال تعرضه للاغتيال بنفس الطريقة ولا سيما بعد أن استأنفت واشنطن مؤخرًا غاراتها ضد قادة "هيئة تحرير الشام"؛ إتساع الهوة بين "الهيئة" والحاضنة الشعبية، لأسباب اقتصادية واجتماعية وخدمانية.

لكن ثمة عوامل معاكسة أكثر إغراءً جعلت الجولاني يدخلها في حساباته ويبنى عليها رهانات معقدة. وقد انعكست هذه الرهانات على مصير منطقة إدلب بشكل مباشر وجعلتها تواجه مصيرًا يختلف عن مصير باقي مناطق خفض التصعيد التي تمخضت عن اجتماعات آستانا.

أول العوامل، إدراك الجولاني أن حصانته من الاغتيال ما زالت سارية المفعول بحكم كونه "بيضة القبان" في لعبة إعادة هيكلة التشكيلات الجهادية في ضوء مخاوف جهات إقليمية ودولية من أن يؤدي غيابه إلى تغليب التيارات الأقرب إلى تنظيم داعش ما من شأنه إدخال إدلب في مسار أشدّ تعقيدًا، وهو ما لا يريده أحد.

ثانيها، قراءة جولانية لا تتخطى الواقعية في بعض مفاصلها، وتقوم على أن عمليات الجيش السوري لم ولن تخرج عن سقف اتفاقي آستانا وسوتشي. وبموجب هذين الاتفاقين يبدو أن هدف القضاء النهائي على "جبهة النصرة" قابل للتأجيل والمماطلة لا سيما في ظل انشغال ضامني آستانا بتحقيق أهداف مرحلية تتمثل في فتح الطرق الدولية وتدوير عجلة التجارة. وهو ما من شأنه أن يترك للجولاني هامشًا جغرافيًا وزمنيًا لا بأس به للمناورة واللعب على الحبال.

ويقوم العامل الثالث على أن اتفاق سوتشي ليس مجرد اتفاق ثنائي بين روسيا وتركيا بل هو انعكاس لمعادلات إقليمية ودولية. بمعنى أن تنفيذه لا يتعلق فقط بإعادة الموقعين عليه، بل هناك جهات أخرى لها رأيها في الموضوع. وانطلاقًا من ذلك، يسود في أوساط "النصرة" نوعٌ من الارتياح جراء مساعي بعض الدول وعلى رأسها الولايات المتحدة، للربط بين اتفاق سوتشي وإطلاق العملية السياسية لحل الأزمة السورية. وقد باتت اعتراضات واشنطن المتكررة على أي عملية عسكرية للجيش السوري في إدلب بمثابة الدرع الذي يحمي إمارة الجولاني ويطلق من عمرها، سواء قصدت واشنطن ذلك

نجت "هيئة تحرير الشام" (جبهة النصرة سابقًا) من تهديد هيئة الأركان الروسية بأن يكون عام 2018 هو عام القضاء على هذا الفصيل الإرهابي. سنتان تعزز خلالها وضع هذا التنظيم، خلافًا لتنظيم داعش، وتعززت معه سيطرة مكانية لافتة الانتباه، لا تحجب حقيقة أن أبا محمد الجولاني زعيم "هيئة تحرير الشام" سيواجه في العام 2020 سلسلة تحديات داخلية وعسكرية وأمنية وسياسية.

بعد سلسلة من التمويهات وعمليات تغيير الجلد، لم يستطع أبو محمد الجولاني المعروف ببراغماتيته العالية أن يوازن بين خطوط الصدع الجهادية المحفورة عميقًا في بنية تنظيمه، وما يروق للبعض أن يسميها "ضرووات السياسة الشرعية"، وهي تعبير مهذب يقصد به تلبية متطلبات المعادلات الإقليمية والدولية.

وقد دفع اختلال التوازن بالجولاني إلى التمايز عن جهتين كان لصيقًا بهما لدرجة كبيرة، هما تركيا وتنظيم "القاعدة" العالمي. ففي حين تركز خلال العام 2019 الانقسام بين جماعة الجولاني و"القاعدة" المعروفة في سوريا باسم "حزاس الدين"، كانت علاقة الجولاني مع الاستخبارات التركية تميز بمنعطف شديد الحساسية، لا سيما بعد أن أعاق كل مساعي الأخيرة الهادفة إلى إيجاد صيغة لإدارة ملف إدلب بعيدًا عن الجماعات المصنفة إرهابيًا.

ولعل الاستخبارات التركية وجدت بدايةً في تنصل الجولاني ذريعة للمماطلة في تنفيذ "اتفاق سوتشي" مع موسكو. وربما كانت تعتبرها وسيلة لشراء مزيد من الوقت في ظل عجزها عن تلبية الطلبات الروسية التي باتت أكثر إلحاحًا بخصوص الفصل بين "الارهابيين" و"المعتدلين".

غير أن القشة التي قصمت ظهر العلاقة بين الجولاني وأنقرة، كانت الصفحة المدوية التي وجهها إلى سياستها في المنطقة والتي تمثلت في الحملة العسكرية التي قام بها مطلع العام 2019 وسيطر من خلالها على غالبية مساحة إدلب في الشمال السوري.

وقد توجّ الجولاني هذه الانعطافة بتوجيه بوصلته نحو الصراع الجيوسياسي في المنطقة مقدمًا أوراق اعتماده ليكون لاعبًا وكيلا في ميدانها السوري. وهو ما أكده في ظهوره المرئي الأخير حيث ففز فوق معركة إدلب وصب اهتمامه على الأبعاد الاستراتيجية والجيوسياسية التي تطوي عليها الأزمة السورية، مقدمًا جماعته كحركة تحرر وطنية ضد ما اسماه "الاحتلالين الروسي والایراني"،

إدراك الجولاني أن حصانته من

الاغتيال ما زالت سارية المفعول

بحكم كونه «بيضة القبان» في

لعبة إعادة هيكلة التشكيلات

الجهادية في ضوء مخاوف جهات

إقليمية ودولية من أن يؤدي غيابه

إلى تغليب التيارات الأقرب إلى

تنظيم داعش

شرنقة الانتظار

مما سبق، يتبين أن داعش وجبهة النصرة يختبران حاليًا مسارين متعاكسين تمامًا. ففي حين يحاول الأول التأهب للعودة بعد الضربات الكبيرة التي تلقاها خاصة في سوريا والعراق، تعمل الثانية جاهدة لتجنب الأفعال الذي أصاب غريمها.. ولعلّ أكثر ما تعول عليه قيادة هذين التنظيمين هي الثغرات المفتوحة في جسد المعادلات الدولية وموازين القوى القائمة، التي ما زالت تتيح لهما التسلل عبر المصالح المتضاربة للدول من أجل استدامة بقائهما واتقاء مصير الحسم ضدّهما. لذلك يمكن القول أنه سيكون من المبكر أن نفكر في نعي "الجهادية" خلال العام 2020. ولعلّ الأرجح هو أن الحركات الجهادية اضطرت بفعل الضغوط العسكرية للانكفاء المؤقت بعد مرحلة "التمكين" الفاشلة، مع وجود مؤشرات على أن بعض هذه الحركات بدأت تنسج حول نفسها شرنقة من استراتيجيات الانتظار استعدادًا للمرحلة المقبلة التي ستحدد مسارها فقط طبيعة المعادلات الدولية واحتمالات التسوية من عدمها.

التحديات الفلسطينية المتجددة.. حملة مناديل أم حقائب؟

صقر أبو فخر



ميسم رنتيسي - فلسطين

بما في ذلك الإنتفاضة الشعبية والمقاطعة الأممية ومحكمة الجنايات الدولية ومنابر الأمم المتحدة. فهل يكون الفلسطينيون من حملة المناديل أم من حملة الحقائب؟

في هذا الميدان، ليس الفلسطينيون وحدهم في مأزق. إسرائيل أيضاً في مأزق مغاير؛ فبعد إثنين وسبعين عامًا على النكبة الأولى في سنة 1948، ها إن الفلسطينيين والإسرائيليين قد وصلوا معًا إلى عجزين غير متناسبين: عجز الإسرائيليين عن إطفاء شعلة التحرر لدى الفلسطينيين، وعدم قدرة الفلسطينيين على تحرير وطنهم. وها هي إسرائيل، المتعجرفة والمقتدرة، غير قادرة على ضم الضفة الغربية بسكانها، وغير قادرة في الوقت ذاته، على الإنسحاب منها بعدما بات عدد المستوطنين فيها، بما في ذلك مدينة القدس، أكثر من 800 ألف مستوطن. ثم أن ما تعرضه إسرائيل والولايات المتحدة يرفضه الفلسطينيون، وما يريده الفلسطينيون لا تقبل به إسرائيل. إذًا، الصراع ما برح مفتوحا على المستقبل، وعلى احتمال تغيير موازين القوى في لحظة من لحظات مكر التاريخ. غير أن المستقبل هو، في نهاية المطاف، ما نصنعه اليوم. واليوم ثمة استنزاف لقوى الشعب الفلسطيني في غزة في ظل انحسار الوحدة الوطنية، وفي ظل غياب تام لأي مشروع وطني موحد، أو حتى رؤية سياسية موحدة. ومع ذلك، فإن أي خطط أو إتفاقات أو تفاهات لن تجد لها سبيلًا إلى التنفيذ من دون الختم الشرعي الفلسطيني، وهذا الختم ما زال مصونًا.

قوي. فمصر تغرق بالتدريج في حقة من الإضطراب السياسي والأمني والإقتصادي، والمخاطر التي تحدق بها، ولا سيما بنيلها، مرة ومريرة.

وها هي سوريا ما برحت ملتهبة بالنيران التي كادت أن تحوّل تراثها العظيم رمادًا. وفي العراق، موت جهنمي ربما يبدد بقاء هذا البلد الذي شهد ظهور أقدم حضارة وأقدم حرف وأقدم ملحمة في التاريخ البشري. والأمر على ما عهدنا وعلما وذقنا في ليبيا واليمن حيث يجري تحطيم هذين البلدين لكي لا تقوم لهما قائمة في أي يوم من الأيام القريبة، فضلا عن صراع التنانين على الغاز وممراته وفوائضه، وعن الإرهاب الدموي الذي يسربل كل شيء في بلادنا، ويغمر مجتمعاتنا التي تموت ببطء بمزيد من الخوف والموت. وفي هذا العياء، أرغمت قضية فلسطين، بقوة الوقائع القاهرة، على الدخول إلى محطة الإنتظار إلى حيث انقشاع الحرائق العربية المندلعة في كل مكان.

هل يستطيع الفلسطينيون أن ينتزعوا إنجازا تاريخيا لقضيتهم في معمعان هذا التهتك العميم؟ هذا من المحال التاريخي، وربما يكون الإنتظار الإيجابي، كما يلوح لي، هو الخيار الأمثل في هذه الحقبة السديمية. والإنتظار الإيجابي، نقيض علائقي للإنتظار السلبي؛ فالإنتظار السلبي كمن يقف في محطة القطار ملوحا بالمناديل، بينما الإنتظار الإيجابي كمن يُجهز الحقائب كي يصعد إلى القطار. والإنتظار الإيجابي يعني تمكين الفلسطينيين من التشبث بأرضهم، وإبقاء شعلة التحرر مضاءة، والسعي إلى إعداد العدة في سبيل النضال مجدداً ضد الإحتلال بجميع الوسائل المتاحة،

ها هو عام يُدبر وآخر يُقبل. بيد أن الوقائع السياسية لا تعترف بالمحطات الزمنية، ولا تقف عند التواريخ والمحطات الزمنية، بل تستمر جارية كأن لا سنة رحلت ولا عامًا أطل.

التحديات التي تواجه قضية فلسطين هي هي؛ إنها تنتقل، على جدول أعمال الشعب الفلسطيني، من عام إلى عام. ويمكن إيجاز التحديات التي تواجه الفلسطينيين اليوم على النحو التالي:

1 - تحدي الدولة الإسرائيلية في المجال الدولي، خصوصًا لدى محكمة الجنايات الدولية، والبرهنة على إرتكاب إسرائيل جرائم حرب في غزة وفي الضفة.

2 - تحدي الميل العربي إلى التصالح مع إسرائيل، ومحاولة إعادة الإعتبار للقضية الفلسطينية لدى العائلات الحاكمة في البحرين والإمارات والسعودية وقطر وعمان، ووقف الجنوح نحو التطبيع.

3 - تحدي العوائق التي تحول دون إجراء الإنتخابات الرئاسية والتشريعية الفلسطينية؛ فالسلطة الفلسطينية تحتاج اليوم إلى تجديد شرعيتها، في الوقت الذي تواجه فيه رفضا إسرائيليا لشمول الإنتخابات مدينة القدس.

4 - تحدي إتمام المصالحة الفلسطينية - الفلسطينية؛ تلك المصالحة التي تبدو أنها لا تسير إلى خواتمها المأمولة. فالمصالحة بين طرفين مثل رقصة الفالس أو التانغو، تحتاج إلى إثنين يدوران على الإيقاع نفسه، وإلا ارتطمت الأرجل وبات المشهد مهزلة، وهذا ما يحصل بالفعل بين حماس وفتح.

5 - تحدي انقطاع المعونات الدولية عن مؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية جراء العقوبات الأميركية المتبادلة، بعد رفض السلطة الفلسطينية خطة ترامب للسلام (صفقة ترامب)، ورفض اعتبار الولايات المتحدة الأميركية وسيطا في مفاوضات السلام، والإعتطاف نحو تدويل قضية فلسطين، والتهديد بالسعي إلى إنتفاضة شعبية غير مسلحة. وتجسدت العقوبات الأميركية في توقف الولايات المتحدة عن دفع حصتها في ميزانية السلطة باعتبارها دولة مانحة، واقتطاع السلطات الإسرائيلية جزءًا من أموال الضرائب التي تجيئها إسرائيل لمصلحة السلطة الفلسطينية تساوي قيمة رواتب الشهداء والجرحى والأسرى. وسبق ذلك، وقف المساهمة الأميركية في ميزانية "الأونروا"، والإنسحاب من اليونيسكو.

6 - تحدي تجديد الحياة السياسية واستمرارها، أو ما يعرف بـ"خلافه الرئيس محمود عباس" في المؤسسات الثلاث، أي منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح والسلطة الوطنية.

يدرك الفلسطينيون أنهم عالقون في وضع لا يمكنهم البقاء فيه إلى فترة مديدة. لكن المخارج من هذه الحال عسيرة جدًا بعدما باتت قضية فلسطين بلا ظهير عربي

يحيى السنوار.. ركوب الليث ليس أمرًا آمنًا

صقر أبو فخر

ليس يحيى السنوار من المؤسسين السبعة الأوائل لحركة حماس؛ أولئك الذين التقوا في 8/12/1987، وصاغوا البيان الأول للحركة، وهم: أحمد ياسين، عبد العزيز الرنتيسي، صلاح شحادة، محمد الشمعة، عيسى التشار، عبد الفتاح دخان وإبراهيم اليازوري. غير أن فترة إعتقاله الطويلة لدى الإسرائيليين منحتة الفرصة كي يتقدم الصفوف، ويتفوق على أقرانه الذين إمتلكوا، خلال غيابه في السجن، تجارب غنية في العمل التنظيمي والسياسي والأمني والعسكري.

يحيى السنوار عتيق في العمل الأمني، فهو أحد مؤسسي "منظمة الجهاد والدعوة" (مجد) في عام 1985، إلى جانب خالد الهندي. وفي ذلك الوقت، تولى السنوار مسؤولية النصف الجنوبي من قطاع غزة، فيما تولى الهندي المسؤولية عن النصف الشمالي، بما في ذلك مدينة غزة. وقد تحولت "مجد"، بعد إعلان تأسيس حماس في أواخر عام 1988، إلى جهاز الأمن الذي نفذ عمليات قتل بحق عدد من المخبرين والجواسيس. وكانت مهمة ذلك الجهاز، إلى ذلك، مراقبة المخبرين وتجار المخدرات وبناتع الهوى ومنع بيع الكحول أو تعاطيها. آنذاك، قال له الشيخ أحمد ياسين: "أي مخبر فلسطيني يعترف بالتعامل مع السلطات الإسرائيلية.. إقتله على الفور". وهذا الجهاز قتل ما لا يقل عن 12 شخصًا متهمًا بالعمالة لإسرائيل منهم محمود شتيوي (من حماس) الذي أثار إعدامه نقمة كبيرة في صفوف عناصر حماس أنفسهم. وأتهم السنوار بأنه أعدم بنفسه نحو أربعة أشخاص بينهم أيمن طه، مسؤول الدعوة في حركة حماس، بتهمة التعاون مع المخابرات المصرية، الأمر الذي جعل الشيخ محمد أبو طير يقول: كان للسنوار مطبات كثيرة في أثناء عمله الأمني الذي ظلم فيه عددًا من الأخوة، إذ كان يعتمد على طباعة إقرارات المخبرين المنتزعة منهم، ويلصقها في الأماكن العامة وعلى أبواب المساجد كنوع من التشهير المؤذي، ليس لهم وحدهم، بل لعائلاتهم أيضًا. ولعل إنتخاب السنوار في 13/2/2017 رئيسًا للمكتب السياسي لحركة حماس في قطاع غزة خلقًا لإسماعيل هنية يعكس، ربما، تعاطف دور العسكريين والأمنيين في المراتب التنظيمية لحركة حماس، وانحسار دور السياسيين أمثال إسماعيل هنية وموسى أبو مرزوق وخالد مشعل الذين فشلوا فشلاً ذريعًا في إدارة شؤون قطاع غزة وتسيير المصالح اليومية للناس. لكن، هل يستطيع رجل أمن أمضى 23 عامًا في السجن أن يدير قطاع غزة وتناقضاته، لا سيما أن القطاع واقع بين مصر وإسرائيل اللتين تحاصرنه بمقادير متفاوتة من الحصار، فيما تحتاج حماس إلى إيران وقطر في أمور كثيرة، ما يجعل إمكان توفيق تلك الخطوط المتعارضة شأنًا مستحيلًا؟

من هو السنوار؟

ولد يحيى السنوار في مخيم خانيونس في 29/10/1962، وهو يتحدر من مجدل عسقلان التي إحتلت في عام

1948. تخرج من الجامعة الإسلامية في غزة بشهادة في اللغة العربية، وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين في أثناء دراسته الجامعية، ونشط في صفوفها. اعتقل أول مرة في سنة 1982، وأمضى في السجن أربعة أشهر، ثم إعتقل في سنة 1985، وبقي في الإعتقال ثمانية أشهر. وبعد خروجه، أسس الجهاز الأمني لجماعة الإخوان المسلمين في قطاع غزة، بطلب مباشر من الشيخ أحمد ياسين. لكنه لم يلبث أن اعتقل في سنة 1988، وحكم بأربعة أحكام مؤبدة مجموعها 426 عامًا. غير أنه أطلق في سنة 2011 في إطار صفقة تبادل الأسرى التي عرفت بـ"صفقة جلعاد شاليط".

تزوج في 21/11/2011، وانتخب في عام 2013 عضوا في اللجنة التنفيذية لحركة حماس سوية مع رفيقه في السجن روجي مشتهي. ارتفعت أسهمه في داخل المراتب التنظيمية للحركة جراء مساهمته في التصدي للعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة في عام 2014، وكان من شأن ذلك انتخابه رئيسًا للجنة التنفيذية في سنة 2017، الأمر الذي مهد السبيل أمامه كي يصبح رئيسًا للمكتب السياسي لحماس في قطاع غزة في السنة نفسها خلقًا لإسماعيل هنية.

الردع بالصواريخ.. وبالكمات

لا يوجد بين يدي حركة حماس اليوم غير ورقتين: ورقة الأسرى الإسرائيليين، وورقة مسيرات العودة. وفي المفاوضات السرية بشأن الأسرى، ظل السنوار يصر على إطلاق مروان البرغوثي من فتح، وأحمد سعادات من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وغيرها. وهذا الموقف أكسبه إحترام الفصائل الفلسطينية المنضوية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية. وكان يردد دائمًا أن مسيرات العودة يجب الحفاظ عليها بأعلى درجة ممكنة لكسر الحصار الذي فرض على غزة في عام 2007. لكن، في كانون الأول/ديسمبر 2019 أعلنت حركة حماس وقف مسيرات العودة الإسبوعية، وتحويلها شهرية لمرحلة مؤقتة (ثلاثة أشهر فقط). وقد استهجنّت الفصائل الفلسطينية ذلك الموقف لأن قرار المسيرات اتخذ جماعيًا، ولا يحق لحماس أو أي طرف آخر أن يوقفها منفردًا، فيما ذهب البعض إلى القول إن وقف المسيرات هو جزء من التفاهات الحمساوية مع إسرائيل. وقد تناقلت الأوساط الإعلامية الفلسطينية ما أورده موقع المونيتور العبري في 1/10/2019 عن أن يحيى السنوار ينسق مباشرة مع الضابط الإسرائيلي كميل أبو ركن في شأن المشاريع الإقتصادية المقترحة في غزة، والعمال المسموح لهم بالعمل في المنطقة الصناعية القريبة من معبر إيرز، والإصرار الإسرائيلي على تراجع حواجز حركة حماس نحو كيلومترين عن المنطقة الصناعية، وغير ذلك من الأمور. ومع ذلك، فإن السنوار لا يكف عن تهديد الإسرائيليين دائمًا؛ فقد وجه تهديدًا إلى سكان تل أبيب في 7/4/2019 قال لهم فيه إنهم سيضطرون إلى إخلاء المدينة في أي حرب مقبلة، مثلهم مثل سكان

مستوطنات غلاف غزة، ومثل المستوطنين في أسدود والنقب وعسقلان. ثم هدد إسرائيل في 4/11/2019 بإطلاق هجمات صاروخية من دون توقف على تل أبيب وعلى مدار ستة أشهر متواصلة، وأضاف: لدينا في قطاع غزة ما لا يقل عن 70 ألف مقاتل من حماس ومن الفصائل الأخرى، ولدينا مئات الكيلومترات من الأنفاق. وإذا فكر الإحتلال في دخول غزة، فسيخرج شبابنا من باطن الأرض لمقاتلته. لكن السنوار، ظهر، بعد امتناع حماس عن المشاركة في صد العدوان الإسرائيلي على غزة في 13 تشرين الثاني/نوفمبر 2017 غداة اغتيال القيادي في حركة الجهاد الإسلامي بهاء أبو العطا، كأنه يجلس على مقعدين؛ فلا هو في المقاومة، ولا هو تمكن من التوصل إلى إتفاق تهدئة مع إسرائيل.

دليل الحائرين

لم يتورع يحيى السنوار عن القول أن لإيران الفضل الأكبر في دعم المقاومة بالمال والسلاح والخبرات في حين أن عربًا خذلوا المقاومة (14/11/2019)، وهاجمه كثيرون، من بينهم من ينتمي إلى حركة حماس، لإمتداحه الراحل قاسم سليمان قائد فيلق القدس في الحرس الثوري، ولعله تأثر بالطريقة الإيرانية في التعبئة، فراح على منوالها وغرارها، يردد: إننا نتحدث اليوم عن منى سنمسح إسرائيل من الوجود (19/10/2017)، وهذه اللغة لا تلقى أي تصديق في الأوساط الفلسطينية. كذلك أثار تصريحه عن أن قطر تبرعت بنحو مليار دولار لقطاع غزة في السنوات الماضية (4/11/2019) استنكارًا واسعًا، ورد عليه البعض بالقول إن قطر تريد شراء التهذئة العسكرية بالمال. ومع أنه لقي تقديرًا عاليًا من الفتحاويين حين أبدى مرونة لافتة في اجتماعات المصالحة، ووافق على حل اللجنة الإدارية لقطاع غزة والتخلي عن إدارة المعابر والجباية الضريبية، إلا أن اعتقال الفتحاويين والإعتداء على كثيرين منهم بالضرب، ومنع الإحتفال بذكرى إنطلاقة العمل العسكري في أول كل سنة، كان يبدد ذلك التقدير، ولو مؤقتًا.

حاكم قطاع غزة كراكب الليث: الليث خائف ممن يركبه، والراكب أكثر منه خوفًا. إنه يرغب في تهذئة مستدامة مع إسرائيل، لكن الفصائل الفلسطينية له بالمرصاد. يريد الأموال القطرية، والمصريون يرصدون أي حركة للقطريين في القطاع. يتطلع إلى مزيد من التعاون مع إيران وتركيا، فتحمر أعين المصريين والسعوديين. محاصر بين كماشتين بعد أن فشلت حركة حماس منذ العام 2007، في الإستئثار بأي شرعية إقليمية أو دولية تنافس شرعية منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية الفلسطينية. غير قادر على تسليم القطاع إلى السلطة الوطنية، أي لحركة فتح عمليًا، وغير قادر على الإستمرار في حكم القطاع وحده. ولولا الأموال القطرية، وحاجة المصريين إلى تأمين ظهر القوات المصرية في سيناء، لتناثرت الأوراق السياسية، على قتلها كأوراق الخريف أو كغبار الطلع.

٢٠٢٠ عام إسرائيلي سيء.. تحدي الهوية والهجرة

حلمي موسى

مكتنفة؛ ورابعها العزلة الدولية واتساع المقاطعة العالمية؛ وخامسها، تصدع الجبهة الداخلية وفقدان هوية الدولة.

مواجهة العرب وإنما أيضا في مواجهة الليبراليين. كما أن الصهيونية التي أرادت أن تكون "علمانية" لتجمع ليس فقط بين المتدينين وغير المتدينين وإنما بين المتدينين المختلفين أنفسهم صارت وبالتدرج تميل أكثر لمصلحة التيار الأوثودوكسي على حساب التيارين الإصلاحي والمحافظة.

ومن الجائز أن جانبًا من الخلاف بين زعيم "الليكود" بنيامين نتنياهو وزعيم "إسرائيل بيتنا" أفيغدور ليرمان، عدا الأبعاد الشخصية، يعود إلى الخلاف بين المتدينين وغير المتدينين حتى في صفوف اليمين القومي. وهذا الخلاف هو الذي حال دون نتنياهو والقدرة على تشكيل ائتلاف حكومي بعد معركتين انتخابيتين وربما بعد المعركة الانتخابية الثالثة المقبلة أيضا في الثاني من آذار/مارس المقبل.

الحرب الأهلية!

ويشعر الكثير من المراقبين بأن الخلافات بين مختلف التيارات السياسية في المجتمع الصهيوني صارت أشد عمقا من أي وقت مضى بعد أن صار اليمين يميل إلى استخدام أغلبيته البرلمانية لحسم خلافاته الفكرية عبر سن مجموعة من القوانين. وعدا ذلك، فإن أغلبية اليمين البرلمانية أسهمت في العقد الأخيرين في تغيير عدد من المبادئ التي نشأت عليها الدولة اليهودية.

ولهذا السبب فإن مراكز الأبحاث الصهيونية صارت ترصد التصدع الداخلي بين أهم الأخطار والتحديات التي تواجه الدولة العبرية في السنوات المقبلة. ومن الواضح أن الحديث عن هذا التصدع باعتباره خطراً وجودياً نجم عن تزايد الحديث عن احتمالات حرب أهلية في الكيان جراء سطوة اليمين المتطرف. وقد بدأ الحديث عن مثل هذه الحرب بعد اغتيال رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق اسحق رابين بسبب إبرامه اتفاقيات أوسلو مع الفلسطينيين. لكن هذه الأحاديث صارت أكثر اتساعا بعدما استشعر الجميع قوة تيار المستوطنين واستعداداته العالية لمنع أي حكومة في الكيان من التوصل لاتفاق سلام مع الفلسطينيين.

ويبدو هذا الكلام عند البعض أقرب إلى الهذر في ظل معرفة الجميع بحجم القوة العسكرية التي يملكها الكيان ومقدار النفوذ الذي يمتلكه وخصوصا في النخبة الأميركية الحاكمة. كما أنه لا يبدو منطقيا في نظر الكثيرين خصوصا في ظل النجاحات السياسية التي يحققها الكيان وخصوصا مع دول عربية يتعاطف ميلها للتطبيع معه. ولكن هذا ليس هو موقف أهم مركز أبحاث في الكيان، وهو مركز دراسات الأمن القومي في جامعة تل أبيب. فقد عدّ المركز أهم خمس تحديات وجودية تواجه الدولة العبرية، وأولها، خطر قيام تحالف عسكري إقليمي ضدها؛ وثانها، مخاطر انتشار السلاح النووي في المنطقة؛ وثالثها، احتمال انهيار المنظومة الدفاعية الصهيونية في مواجهة هجمات صاروخية

استعرض رئيس قسم العمليات في الجيش الصهيوني، الجنرال أهرون حليوة، خريطة التهديدات التي تواجهها الدولة العبرية، وحذر من "تدهور الوضع الأمني"، مبيّنا أن "كل المؤشرات تظهر أن العام 2020 سيكون عامًا سيئًا، وسوف ينطوي على احتمالات سلبية على مصالح إسرائيل".

قبل أن يجف حبر كلام رئيس قسم العمليات، سارع رئيس الأركان الجنرال أفيغ كوخافي في خطابه السنوي في ذكرى وفاة سلفه الجنرال أمنون شاحك، إلى التحذير من اقتراب الحرب مع إيران. وفي الوقت ذاته الذي ألقى فيه كوخافي خطابه في معهد هرتسليا، كان الأمن الصهيوني ينزل للمرة الثانية خلال ثلاثة شهور رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو عن منصة الخطابة وينقله إلى منطقة آمنة بعد إطلاق صواريخ من غزة على عسقلان.

وبدويهي أن الهاجس الأمني، على أهميته، ليس مثار القلق الوحيد في الكيان الصهيوني. فقد فشلت الانتخابات التشريعية التي جرت مرتين خلال العام 2019 في تسهيل إنشاء ائتلاف حكومي مستقر ودفعت نحو إجراء انتخابات ثالثة في مطلع آذار/مارس 2020 لا تتوفر بشأنها أية ضمانات لأن تقرب حل الأزمة الحكومية.

ولا يقتصر الأمر على هذه المسائل، حيث أثارت نية المدعية العامة في المحكمة الجنائية الدولية، فاتو بنسودة، مخاوف إسرائيلية جدية إزاء احتمال أن يكون الكيان الإسرائيلي بات ضمن دائرة الاستهداف القانوني العالمي، برغم التأييد الأميركي العام له.

وإذا أضفنا إلى ذلك تقديرات عدد من الخبراء الاقتصاديين، بأنه رغم الازدهار الاقتصادي الحالي الظاهر في الكيان، فإن الأفق يبدو قاتما نظرا لانعدام فرص التوصل إلى سلام راسخ مع الفلسطينيين.

أزمة هوية الدولة

ومن الجائز أن الحديث عن المخاطر الأمنية لم يُخف خلال الشهور الأخيرة الأزمة الفعلية التي يعيشها الكيان تحت ستار الأزمة الحكومية. وفي نظر الكثير من الخبراء والمعلقين تجتمع في الأزمة القائمة كل مظاهر الأزمة الجوهرية، اجتماعيا وثقافيا وحضاريا، التي تحدد وجهة المجتمع وهوية الدولة. هي، من جهة، عبارة عن أزمة بين من يريدون تغليب البعد القومي الديني، ومن جهة ثانية، هي أزمة يمينية ضيقة، على المظهر الليبرالي الذي حاولت الدولة العبرية التمثيل به على مدى العقود الماضية. وقاد التحالف القومي الديني في العقد الأخير إلى تعاطف الفاشية ليس فقط في

الصهيونية التي أرادت أن تكون «علمانية» لتجمع ليس فقط بين المتدينين وغير المتدينين وإنما بين المتدينين المختلفين أنفسهم صارت، وبالتدرج، تميل أكثر لمصلحة التيار الأوثودوكسي

وقد شرحت الكاتبة انيتا شريبت بالوش ما اعتبرته "عوامل تصدع الجبهة الداخلية"، مشيرة إلى أنها تتعلق بهوية الدولة وتضعف الاضطاف اليهودي فيها". وترى أنه سيكون لمثل هذه الأبعاد آثار سلبية تمس بالهوية الديمقراطية الليبرالية قد تقود إلى احتجاجات على أساس قومي أو عرقي أو أيديولوجي. وتقول إن ذلك كفيل بدفع اليهود للهجرة المضادة، ممن سيشعرون بالخوف من مواصلة العيش في الدولة العبرية أو يفقدون التعاطف معها. وتخلص إلى أن ذلك سيحجج على هجرة العقول وتراجع الاستثمارات وتوقف السياحة، ما سيوسع الفجوة أيضا مع يهود الشتات.

ومن الجائز أن نتائج الانتخابات المقبلة في شهر آذار/مارس سوف تحسم العديد من المسائل لدى جزء غير يسير من سكان الدولة العبرية وأيضاً يهود الشتات وخصوصاً يهود أميركا. ويبدو أنه إذا نجح اليمين في مواصلة السيطرة على الحكم، سواء فاز نتنياهو أو سواه من قادة اليمين، فإن الشرخ مع هذا القطاع سوف يتعمق. وفي المقابل، فإن فوز ما يوصف حالياً بالمعسكر الليبرالي في الحركة الصهيونية قد يدفع المتطرفين المستندين إلى قواعد إستيطانية إلى التمرد.

خلاف ذلك. وإذا نجحت المدعية العامة في المحكمة الجنائية الدولية في فتح تحقيق في جرائم الحرب الإسرائيلية، فإن طوق العزلة سيشتد حول الكيان دولياً برغم الاختراقات الطبيعية الإقليمية (العربية). في كل حال لا يتوقع كثيرون في الكيان أن تنقلب الأمور من النقيض إلى النقيض في الواجهة نحو تحقيق السلام. فتحقيق السلام، وخصوصاً حل الدولتين، يعدو أكثر صعوبة في المستقبل المنظور إن لم يكن بسبب مواقف أغلب الأحزاب الصهيونية، فعلى الأقل بسبب عمق وتوسع الاستيطان. وهذا يجعل توقعات الحرب أو الصدمات العسكرية أكثر ترجيحاً من توقعات السلام. وكما سلف فإن رئيس أركان الجيش الصهيوني تحدث مؤخراً عن تزايد احتمالات الحرب في الشمال. وقد رأى البعض في هذه التصريحات تهيئة الرأي العام الصهيوني لحرب كهذه قد تكون مديدة ومكلفة. لكن آخرين رأوا أن

في الضفة والقدس تجري عمليات قضم متواصلة لأراضي وحقوق الفلسطينيين، فيما يستمر الحصار المفروض على قطاع غزة، وهذا يقرب لحظة الانفجار الكبير



أوستين وينر - أميركا - من مجموعة Artual Gallery

هذه التصريحات بالذات تمهد لمطالبة الجيش بحصة أكبر من كعكة الميزانية السنوية. ويرى معلقون صهاينة أنه برغم الحديث عن خطر اندلاع حرب في الشمال (حزب الله)، فإن الخطر الفعلي هو من احتمال انفجار الوضع في قطاع غزة. وفي هذا السياق، ثمة خلافات كبيرة داخل المؤسسة الصهيونية السياسية والعسكرية حول سبل تحقيق التهدئة مع قطاع غزة على أمل التفرغ للمواجهة في الشمال. ويقول معلقون إن فرص نجاح التهدئة مع قطاع غزة ضعيفة برغم كثرة الأحاديث عن ذلك. وهذا يضع الكيان في مأزق واضح مع الفلسطينيين سواء في الضفة أو القطاع. ففي الضفة والقدس تجري عمليات قضم متواصل لأراضي وحقوق الفلسطينيين، فيما يستمر الحصار المفروض على قطاع غزة، وهذا يقرب لحظة الانفجار الكبير.

يعود للخشية من عواقب ذلك على قرار المدعية العامة في المحكمة الجنائية الدولية، ما يعني أنه برغم التظاهر بالاستعداد للعزلة إلا أن الخشية من الإرادة الدولية تؤخذ أحياناً بالحسبان لدى القيادة الصهيونية.

طوق العزلة يشتد

وهناك الكثير من الإشارات التي صدرت عن محافل دولية مثل الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي تدفع للإعتقاد بأن خطوات أشد قد تتخذ ضد الدولة العبرية في المستقبل القريب. فالدعم الأميركي الصريح لليمين الصهيوني المتطرف لم يمنع المحكمة العليا في الاتحاد الأوروبي من إتخاذ قرار يلزم جميع الدول الأوروبية الأعضاء في الإتحاد بوسم البضائع المنتجة في المستوطنات بوسم خاص وتمييزها عن البضائع المنتجة داخل الخط الأخضر. كذلك الحال مع قرار الجمعية العمومية للأمم المتحدة الذي أعاد التأكيد على أن الأراضي المحتلة عام 1967 بما فيها القدس الشرقية أراض محتلة برغم إعلان إدارة ترامب

وهذا ما يدفع كثيرين في المجتمع الصهيوني للإعراب عن رأيهم بأن الأزمة الراهنة قد تطول لأن الحلول المقترحة لها بعيدة عن أن تكون شافية.

ولا يبدو في هذا السياق أن نجاح الليكود في تكريس منهج التطبيع مع بعض الدول العربية يغير الصورة كثيراً داخل الكيان. فأحد التحديات الوجودية الهامة هي العزلة الدولية التي تواجهها حكومة الكيان أساساً بسبب سياساتها الاحتلالية والإستيطانية. ولا يظهر أن اليمين بصدد التخلي عن منهجه خصوصاً أن نتنياهو، باسم اليمين، يعلن جهاراً نهاراً نيته إعلان ضم غور الأردن والكتل الاستيطانية. كما أن وزير الحرب، نفتالي بينت، قرر في خطوة جديدة تسجيل عقارات المستوطنين في وزارة العدل الصهيونية وليس في الإدارة المدنية التابعة للحكم العسكري. وهذا الأمر يدل على أن الاستعدادات لتحدي الإرادة الدولية تجري على قدم وساق. ومع ذلك، لا بد من الإشارة إلى تصريحات وزير الخارجية، إسرائيل كاتس، وهو من المتطرفين في الليكود، حول أن عدم هدم المباني العربية في الخان الأحمر (محافظة القدس)

إيران والولايات المتحدة.. إستحالة التطبيع

أحمد الدرزي



مارك تانسسي - أميركا - من مجموعة Artual Gallery

اتبع الأميركيون والإيرانيون طرقاً مختلفة للمواجهة في ما بينهما، هي بالأساس طرق غير مباشرة في ساحات متعددة، تعتمد على حلفاء كلا الطرفين، وتظهرت بأشكال متعددة حسب كل مرحلة من المراحل، وقد تداخلت هذه الأشكال إلى حد الاندماج، بحيث تشابك الفعل العسكري والاقتصادي والإعلامي والثقافي، وقد استخدمت الولايات المتحدة سطوتها الاقتصادية والإعلامية والمعلوماتية والاستخباراتية لإثارة الفوضى والحرب الأهلية في كل من سوريا واليمن والعراق، ونجحت بذلك إلى حد كبير، مما شكل ضغطاً هائلاً على إيران وحلفائها، وما زالت محاولاتها مستمرة في الداخل الإيراني، قبل أن تفرز قضية إغتيال قاسم سليماني معادلات جديدة في الداخل الإيراني، كما في الإقليم، لمصلحة النظام الإيراني.

العسكرية مع الولايات المتحدة في حروب غير مباشرة بين الطرفين في كل من أفغانستان والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين واليمن، ما زعزع موقف حلفاء واشنطن في دول الخليج وإسرائيل بالدرجة الأولى. تدرك الولايات المتحدة أنها تعيش مخاطر انحسار تفردتها واستثنائها بالقرار الدولي، وما سيترب على ذلك من فقدانها لمصالحها الاقتصادية القائمة على نهب ثروات الشعوب، وتعتبر أن أكبر الأخطار على مكانتها العالمية هو التقدم الكبير للمشروع الصيني، الذي ينافسها بقوته الناعمة في آسيا وإفريقيا، وما يعزز الخطر الصيني هو عودة روسيا إلى المشهد الدولي، عسكرياً وسياسياً، وتحالفها مع الصين في مواجهة السياسات الأميركية المتبعة، وطرحها للمشروع الأوراسي الذي يتقاطع مع المشروع الصيني على مستوى آسيا كمرحلة أولى وأساسية، وعلى أوروبا كمرحلة ثانية.

بالإضافة إلى الخصمين الدوليين، الصيني والروسي، كانت خسارة الولايات المتحدة لإيران عام 1979 بمثابة الكارثة، وخاصة بعد أن تحولت الجمهورية الإسلامية في العقد الأخير إلى قوة إقليمية عظمى، لها تأثيرها الفاعل على مجمل الجغرافيا السياسية لغرب آسيا، وأهمها "إسرائيل" وتراجع دورها الوظيفي في المشرق عموماً، بالإضافة إلى أفغانستان وباكستان، وهو ما جعل الولايات المتحدة تعتقد جازماً بأن قارة آسيا بأكملها هي التي ستحدد مصير النظام الدولي القديم ومكانتها في أي نظام جديد قادم، ولذلك تعمل على محاصرة الصين وروسيا، والعمل على خلق عدم الاستقرار فيهما، وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه إلا بتقطيع أوصال القارة ومنع تواصلها البري مع بعضها البعض، وما يحقق لها مجموعة واسعة من الأهداف هو إعادة السيطرة على إيران، فهي بذلك ستدفع بالصين للتوقيع في شرق آسيا بعد قطع طرق النقل البرية التي تعمل على بنائها كبديل عن طرق النقل البحرية، وإعادة السيطرة على مخزون النفط والغاز وطرق نقله إلى الهند والصين، مما يكسبها ورقة قوية للضغط على اقتصاد الصين بشكل أساسي، ويعزز من مكانة الدولار كعملة وحيدة للتبادل التجاري الدولي، وكذلك الأمر بالنسبة لروسيا التي ستفقد - في حال نجاح الأميركيين - حليفاً استراتيجياً لا غنى عنه في سوريا ولبنان والعراق والبحر الأحمر والخليج وأفغانستان، وسيحرمها من الوصول البري إلى المحيط الهندي وبحر العرب والخليج، كما أن الأمر سيؤدي لانهايار محور المقاومة، مما يؤمن بدوره وضعياً "إسرائيل" في كامل المنطقة ويعيد لها وظيفتها، وعودة السيطرة الأميركية على تركيا التي تحاول بناء مشروعها الإمبراطوري الجديد.

استراتيجيات المواجهة

تجاوز التعداد السكاني لإيران حدود الثمانين مليون نسمة، وهم يقطنون في بيئة جغرافية شديدة التنوع ذات مساحة كبيرة تطل بها على آسيا الوسطى وروسيا شمالاً، وجبال الهندكوش وشبه القارة الهندية شرقاً، وعلى بحر العرب والخليج وبلاد الرافدين وهضبة الأناضول غرباً.

تمتلك إيران ثالث مخزون نفطي على المستوى العالمي وبما يتجاوز 133 مليار برميل من النفط، وثاني مخزون عالمي من الغاز وبما يزيد عن 970 ترليون قدم مكعب من الغاز، وهي الدولة الأقوى والأقرب لأهم مخزون عالمي في الخليج، والذي يملك ما يقارب 55 في المئة من المخزون العالمي من النفط و40% منه من الغاز. كما أنها تمسك بأهم الممرات البحرية عالمياً في مضيق هرمز بشكل مباشر، والبحر الأحمر بشكل غير مباشر، وترتكز إلى تاريخ إمبراطوري عريق، حيث كانت مهداً لأول دولة عظمى عرفتها البشرية في العالم القديم، واستمرت لقرون من الزمن، ما زالت تعبر عن نفسها اعتزازاً وحلماً لدى الإيرانيين، مترافقاً بعد ثقافي مُستقطب لمحيطه الواسع من العراق غرباً إلى عمق القارة الهندية وأفغانستان وآسيا الوسطى.

كل ذلك، دفع بالشخصية الإيرانية لأن تتشكل تاريخياً بنزعة استقلالية متجذرة في الوعي الجمعي، وترافقت مع توجس وقلق من الأجنبي عموماً، والغربي خصوصاً. وتدل طبيعة المواجهات مع الغرب - والتي بدأت مع ثورة التبناك عام 1891 - برفض شعبي عارم لمنح إنكلترا امتيازاً حصرياً للتبناك وحركة تأميم النفط بقيادة رئيس الوزراء محمد مصدق، وحركة 15 خرداد عام 1963، ثم نجاح الثورة الخمينية عام 1979، التي دشنت صراعاً مفتوحاً مع الغرب ما زال مستمراً حتى الآن. كل ذلك، جعلها تحظى بالجغرافيا الرئيسية في وسط وغرب آسيا، من حيث الموقع والسكان وموارد الطاقة والخصوبة الثقافية، وتصبح ذات أهمية محورية للجغرافيا السياسية العالمية.

آسيا ركيزة نظام دولي جديد

ترافقت التحولات الإيرانية مع تحولات عالمية، ونهضة وصعود قوى آسيوية إلى مرتبة الدول العظمى، والتي تسعى لتشكيل نظام دولي جديد متعدد الأقطاب، وتمثل الصين وروسيا أساساً لهذا المشروع، واستطاعت هذه الدول الثلاث أن تشكل تحالفاً غير معلن في ما بينها تمثل فيه إيران جبهة المواجهة

التي هي أقرب للهدنة والمُساكنة المؤقتة في أغلب الساحات، ويدرك الطرفان بأنهما لا يستطيعان التخلي عن استراتيجيتهما المتناقضتين، وكلاهما يعتبر الطرف الآخر تهديداً وجودياً له، وهما يدركان أن الزمن الحاكم للمواجهة هو زمن طويل مرتبط بالتحويلات الدولية العميقة لتشكيل نظام دولي جديد.

وبرغم القدرات الأميركية الكبيرة المستخدمة لإخضاع إيران، فإن واشنطن تدرك أن هناك قوة إقليمية متعاظمة استطاعت اتباع استراتيجية الدفاع المتوسع في كل غرب آسيا، بعد أن حولت الهجوم عليها وعلى حلفائها إلى فشل، مما جعلها تملأ الفراغ، وتصبح نداً لها على مستوى الإقليم كله، ما يؤكد أن إمكانية تطبيع العلاقة بين الطرفين هي أقرب إلى الاستحالة، وستستمر المحاولات الأميركية لمنع تحقيق النهوض الآسيوي الشامل المُهدد لوجودها، وفي الوقت نفسه، ستستمر إيران بمحاولاتها إخراج الأميركيين من غرب

ل طالما استطاعت إيران أن تحوّل التهديدات إلى فرصة بعد أن أدركت عدم قدرتها على منع الحضور العسكري الأميركي في المنطقة، فكانت كلمة الرئيس الإيراني الراحل هاشمي رفسنجاني لمواجهة الاحتلال الأميركي للعراق: "دعهم يأتون، دعهم يموتون" خير تعبير عن طبيعة السياسات الإيرانية المتبعة، مما جعل الجنود الأميركيين بين فكي العمليات العسكرية لحلفاء طهران وبين التهديدات الصاروخية الإيرانية المكثفة. وفي

في المقابل، أدركت إيران حجم الفارق الهائل بين القوتين، فاستخدمت حنكتها لتحويل التهديدات إلى فرص، فلجأت إلى إنشاء حلف المتضررين من السياسات الغربية بالعموم، ومن السياسات الأميركية بالخصوص، ونجحت بذلك بشكل كبير في سوريا ولبنان وفلسطين واليمن، وبشكل جزئي في العراق، واتبعت سياسة استهداف نقاط ضعف أعدائها بنقاط قوتها، فلجأت لاتباع أسلوب الحرب اللامتماثلة للدفاع

إن إمكانية تطبيع العلاقة بين الطرفين هي أقرب للاستحالة، وستستمر المحاولات الأميركية لمنع تحقيق النهوض الآسيوي الشامل المُهدد لوجودها



آسيا الذي سيترتب عليه خروجهم من كامل القارة، مما سيؤسس لنظام دولي جديد عماده قوتان عظيمتان، وقوة إقليمية عظمى وانتظار القوة التركية التي ستصبح القوة الإقليمية الثانية في حال اختارت التوجه شرقاً، باتجاه روسيا وإيران التي تربطها بها أيضاً حدود من الشمال الغربي، ومصالح أمنية واقتصادية، وتبادل تجاري بمليارات الدولارات، وعلاقة تاريخية لأكثر من خمسمئة عام، وغيرت استراتيجيتها من منطلق الهيمنة إلى التعاون، ما يعني حل القضايا الخلافية بين الطرفين (سوريا وحلف الناتو) بشكل رئيس، وتعزيز مشروع إخراج الأميركيين من كل المنطقة.

(*) باحث وكاتب، سوريا

الوقت نفسه، استطاعت أن تتعاطى مع وتر آخيل الغرب "إسرائيل" بمواجهة عسكرية بدأت مع احتلال الجنوب اللبناني عام 1982، وما زالت مستمرة حتى الآن بعد نجاح حزب الله في تحرير الجنوب في عام 2000، وتحوله إلى رقم صعب في المعادلة الإقليمية، وكذلك الأمر لحلفائها في فلسطين واليمن.

إخراج الأميركيين من المنطقة

ولم تغب المواجهة الدبلوماسية عن العلاقة بين الطرفين، فكان لا بد من قنوات سرية للتواصل بين الطرفين، وخاصة القناة العُمانية لرسم حدود المواجهة بينهما، ومنع الصدام العسكري المباشر في أكثر من ساحة، وهذا ترتب عليه مجموعة من التفاهات

عن مصالحها ومصالح حلفائها، وهي تستند بذلك إلى حليف صيني داعم لها، ويربط مصيره بمصيرها، وحليف روسي يكتشف بشكل متلاحق أهميتها له.

آفاق المواجهة إلى أين؟

هدفت السياسات الأميركية المتبعة بعد احتلال العراق للكويت لاستثمار الفرصة، وتهيئة الأرضية المناسبة لحضور عسكري كبير في الخليج، ثم محاصرة العراق لاحتلاله، وقد فعلت ذلك بعد أن استثمرت تدمير برج مركز التجارة العالمي المشبوه في نيويورك عام 2001 باحتلال أفغانستان، وأتبع ذلك باحتلال العراق عام 2003، مما وضع إيران بين فكي كمامشة عسكرية من الشرق والغرب والجنوب الغربي.

داخل عقل كوهين.. الرجل الذي يقود إسرائيل

علي شهاب

العام 1984، أولى أهمية خاصة لبرامج "الموساد" المرتبطة بتحليل البيانات الضخمة وبعقد شركات وتفاهات مع شركات الـ"هاي تك" الإسرائيلية. إهتمام كوهين بالتكنولوجيا عكسه بإنشاء وحدة الكترونية تضم ألفي عنصر، في حين أن عدد بقية وحدات "الموساد" بأكمله 6500 عنصر، فضلاً عن ألف متعاقد. وكما أثبت الرجل اتقانه لعبة الإعلام، فهو اتخذ خطوات غير مسبوقه على صعيد إدارة "الموساد" الذي بات يمتلك برنامجاً علمياً لتمويل ودعم أي شاب أو مجموعة شابة لديها فكرة ابتكار تكنولوجيا يمكن الاستفادة منه.

إسرائيل 2020.. ماذا سيتغير؟

سيواصل يوسي كوهين، الرمز الجديد القادم من فئة "الصابرا" (الإسرائيليون المولودون في الأراضي المحتلة)، سياسة الإغتيالات النوعية لخصوم إسرائيل، بالإستناد إلى البنية والموارد التي ستوفرها المزيد من العلاقات والتغلغل في البيئات الإقليمية في الشرق الأوسط. هو نفسه علق في مقابله في "ميشاخا" على إطلالة قاسم سليمانى التلفزيونية الأخيرة (التي عرض فيها وقائع من حرب تموز/يوليو 2006 عندما إنتقل من سوريا إلى لبنان برفقة عماد مغنية وأدار المعركة مع السيد حسن نصرالله) بالقول إن "قاسم سليمانى يعلم أن التخلص منه ليس مستحيلاً".

لا يمكن اعتبار هذا التصريح تيجاً إسرائيلياً بهدف الترويج للقوة، فالمعروف عن "سليمانى" حركته الميدانية الناشطة، والتي تزيد بطبيعة الحال من احتمالات استهدافه. وبغض النظر عن مآلات المواجهة الإيرانية - الإسرائيلية المفترضة، فإن حركة الطيران الإسرائيلي المتواصلة فوق غزة وجميع الأراضي اللبنانية في الأشهر القليلة الماضية وبلوغ الغارات الإسرائيلية الأراضي السورية والعراقية، تؤكد الإتجاه الإسرائيلي نحو تعزيز بنك الأهداف على مستوى أشد تحديداً من المواقع العسكرية أو المنصات الصاروخية، بل نحن أمام نشاط جوي شديد الإنخفاض بشكل غير مسبوق يهدف إلى "التشخيص" على مستوى الأفراد.

وفي مقابله مع مجلة "ميشاخا" ذاتها، لا يتردد كوهين في الإجابة عن سؤال حول اغتيال فادي البطش؛ المهندس في "حماس"، في ماليزيا بالقول إن حماس قررت عدم التحدث عن الإغتيالات التي تطال كوادرها حول العالم. في الشق السياسي، لا يخفي كوهين طموحاته السياسية، وعلى الرغم من قوله إنه لم يقرر بعد بشكل حاسم، فإنه يصرح بوضوح أنه يرى نفسه في القيادة الإسرائيلية في المستقبل. "الناس يقولون لي أن استطيع ارتداء حذاء ننتياهو"، يقول كوهين.

بكل الأحوال، سيتعين على مدير "الموساد" الإبتعاد لثلاثة أعوام عن الحقل العام بعد انتهاء ولايته المؤلفة من خمس سنوات بدأها في مطلع العام 2016، وتنتهي في العام 2021 قبل أن يكون بمقدوره الانخراط في العمل السياسي. لكن كوهين يجهر لتلك المرحلة التي يقود فيها إسرائيل سياسياً، كما يقودها أمنياً في الوقت الراهن.



عن صحيفة العرب

شقة عشوائية في أحد مباني "تل أبيب" واقناع صاحبه بالخروج إلى الشرفة والاشارة بإصبعه إلى شجرة في الشارع! يهدف هذا الاختبار إلى قياس مدى قدرة المتدرب على الاقتناع.

ليست محاولات كوهين لاختراق الدول العربية جديدة، فعهد السلف تامير باردو تركّز على العمليات "خلف خطوط العدو"، مع ما يتطلب ذلك من نسج علاقات لأهداف عملية.

لكن "النقلة" التي شهدتها جهاز "الموساد" ما بين عهد المدير السابق والمدير الحالي، يمكن وصفه عبر استعراض خبرات باردو وخبرات خلفه كوهين.

فالأول، كان رئيس شعبة "نفيעות" التقنية المسؤولة عن التسلسل إلى أهداف مختلفة بهدف زرع أجهزة للتنصت والتصوير وعمليات أخرى ميدانية. في حين أن كوهين معروف بخبرته الواسعة في مجال الاستخبارات البشرية؛ أي "يومينيت"، التي ترتبط بتجنيد وتشغيل العملاء.

يمكن بوضوح ملاحظة بصمات كوهين على جهاز "الموساد" في الأعوام الثلاثة الماضية، فالعامل المشترك بين العديد من العمليات الأمنية الإسرائيلية هو التجنيد البشري الذي نجح في اختراق حتى "داعش"، المنظمة الشديدة الأدلجة.

لكن العمل الأمني لم يكن وحده العلامة الدامغة لعهد كوهين بل إن "العلاقات العامة" التي يجيدها الرجل الدائم الأناقة شكّلت العنصر الأهم في أدوات الهجوم الإسرائيلي باتجاه كسر بيئة التهديدات الاستراتيجية، فاستطاع مدير "الموساد" نسج شبكة من العلاقات مع دول خليجية وعربية عديدة ودفع بهذه العلاقات إلى مستويات غير مسبوقه، حتى بات الحديث عن المصالح المشتركة والتعاون والرحلات الجوية والخطر الإيراني المشترك أمراً مألوفاً في الكواليس كما على المنابر السياسية والإعلامية. ولأن الثورة التكنولوجية تستند إلى القدرة على تحليل المعلومات والبيانات، فإن يوسي كوهين؛ ضابط جمع المعلومات السابق ورئيس بعثة "الموساد" إلى أوروبا في

في العاشر من شهر تشرين الأول/أكتوبر 2019، أجرت مجلة "ميشاخا" (العائلة) العبرية مقابلة نادرة مع مدير جهاز "الموساد" يوسي كوهين قال مخاطباً فيها قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليمانى "عليه أن يعلم أن التخلص منه ليس مستحيلاً!"

على عكس أسلافه الذين لم تُعرف عن الكثيرين منهم هوياتهم الحقيقية، يحرص ديفيد كوهين على لقاء الصحفيين، سواء أكانوا إسرائيليين أم من الأجانب، ضمن مجموعات صغيرة في مكتبه في مقر "الموساد" عند تقاطع الطرق "جليلوت" شمال تل أبيب.

ساهم إنفتاح الرجل الأمني على الإعلام في رسم إنطباع غير مألوف عن جهاز معروف بالدموية والمكر والخداع، فصارت "كاريزما" المدير الحالي لجهاز "الموساد" هي الصورة الذهنية الحاضرة عند ذكر اسم الجهاز وأعماله. وهي صورة تطغى عليها أناقة وإبتسامه دائمتين بالنسبة لعامة الجمهور، والرقى والعمق لمن يدرك خطورة دور يوسي كوهين.

اتخذت المقابلة مع مجلة "ميشاخا" عدة أبعاد في هذا التوقيت بالذات، ما بين الرد على تعاطف قدرات المقاومة الفلسطينية في غزة والأزمة السياسية الإسرائيلية والتعليق على الظهور الإعلامي التلفزيوني للجنرال قاسم سليمانى، قائد فيلق "القدس" في الحرس الثوري الإيراني (قبيل إغتياله بصواريخ أميركية).

لا بدّ من مراجعة موجزة للسيرة الذاتية ليوسي كوهين الذي يعتبره رئيس الوزراء الحالي بنيامين نتنياهو وكثيرون من طبقة الأغنياء في إسرائيل أحد المرشحين الجذيين المؤهلين لقيادة الدولة العبرية في السنوات المقبلة. مدير العلاقات العامة الإسرائيلية.. "الناعمة"

حين تولى يوسي كوهين مهامه في كانون الثاني/يناير 2016، كانت الملامح المسيطرة على المشهد الإقليمي المحيط بإسرائيل هو صعود إيران وحلفائها بعد نجاحهم في منع انهيار النظام السوري، تحويل اليمن إلى مستنقع موحل للسعودية واستيعاب تهديدات "داعش" في العراق بعد اكتمال البنية التحتية والأمنية للقوات الحكومية مدعومة بـ"الحشد الشعبي". وقبل كل ذلك، صعود نوعي في قدرات الفصائل الفلسطينية في قطاع غزة.

بمعنى أن اللحظة التي استلم فيها كوهين منصبه كمدير للموساد خلفاً للجنرال تامير باردو كانت شديدة الحساسية كونها حملت تحولاً نوعياً في البيئة الاستراتيجية الإسرائيلية من التهديد الأحادي إلى التهديد المتعدد الجبهات. سرعان ما شرع كوهين في كسر "الحصار" الاستراتيجي غير المعلن عن إسرائيل باختراق دول الخليج، وعلى رأسها السعودية والإمارات، مستنداً إلى مهاراته في العلاقات العامة.

ويُحكى أن أحد الإختبارات الأمنية التي كان كوهين يطلبها من المتدربين في الجهاز قبل ترؤسه، الصعود إلى

مايكل داندريا . « أمير الظلام »

تعددت صفاته واسماؤه. في وكالة الاستخبارات المركزية يسمونه "أمير الظلام" أو "الملا اندريا" أو "آية الله مايكل". في هوليوود هو "الذئب" الذي خلده فيلم "زبرو دارك ثيرتي"، الذي تدور أحداثه حول تعقب أسامة بن لادن. أما بالنسبة إلى الرأي العام، فقد ظل حتى وقت قريب "لا أحد"!

مايكل داندريا، عميل الاستخبارات الأميركية، اختاره دونالد ترامب مسؤولاً لملف إيران في وكالة الاستخبارات المركزية ("سي أي آيه")، التي خدم فيها لسنوات في الظل، وساهم، من خلال عمله، في قتل المئات، دونما تفرقة بين "إرهابي" أو "مدني".

داندريا، الستيني، اعتنق الاسلام، وشارك بقوة في الحرب على المجموعات "الجهادية"، وكان مسؤولاً عن "مركز مكافحة الإرهاب" في وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية، خلال سنوات الالفين، حيث اشرف على مطاردة زعيم تنظيم "القاعدة" أسامة بن لادن، الذي قُتل في غارة للقوات الخاصة الاميركية في باكستان في أيار/مايو العام 2011.

كذلك، أدار داندريا برنامج "الاغتيالات المحددة الهدف" خلال عهد براك أوباما، والذي اتاح قتل الاف "الجهاديين" مع مدنيين في باكستان وأفغانستان بطائرات من دون طيار..

لا يهوى مايكل داندريا الأضواء، فبرغم عمله في وكالة الاستخبارات المركزية منذ العام 1979، إلا أن اسمه ظل مجهولاً، حتى شهر نيسان/أبريل من العام 2015، حين تمكن الصحفي في صحيفة "نيويورك تايمز" مارك مازيتي من كشف بعض من تفاصيل "أمير الظلام"، وذلك بعد شهر من مغادرته منصبه كمدير لـ "مركز مكافحة الإرهاب" في "سي أي آيه".

يومها، تمكن مازيتي من التعرف إلى هذا الشخص، الذي كان يُعرف في السابق باسم "روجر"، بصفته المسؤول الأول عن توسيع عمليات الاغتيال عبر الطائرات من دون طيار، طوال تسع سنوات من ترؤسه "مركز مكافحة الإرهاب". هذا الكشف أتى حينها على خلفية بعد مقتل رهيبتين غريبتين في قصف قامت به طائرة من دون طيار تابعة لوكالة الاستخبارات المركزية الاميركية في باكستان.

باشر داندريا - ينحدر من عائلة في نورث فيرجينيا - عمله في الـ "سي أي آيه"، منذ العام 1979، عندما بدأ التدريب في منشأة فرجينيا، المعروفة باسم "المزرعة".

تنقل صحيفة "واشنطن بوست" عن أحد زملاء داندريا السابقين إنه "رجل حكيم" حصل على "درجات متوسطة جداً في عمله المكتوب".

بعد إنهاء خدمته في "المزرعة"، تم إرسال داندريا إلى إفريقيا، حيث خدم هناك بضع سنوات، ثم بدأ يتسلق السلم الوظيفي، ليشغل منصب قائد عمليات مركز مكافحة الإرهاب، في ذروة الحرب على العراق عام 2003. خلال توليه أهم منصب استخباراتي للولايات المتحدة في

العراق، تعزف إلى امرأة مسلمة، وتزوّج منها، ويُقال أنها ألهمت تحوّله إلى الإسلام".

في شباط/فبراير من العام 2006، تم استدعاء داندريا إلى الولايات المتحدة، حيث تولى منصب مدير "مركز مكافحة الإرهاب"، وهو منصب حساس للغاية، لدرجة أن أسلافه لم يعمرؤا في الموقع نفسه أكثر من ثلاث سنوات. لكن داندريا قبل التحدي، وبقي في منصب مدير "مركز مكافحة الإرهاب" تسع سنوات، أي ثلاثة أضعاف متوسط الفترة التي كان يمضيها المدراء السابقون في هذا المنصب.

يقال أن داندريا ألقى بنفسه سريعاً في منصبه الجديد: كان يصل إلى عمله قبل الفجر، وكان أحياناً ينام في مكتبه بدلاً من العودة إلى المنزل. واستأنف عادة التدخين بعدما تمكن من الإقلاع عنها لنحو عقد من الزمن.

وشارك داندريا، حتى قبل تسلمه منصبه الجديد، بعمق، في برنامج الاعتقال والاستجواب، الذي أدى إلى تعذيب عدد من السجناء، والذي أدين في تقرير شامل لمجلس الشيوخ في العام 2014، حيث وُصف بأنه غير إنساني وغير فعال. ولم يتم الإعلان إلا عن الموجز التنفيذي لهذا التقرير، الذي يقع في 6700 صفحة، ومن غير المرجح الكشف عن المزيد مما تضمنه، بعد إجراء اتخذه إدارة دونالد ترامب في هذا السياق.

شارك داندريا في برنامج

الاعتقال والاستجواب، الذي أدى

إلى تعذيب عدد من السجناء

شارك داندريا بعمق في برنامج الاعتقال والاستجواب الذي أدى إلى تعذيب عدد من السجناء. وفي الوقت ذاته، بدأ داندريا بتصعيد برنامج الطائرات من دون طيار داخل باكستان، والذي أصبح أداة مكافحة الإرهاب المفضلة للرئيس براك أوباما، الذي وافق شخصياً على الضربات التي تستهدف القادة "المتشددين".

وعندما تولى داندريا منصب رئيس "مركز مكافحة الإرهاب"، لم تكن هناك سوى حفنة من طائرات من دون طيار تعمل في باكستان، وكانت هناك ثلاث ضربات فقط في تلك السنة، ولكن بحلول العام 2010، بلغت حملة الطائرات من دون طيار ذروتها، إذ نفذت الولايات المتحدة 117 ضربة ضد مقاتلي "القاعدة" وغيرهم من "الجهاديين" الذين احتموا في المناطق القبلية الجبلية، والتي تمتد على طول الحدود الشمالية الغربية الباكستانية مع أفغانستان.

كما وسعت وكالة الاستخبارات المركزية برنامجها من

الطائرات من دون طيار إلى اليمن تحت إشراف داندريا شخصياً، الذي يشهد الكثيرون على قيامه بدور أساسي في إضعاف "القاعدة".

ولكن داندريا واجه أيضاً الكثير من الانتكاسات، وأبرزها قيام عميل مزدوج في "القاعدة" بتفجير نفسه في قاعدة أميركية في أفغانستان، ما أسفر عن مقتل سبعة من عناصر الـ "سي أي آيه". وفي كانون الثاني/يناير من العام 2015، أصابت طائرة من دون طيار مقر تنظيم "القاعدة" في باكستان، حيث كان المسلحون يحتجزون رهيبتين: وارن وينشتاين، وهو عامل في المعونة الإنسانية ومستشار اقتصادي، وجيوفاني لو بورتو (37 عاماً) الإيطالي، وقد قتل الرجلان في تلك الغارة.

بحسب "نيويورك تايمز"، فإن عملاء داندريا قاموا بدور محوري في اغتيال القيادي الكبير في "حزب الله" عماد مغنية، بالتعاون مع الإسرائيليين، في العاصمة السورية في العام 2008.

الأشخاص الذين عملوا مع داندريا لا يذكرونه باعتزاز، إذ كثيراً ما كان يسيء إلى رؤوسه ويوتخهم، باعتبار أن "عملهم هو الأسوأ على الإطلاق"، كما كان يُردد، وكثيراً ما يؤخذ عليه توسيعه لحرب الاغتيالات عبر الطائرات من دون طيار، والتي أدت إلى مقتل الكثير من المدنيين، بما في ذلك رعايا غربيين، كما حدث في باكستان.

بالرغم من ذلك، لا ينكر أحد خبرة داندريا، حتى أن مايكل موريل، نائب مدير وكالة الاستخبارات المركزية السابق، وصفه، بعيد تسليمه الملف الإيراني، بأنه "واحد من أرقى ضباط الاستخبارات في جيله"، مشيراً إلى أن "الإيرانيين سيتساءلون بالتأكيد عما يعنيه تعيين داندريا بالنسبة إليهم".

منذ البدء، نُظر إلى تعيين داندريا في منصبه "الإيراني" ترجمة للموقف المتشدد لإدارة الرئيس الأميركي دونالد ترامب تجاه الجمهورية الإسلامية، وهو ما أكده تسلسل الأحداث منذ ذلك الحين، ابتداءً بانسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي، وصولاً إلى اغتيال قائد "فيلق القدس" الجنرال قاسم سليماني وأحد أبرز أذرع إيران في العراق نائب رئيس الحشد الشعبي أبو مهدي المهندس.

ليست مهمة داندريا سهلة بطبيعة الحال، فعلاوة على التأزم المستمر في المعركة مع إيران، والتي بلغت مستوى غير مسبوق في عهد ترامب، خصوصاً في الأشهر الأخيرة، فإن الولايات المتحدة لا تملك سفارة في طهران، لتوفير الغطاء الدبلوماسي للأنشطة الاستخباراتية، علاوة على أن أجهزة الأمن الإيرانية لديها تاريخ طويل من اليقظة، لا بل أنها تبدي تشدداً تجاه أي شخص يشتبه في ارتباطه بالأميركيين. برغم ذلك، يقول المحامي السابق في وكالة الاستخبارات المركزية روبرت ايننغر لـ "نيويورك تايمز" إن داندريا هو مناسب تماماً للقيام بهذه المهمة، فهو "قادر على إدارة برنامج عدواني جداً... ولكن بذكاء شديد".

على الأرجح، سيكون العراق هو ساحة الإشتباك المباشر، فيما يستخدم فريق أندريا القوة الناعمة في التعامل مع الساحة الإيرانية.

(خاص 180)

عباس كامل.. رجل «ما بعد الدولة»



حلمي التوني - مصر

السابق الذكر، واللذين يتأرجحان بين عدم الانعتاق بشكل تام من المبادئ الأساسية لفكرة الدولة، مثل مركزية صناعة واتخاذ القرار، والتحرر من قيد الدولة كمؤسسة معنية بالتخطيط والاستراتيجية في إطار السيادة الوطنية وسيادة القانون، لحساب الشركانية وانفلاتها واستعدادها لأي حوكمة ورشادة، والاهتمام فقط بالدعائية والترويجية واعتبارها نجاحًا في حد ذاته، وهو النمط المهيمن في أنظمة الحكم في مختلف بلدان المنطقة والعالم حاليًا في هذه المرحلة المتأخرة من الرأسمالية.

وبخلاف المناصب الرسمية ومدى صلاحياتها، فإن خصوصية عباس كامل لا تنحصر في مسميات إعلامية مثل "الذراع اليميني" و"ظل الرئيس" و"الرجل الثاني"، والتي تحصره في قربه والتصاقه بالرئيس عبد الفتاح السيسي منذ العام 2010، إبان تولي الأخير رئاسة المخابرات الحربية، بل لكون إسمه يرتبط بالمرحلة الراهنة في تاريخ مصر وهندستها على مستويات عديدة، أهمها إخراج الصورة الذهنية في الداخل والخارج للنظام، وكذلك صورته الإعلامية في حقبة استثنائية تحول فيها

بحد أدنى، والتي تخطت مفهوم المؤسساتية ومركزية اتخاذ وتنفيذه عبر مؤسسات الدولة، والتي هي من السمات الرئيسية للدولة المصرية في التاريخ المعاصر.

هندسة "شبه الدولة" إلى "ما بعد الدولة"

التحولات التي شهدتها مصر في السنوات الأخيرة على مستوى الحكم لا تأتي ضمن صيرورة تبدل الأنظمة بعد انتفاضات شعبية متتالية فحسب، ولكن كانعكاس للتوجه الحاد القائم حاليًا نحو اقتصاد نيوليبرالي يتعارض في أقصى أوجهه مع فكرة المؤسساتية وسيادة مفهوم الدولة، وفي نفس الوقت، يحد من هامش المشاركة السياسية والاجتماعية، وإن كانت شكلية، لصالح أنماط شركانية في السياسة كما للاقتصاد تقودها الأوليغارشية الحاكمة، وهي، بشقيها السياسي والاقتصادي، وليدة وريثة الدولة ومؤسساتها.

من هنا تكمن أهمية شخصية مثل شخصية عباس كامل، تتوافر فيها متطلبات المكونين المتناقضين

تصعب الكتابة عن رئيس جهاز المخابرات العامة في مصر اللواء عباس كامل. ليس السبب في ذلك المحاذير والصعوبات المصاحبة لسيرة شخص من أهل الظل، بحكم المناصب الاستخباراتية التي يشغلها فحسب، بل لأنه لا يشبه أقرانه ممن اتخذوا موقعًا لصيقًا بحاكم مصر في تاريخها الحديث.

يشكل عباس كامل حالة استثنائية في وقت استثنائي يجعلان المقارنات والتشبيهات بأقرانه ممن تولوا المناصب الأمنية في مصر تنقزم من حيث حجم ومدى الصلاحيات والمهام التي أوكلت إليه، قياسًا بمن امتلكوها في عهود رؤساء سابقين للجمهورية، وكذلك الأدوار التي اضطلع بها في الداخل والخارج منذ العام

الدولة بوصفها "المؤسسة" الأولى لممارسة السياسة واحتكار العنف حسب يورغن هابرماس وماكس فيبر، إلى نمط شركاتي مرن إلى حد الانفلات يتنافر مع فكرة المؤسساتية وسيادة القانون التي تميز الدول الحديثة بغض النظر عن مدى تقدمها أو تخلفها على مقاييس الديمقراطية الحديثة، وتمدد مرحلة الاستثناء واللحظة الانتقالية إلى وضع مستمر لمفهوم السيادة والحكم. هذا النمط يصفه الفيلسوف والمؤرخ الإيطالي جورجيو أغامبين، في كتابه "حالة الاستثناء" بأنه الحالة التي تعطل فيها السلطة سيادة القانون والفصل بين السلطات وغيرها من المبادئ التي تقوم عليها مؤسسة "الدولة" بداعي أن هناك خطرًا ما في لحظة استثنائية، وتباعدًا يتولى أشخاص هذه السلطة بناء سرديّة مركبة وشبكة علاقات متعددة المستويات وآلية عقابية تتجاوز فكرة المؤسساتية، الهدف منها تمديد صلاحية هذا

الأصعدة والمواقع الإدارية والتنفيذية والسياسية. ولكن الأهم هنا هي الثقة المتبادلة التي تميز العلاقة بين عبد الفتاح السيسي وعباس كامل، والمكتسبة عمليًا باطراد من خلال اختبارها خلال الفترة الحرجة منذ 2011 وحتى بعد انتخابات الرئاسة عام 2014، والتي بقي فيها كامل لصيقًا بالسيسي ويشغل رسميًا منصب مدير مكتبه، سواء كمدير لجهاز المخابرات الحربية أو كوزير للدفاع ثم رئيسًا للجمهورية، مع تجاوز المهمات والملفات التي تولاهها لحدود هذا المنصب الذي كان إداريًا حتى عهد حسني مبارك، ولم يكن يتطلب امتلاكه شغل خبرات أمنية واستخباراتية كذلك التي يمتلكها عباس والتي تجعله "متعدد المهام وذا عقل موجه"، وفقًا لتوصيف موقع "انتيجنيس اونلاين"، ويتولى ملفات داخلية وخارجية تفوق لقبه الرسمي، وتجعله الاستثناء في عملية الفترة التي يقوم بها السيسي من حين إلى آخر في مختلف المؤسسات والمناصب مهما كانت درجة كفاءة وولاء صاحبها أو قوة صلته أو حتى قرابته له.

هذا الاستثناء جعل عباس كامل الهدف الثابت - مع السيسي - في التصويب على رموز النظام المصري المتغيرين باستمرار؛ فقد بدأ استهدافه بصفته أهم رموز الصفوف الثانية لرموز نظام ما بعد "30 يونيو"، ولكن سرعان ما زاد هذا التصويب باطراد مع توسع سلطاته وصلاحياته والملفات الموكلة إليه داخليًا وخارجيًا، والتي جعلت إسمه مرتبطًا بسلسلة التسريبات الشهيرة بين عامي 2014 و2015، والتي أوضحت المعالم الأولى لموقع الرجل وأهميته، وأنه بشخصه وحجم المهام والملفات الموكلة إليه وشبكة العلاقات التي نجح في نسجها داخليًا وخارجيًا أكبر من حسابه على الصف الثاني، بل هو أحد أعمدة النظام الجديد في مصر، والمسؤول عن "مشروع" السيسي وصورته في الداخل والخارج.

تنوعت هذه التسريبات ما بين أحاديث في الغرف المغلقة مع مختلف المسؤولين أبرزهم السيسي شخصيًا، ومكالمات هاتفية مع عدد من الشخصيات الخليجية. وبخلاف إيضاحها لاتساع أدوار عباس كامل في الداخل والخارج والملفات والمهام الموكلة إليه، واستغلالها من جانب خصوم النظام المصري محليًا وإقليميًا في لعبة الدعاية والدعاية المضادة، فإن التسريبات أكدت بشكل كبير أن هذا الشخص هو المسؤول الأهم في المنظومة الحاكمة في مصر بعد السيسي.

رجل عابر للمؤسسات

لا يندرج ما سبق ضمن تصنيف "الرجل الثاني" الكلاسيكي، بل يمكن اعتباره الشخص العابر للمؤسسات الذي تتشابك وتتداخل المهام والملفات الموكلة إليه لتجعله فوق المؤسسات نفسها، وفوق مبدأ الفصل بين السلطات، فهو يدير هذه المهام الداخلية والخارجية بمعزل عن مؤسسات الدولة، بل يمكن أن يكون قد ساهم في تقزيمها في مرحلة تالية بعد السيطرة عليها - معظم المصريين لا يعرفون أسماء الوزراء - لتكون مجرد أداة لتنفيذ هذه المهام، وهي العملية الانتقالية الحساسة لخلق آلية حكم وسيادة بعيدًا عن مؤسسات "شبه الدولة" بحسب توصيف السيسي. وبالتالي فإن قدرة كامل على إدارة هذه العملية - بمعزل عن تقييمها

- جعله يحتفظ بمكانته بعيدًا عن عملية الإحلال والتبديل التي حدثت لمعظم رموز ما بعد حزيران/يونيو 2013 وحتى الآن، وذلك باختصار لأنه مهندس هذه المرحلة وتغيراتها وتحولاتها، بل ويزداد قوة ليس فقط على قاعدة الولاء والكفاءة ولكن كمهندس ومنفذ لتكوين المنظومة الحاكمة الحالية بمستوياتها السياسية والأمنية والإعلامية.

كمحصلة عامة يمكن إيجاز دور عباس كامل كعقل مدبر ومنفذ لشبكة القوى - بتعريف ميشال فوكو - والسلطة الجديدة في مصر، وإحلالها بصراع لم ينته حتى الآن مع سابقتها الممتدة لعهد حسني مبارك بتنوعاتها المؤسساتية المختلفة من عسكرية وأمنية وإعلامية وتشريعية وثقافية، وبالتالي فإن عملية هدم القديم - وليس تكراره واستنساخه - وبناء الجديد بروافد خارجية تتأقلم مع حالة "ما بعد الدولة" السائدة في المنطقة

خصوصية عباس كامل لا

تنحصر في مسميات إعلامية

مثل «الذراع اليميني» و«ظل

الرئيس» و«الرجل الثاني»

والعالم، يعتبر عباس كامل الشخص الرئيسي فيها والمنسق لها.

ويتسع هذا الدور وتزيد فاعليته بعد إضفاء بُعد سيادي عليه بتوليه المخابرات العامة منذ عامين بشكل رسمي، سواء لعوامل ذاتية تتراوح بين عدم توافر بدائل تجمع مؤهلات الكفاءة والولاء والثقة العملية، أو لعوامل موضوعية متعلقة بفكرة تجذير النمط الحالي في أجهزة ومؤسسات الدولة المصرية بشكل لا يبدو حتى الآن أنه يتم بسلاسة، ولذلك فإن إضفاء بُعد سيادي ومؤسساتي على دور عباس كامل ووجوده لا يأتي كاستثناء - حسب أنه كذلك عندما تولى تسيير أعمال المخابرات العامة لمدة ستة أشهر قبل تكليفه رسميًا - بل كترسيخ لهذا الاستثناء كحالة مستمرة في المستقبل القريب، مع العلم بأن استمرارها ليس رهن توازنات القوى داخل مصر، بل رهن منظومة إقليمية ودولية تقع في نفس الطيف المعبر عن حالة انتقال لما بعد الدولة القومية كنموذج يتبلور حاليًا وغير معروفة بشكل أكيد مآلاته وانعكاساته على شكل وجوه الحكم والسياسة.

يمكن إيجاز دور عباس كامل

كعقل مدبر ومنفذ لشبكة

القوى - بتعريف ميشال فوكو -

والسلطة الجديدة في مصر

الاستثناء لجعله العادي والطبيعي.

هذه الحالة في مصر يتم تضفيرها بتحول آلية الحكم التشريعي والتنفيذي إلى نمط شركاتي يجعل نموذج الأوليغارشية أكثر مرونة وقبولًا بإعطائها غطاء ذي صبغة إجرائية تشاركية، كالحفاظ على وجود برلمان منزوع الصلاحيات، وتنسيق عمليات استفتاء مقررًا نتائجها سلفًا، وغيرها من الإجراءات التي يشكل فيها الإعلام الموجه الحامل الرئيسي لتمثيلها ليس أمام الداخل بالضرورة، ولكن للخارج بشكل رئيسي. وهذه العملية المعقدة وروافدها هي جوهر دور عباس كامل بغض النظر عن المسميات والمناصب المصاحبة للقب.

بين الكفاءة والولاء.. والثقة العملية

ثنائية الكفاءة والولاء هي الحاكمة في اختيار المسؤولين في مصر في مختلف المواقع، ولكن الجمع بين الصفتين بحدود قصوى يقترب من أن يكون ضروريًا من ضروب المستحيل، وهو لم يحدث في مصر على مختلف

حرب اليمن في سنتها الخامسة: الحل بدولة اتحادية من اقليمين

احمد كامل محمد

قنص للطيران السعودي المسير. ان خطوط القتال السعودية - اليمنية في الحرب غير قابلة للتعديل في ضوء ميزان القوى الراهن. هذا السناتيكو مرشح للبقاء في المدى المنظور وبالقياس الى وسائل القتال المستخدمة والللاعبين الاساسيين في الصراع. ولعل استقرار القتال عند هذه الحدود يسمح للسعوديين بإعادة تجميع انصارهم في الجنوب اليمني مع شرعية عبد ربه منصور هادي، وأن تم لهم ذلك، فانهم يدخلون الى طاولة مفاوضات انتهاء الحرب مع الورقة الجنوبية. لقد دخلوا الحرب مع يمن موحد وهم اليوم يحافظون على سناتيكو مع ورقة جنوبية قوية يراهنون من خلالها على ان تكون لهم الكلمة الفاصلة في مصير الدولة اليمنية لما بعد الحرب.

اما عن الافق السياسي لهذه الحرب التي تسببت بمجازر يمنية غير مسبوقة وبأعمال قتل بالسلاح والمرض والجوع، فهو غير مرشح لفرص حل مرتقبة او لمساومة بين الطرفين. ويبدو ان الامر سيكون اكثر تعقيدا بعد دخول إيران العلني على خط الحرب، وبالتالي استقبالها سفيراً مقيماً للحوثيين، ودعمهم علناً في المحافل الدولية، وتنظيم لقاءات بينهم وبين ممثلين اوروبيين في طهران كما حصل في الصيف الماضي. ولعل اختيار ابراهيم الديلمي عضو المكتب السياسي لانصار الله لهذه المهمة يتناسب مع خبرته المكتسبة في العلاقة مع حزب الله في لبنان. وقد شوهد مراراً في الصفوف الاولى في المهرجانات الخطابية التي يتحدث فيها الامين العام للحزب السيد حسن نصرالله.

تبقى اشارة الى ان الطرفين المتصارعين كانا قد اتفقا من قبل على ان تخرج اليمن من الحرب نحو دولة اتحادية من اقليمين، بعد فشل نظام الاقاليم الستة الذي لم تتمكن الرياض من فرضه على اليمنيين لا بالمساومة قبل الحرب ولا بهزيمتهم بواسطة الحرب.

ان دولة اتحادية من اقليمين هو الحل المرسوم في الافق لليمن حتى الان، لكنه ليس مرشحاً للتنفيذ. ذلك ان الحرب لم تُلغظ انقاسها بعد، وقد لا تُلغظ انقاسها في مدى قريب، كي يصبح بإمكان السعودية ان تخرج بنصف هزيمة من خلال دولة يمنية تتحكم بقسم اساسي منها، وان يخرج الحوثيون بنصف انتصار عبر تسلمهم حكم الشمال وتحويلهم الى طرف اساسي في محور المقاومة الذي يتشكل في المنطقة.

(*) باحث في الشؤون اليمنية

الاسلامي السني ضد فريق صغير من الحوثيين الزيديين الشيعة. اعتقدت ان انصار الله يمكن ان يرتدعوا ويهبوا لطلب وقف النار امام اجتماع العالم ضدهم. اعتقدت ان ضربهم يحرر جنوب اليمن ويتيح تنظيم حرب داخلية جنوبية شمالية وهو ما وقع حقا لكنه لم يكن فعالا. واعتقدت - ولعل هذا هو الهم - ان الحرب على هذا البلد ستتيح حصول المملكة على خطوط نفطية برية مروراً بأراضي حضرموت وصولاً الى بحر العرب ومنها الى المحيط الهندي والعالم وهو الخط نفسه الذي رفض علي عبدالله صالح منحه للسعوديين اثناء فترة حكمه. ان هذا الخط يتيح للمملكة أضعاف الاثر الإستراتيجي لمضيق هرمز وتهميش باب المندب بوصفه ممراً نفطياً.

على ابوابها الخامسة، لم تحمل الحرب السعودية على اليمن النتائج المرجوة بل بوسعنا الجزم ان الحرب قد تحولت الى مستنقع تبحر الرياض عن سبل الخروج منه بما يضمن هيبتها وما يحول دون انعكاس هزيمتها على النظام السعودي نفسه.

يملي ما سبق تسليط الضوء على مساري الحرب والسلم واحتمالاتها في الافق المنظور.

لقد وصلت الحرب على اليمن الى حدود عسكرية بات من الصعب تجاوزها اذ تمكن الحوثيون من الدفاع عن الحديدة وتهامة عموماً امام كل الحشود العسكرية التي جمعها السعوديون مع الاماراتيين لإسقاط المدينة التي تعتبر محطة أساسية على طريق حصار وسقوط صنعاء، ناهيك عن ابعاد الحوثيين عن باب المندب.

وكانت الحرب بين الطرفين قد استقرت في تعز على خطوط ثابتة أيضاً لأسباب معقدة من بينها أن المدينة تعد معقلاً للأخوان المسلمين الذين يتمتعون بتسامح السعودية وليس بثقتها المطلقة ولا يريد الإماراتيون ذكراً لهم. اما لجهة الحدود السعودية اليمنية، فقد حقق الحوثيون انتصاراً مدوياً على المجموعات اليمنية المقاتلة على تلك الحدود مع السعوديين وقد عرضت قناة "المسيرة" اليمنية التي تبث من بيروت صوراً لآلاف المعتقلين الذين استسلموا دون قتال يذكر وبذلك يكون من الصعب على المملكة حصار صنعاء عبر حدودها مع حجة او صعدة فهذه المنطقة هي المعقل التأسيسي لانصار الله الذين دافعوا عنها ببسالة وما زالوا يبرهنون على اصرارهم على الموت دفاعاً عن قراهم وبلداتهم.

لقد استخدمت السعودية كل الاسلحة الحديثة وكل الخبرات الغربية في هذه الحرب دون التمكن من تغيير خطوط القتال التي استقرت بعد سقوط معظم المناطق الجنوبية صيف العام 2015 بيد التحالف السعودي. وبقي المجال الجوي عنصر السيطرة المطلق للتحالف السعودي في الحرب الا انه بدأ يتراجع مع احراز الحوثيين هجمات جوية داخل الاراضي السعودية وبرزها ضرب ارامكو عملاق النفط السعودي وتهديد معظم مطارات المملكة ومواقعها الاستراتيجية ناهيك عن عمليات

كانت المملكة العربية السعودية تعتقد في العام 2015 انها قادرة على الانتصار في الحرب على اليمن خلال خمسة اسابيع أو خمسة أشهر في ابعده تقدير، فاذا بها تتأهب للدخول سريعاً في العام الخامس، في حين ينفتح افق الحرب على احتمالات لا تتيح للرياض خروجاً مشرفاً منها وان كان الافق نفسه لا ينطوي على انهيار النظام السعودي او حتى على خلع ولي العهد من منصبه، كما توقع كثيرون، ناهيك عن انهيار اقتصادي او ثورة داخلية على غرار ثورات الربيع العربي.

علينا الا ننسى ان هناك من قرر في السعودية قتل المواطن السعودي الصحفي جمال خاشقجي في قمة الحرب مع اليمن، وهي تحاول خنق قطر على هامش الحرب، بل اخرجتها من الحرب اليمنية ورمتها في احضان تركيا، وعلينا ان نتذكر انها اعتقلت رئيس الوزراء اللبناني سعد الحريري وكبار النافذين الماليين في المملكة وسحبت اموالهم من دون ان يهتز النظام او تظهر عليه علامات السقوط.

وتخوض السعودية، اليوم، مواجهة مفتوحة مع انقرة وطهران بزخم لم يهتز بعد ولم تظهر عليه بوادر تراجع، بل تتجراً بالبحث عن تعاون مع اسرائيل شبه علني دون الخوف من ردود فعل داخلية، وعلينا ان نتذكر ايضاً ان ضرب ارامكو كان مؤذياً للاقتصاد السعودي لكنه لم يمنع المملكة من طرح نسبة من اسهم الشركة في البورصة.. كل هذه الاحداث المهمة وغيرها وقعت خلال الحرب على اليمن وعلى هامش الصعوبات التي تعترضها في تلك الحرب، الامر الذي يستدعي سؤال الحرب نفسها على ابواب سنتها الخامسة؟

المدهش في هذه الحرب الاستباقية ان السعودية لم تتعظ من دروس الحروب الخارجية الفاشلة على اليمن منذ هزيمة الاتراك مرتين في هذا البلد في القرنين السابع عشر والتاسع عشر، وهزيمة الاستعمار البريطاني في الجنوب في القرن العشرين، الى حربها هي ما قبل الأخيرة على الحوثيين عام 2009 التي انتهت بهدنة واتفاق عدم اعتداء بين المملكة وانصار الله.

زجت المملكة في تلك الحرب كل أسلحتها واستعانت بالخبرات الغربية وكان يساندها على الارض الجيش اليمني في عهد الرئيس الراحل علي عبدالله صالح، وكان جيشاً محترفاً ويقاوم بجدارة، ومع ذلك تعذر عليها قهر الحوثيين لتعاود الكرة عام 2015 على رأس تحالف بات اليوم اشبه بالهيكل العظمي.

هكذا دخلت المملكة العربية السعودية حرب اليمن على الضد من خبرتها ومعرفتها بحال هذا البلد. اعتقدت انها ستستدرك بالغارات التدميرية والانتقامية دعماً إيرانياً حاشداً لليمن بعد توقيع الاتفاق النووي الإيراني مع واشنطن والدول الغربية. اعتقدت انها ستطيح بالبنية التحتية اليمنية التي تستقبل الدعم الخارجي. اعتقدت انها قد تستدرج واشنطن الى هذه الحرب وهي التي تهم بالخروج من الشرق الاوسط بعد حروبها الفاشلة. اعتقدت انها يمكن ان تعي العالم العربي والعالم

هل يجب مغرب ٢٠٢٠ عن أسئلة التنمية وما جاورها؟

عبد الفتاح نعيم

الزراعي تارة، وبين الاعتناء بملامح اقتصاد الخدمات، إلى أن جاء عهد الملك محمد السادس، فانشغل المغرب رويدا رويدا بالمسألة الاجتماعية، لكنه اعتنى عناية قصوى بمشاريع البنية التحتية، موائى عملاقة، طرق سيارة، سكك حديدية وقطارات فائقة السرعة وشبكات من القناطر والجسور المهمة، محطات ضخمة لتوليد الطاقة الشمسية، كل هذا في عشرين سنة فقط، لكن ماذا عن يوم الإنسان المغربي البسيط وسلّة غذائه وتعليم أبنائه وصحة أسرته؟.

تحدث الملك محمد السادس صراحة أكثر من مرة عن ضرورة إعادة النظر في السياسات الاجتماعية، ولم تعد تقارير مؤسسات مهمة مثل المجلس الأعلى للحسابات، تُجَمِّل الصورة، وبدأت تدق هي الأخرى صراحة ناقوس الخطر.

ثمة إذن واجهتان ينبغي الانكباب على إصلاحهما؛ سوق الشغل إن في القطاعين العام أو الخاص، ووقف نزيف الفساد الإداري وهدر المال العام. في الواجهة الأولى، كل ما فعلته حكومتنا العثمانية وابن كيران بنسختيهما معا هو خلق فرص الشغل في القطاع العام انتهاجا للتشقق، و"ابتكار" تقنية التوظيف عبر التعاقد. قد يكون الإجراء جيدا، ومن شأنه أن يرفع من منسوب رقابة الدولة على موظفيها عبر آليات المتابعة والتوقيف، لكن ألم يكن من الأجدي أن تراجع شروط التعاقد في القطاع الخاص أولا ويتم تحسينها؟، بدلا من ترك العاطلين بين نار القطاع الخاص ورمضاء نظيره العام.

الفساد الإداري بدوره يحتاج إلى ورش إصلاحية عميقة، فالإدارة في المغرب تعاني الترهل وغياب الضوابط العقلانية، وضعف التكوين، والجمود القاتل للاجتهد والابتكار والمرونة، وهدر الإمكانيات المالية والبشرية في ما لا طائل من ورائه، وكثيرا ما تكون هذه الإدارة عائقا حقيقيا أمام فرص الاستثمار، الأجنبي منه والوطني. يحدث هذا في مغرب عهد الملك محمد السادس، عقدان من الزمن تحققت فيهما قفزات كبرى، فيما الانتظارات والآمال معقودة على النموذج التنموي الجديد، حيث الكل ينتظر أن يكشف العام 2020 عما سيتضمنه من جديد.

أمام كل هذا، حافظ المغرب على استقراره الأمني، حيث تمكن من المعالجة القانونية/الإنسانية لمشاكل تدفق أسراب المهاجرين من دول إفريقيا جنوب الصحراء، وتم تحقيق أعلى منسوب من النجاحات في تأمين تراب البلاد في وجه مشاريع الإرهاب والتطرف، والحفاظ على ثبات الخطوات الدبلوماسية على صعيد تحسين الوحدة الترابية، لتكريس نموذج للحكم الذاتي في إطار الجهوية الموسعة، نظام جهوي يمضي هو الآخر رويدا رويدا نحو التطبيق الكامل، عساه أيضا أن يكون إطارا جامعاً مانعاً للاحتضان النموذج التنموي المراد خلال العام 2020 ما بعدها.

(*) كاتب مغربي



حسن حجاج - المغرب - من مجموعة Actual Gallery

أنفسهم في المعتقلات، فترتفع في النهاية فاتورة الدولة حيال مسألة الحقوق والحريات.

أقفل العام 2019 مسجلاً إغلاق ملف الحسيمة، فقد أدين المتهمون على خلفية أحداثها بمدد سجنية طويلة بلغت العشرين سنة في بعض الحالات، هل فشل الحراك أم فشلت الدولة في تدبيره أمنيا وسياسيا وقانونيا؟ لم يعد السؤال مغربا، ذلك أن اتجاهها بارزا في أوساط الشباب بات على أهبة الاستعداد لإدانة الدولة، الدولة فقط، فيما الأسئلة المتصلة بالبحث الاجتماعي والاقتصادي ما تزال معلقة، عسى أن تجيب عنها المرحلة الجديدة التي قررت الدولة هنا أن تبدأها مع بداية العام 2020.

لقد كانت العشريون سنة الماضية وعاءً لتجريب الانكباب على ما يعرف في المغرب بـ"المشاريع المهيكلية" و"الورش التنموية الكبرى"، وفعلًا ثمة حصيلة متميزة ولافتة للانتباه، فالتحول نحو سياسة خارجية نشيطة في إفريقيا وأكثر برغماتية اتجاه الفضاء الأورو متوسطي، مكن المغرب خلال السنوات الماضية من مضاعفة ناتجه الإجمالي من 41.6 مليار دولار عام 1999 إلى 121.4 مليار عام 2019، بحسب تقارير دولية، ليصير القوة الاقتصادية الخامسة في إفريقيا، وواحد من أكثر بلدانها جذبا للاستثمار، لكنه لم يتخط بعد عوائق جوهرية تقف في طريقه ليصبح بلدا ذا ريادة قصوى.

منذ التخلي عن خيار التوجه نحو التصنيع والاستقلال الاقتصادي الذي دعت إليه حكومة عبد الله إبراهيم في سنوات استقلال المغرب الأولى، ومن ثم التوجه نحو تبني خيار تشجيع الاستثمار الأجنبي، بقي المغرب يترنح في اختياراته الاقتصادية بين تثبيت أسس المجتمع

أسدل العام 2019 ستائره والمغرب يخوض غمار البحث عن معالم نموذج التنمية الجديد، فقبل أشهر، أعلن الملك المغربي محمد السادس عن قراره القاضي بتكليف لجنة خاصة بهذا الشأن، وكلف سفير البلاد في فرنسا، شكيب بنموسى، برئاسة لجنة لم تعجب تشكيلتها قطاعا من الفاعلين السياسيين والمتابعين، لكن الكل ينتظر النتائج.

احتفل المغرب بالذكرى العشرين لتربع الملك محمد السادس على عرش أسلافه. عشرون سنة كانت مليئة بالاختيارات المتلاحقة والمتباينة، حفلت بنجاحات باهرة، وحملت بين ثنايا أيامها وشهورها وسنواتها إخفاقات لا تخطتها عين مدقق، "النموذج التنموي" المغربي واحد من ملامح الإخفاق تلك، هكذا تحدث الملك قبل فترة، بيد أن ثمة إرادة لتحقيق قفزات تنموية في المستقبل، هذا طموح الشارع، ومعظم الناس تلهج ألسنتهم بذلك، الملك هو الأمل الوحيد المتبقي. خلال العام 2019، أعيد تشكيل حكومة سعد الدين العثماني الثانية. منذ عقود طويلة، لم يعايش المغاربة حكومة لا يتجاوز عدد وزرائها 24 وزيرا، مع ما صاحب ذلك من جدل بين مرحب بالهندسة الجديدة ومقلد من شأنها. ما الفائدة في نهاية الأمر؟ الحكومة إياها وُلدت بعد تجربة "بلوكاج" سيئة، ولم تقدم حصيلة جيدة للمواطن المغربي لا هي ولا سابقتها، هذا لسان حال قطاع طويل عريض من الرأي العام والناخبين. يبدو إذن أن شبح العزوف عن التصويت يتكشف رويدا رويدا، وحدها تفاعلات وتحولات البلاد في العام الجديد بإمكانها أن تكشف المؤشرات.

الأحزاب في المغرب باتت ضعيفة وغير قادرة على التأثير في الشارع، فمعظمها إما فقد قياداته المؤثرة وخطباءه المفوهين وشعبوييه مثل أحزاب الأصالة والمعاصرة والعدالة والتنمية والاستقلال، أو يترنح تحت وطأة مشاكله الداخلية وبيروقراطية زعمائه كما هو حال الاتحاد الاشتراكي، فيما المعارضة ما تزال تحتكم فقط إلى الزعم بمصداقية خطابها، دونما مقدرة على إثبات أي فعالية لها على صعيد التحشيد الانتخابي.

في المحصلة، بات المشهد السياسي في المغرب عاريا إلا من عزيز أخنوش، رجل الأعمال الذي يخوض غمار السياسة في زمن فراغ القوة، لكنه ما يلبث أن يتعثر في أحوال وكلس التواصل الاجتماعي، يبدو أن الرجل لا يصلح لأن يكون خطيبا قادرا على التبشير بمشروع سياسي والإقناع به. وبالمقابل، تزداد سطوة وسائل التواصل الاجتماعي، وتهجم على ميدان السياسة، تارة بموجات التفاهة والرداءة، وأخرى بمفاعيل إساءة استعمال الحق في التعبير، يخرط شباب غير مؤطرين سياسيا في أفعال القذف والسب والتشهير، ليجدوا

راشد الغنوشي، عجز تونس الأخير

صالح حداد



عن موقع المستلجك

ووجد مشروعها مثيرا للاهتمام إلى درجة أنه قرر البقاء في البلاد.

تدريجياً، صار الغنوشي العقل السياسي الأبرز للمجموعة التي ستتحول بداية إلى "الجماعة الإسلامية" ثم حركة "الاتجاه الإسلامي" وأخيراً "حركة النهضة". برغم مرور الأعوام، لم يبرز أحد ينافس الغنوشي على لقبه؛ فقد ظهر شيوخ خطباء مفوهون وشخصيات كاريزمية أكثر منه حاولت منافسته، وتولت شخصيات أخرى على غرار عبد الفتاح مورو وصالح كركر والصادق شورو وفاضل البلدي وحمادي الجبالي ومحمد بن سالم رئاسة الحركة في فترات مختلفة من الثمانينيات، لكن الغنوشي كان يعود في كل مرة للرئاسة أقوى من ذي قبل، وبقي على رأس الحركة منذ 1991 إلى اليوم.

تجاوز الثنائيات

يُعرف عن الغنوشي أنه مستمع جيد لجميع وجهات النظر المختلفة ويسعى دائماً إلى التوفيق بين الآراء، لكنه في الآن نفسه متسلط معتد بنفسه لا ينفذ إلا اجندياته. وغالباً ما كان ينزل بثقله إلى البرلمان السابق لإجبار النواب على التصويت على قانون ما، حسب توافقاته، وغالباً ما يكون موقف كتلة حركة النهضة على اليمين إلى أن يأتي

محطته الدمشقية (1968)، كان الغنوشي قد احتك عملياً بثلاث تجارب عربية وآمن بالقومية العربية في بداية اهتمامه بالسياسة، وعايش نظامين قوميين ونظاماً ذا نزعة محلية، قد يجمع بينها تأليه الزعيم وعلمايتها، وإن بدرجات متفاوتة.

وعلى غرار جميع العرب، عاش الغنوشي صدمة النكسة عام 1967، وتأثر بها وصرنا أمام شاب كبر في ظل ثلاثة أنظمة كشفت الهزيمة والاستبداد حدود شعاراتها. كيف ستكون ردة فعله؟ جاءت الإجابة في باريس حيث انتقل للعيش موقتاً، وقد كانت العاصمة الفرنسية حينها في خصم انتفاضة 1968 الشبابية. لم ينغمس الغنوشي في الأجواء الفرنسية على غرار أغلب الشباب التونسيين المقيمين في فرنسا في ذلك الزمن، لكنه اكتشف القدرة التغييرية التي يقدر عليها أبناء سنه.

العقل السياسي لـ "الجماعة"

بشكل مفارق، لم يجد الغنوشي ضالته في ركوب موجة العصر، بل في استحضار ماضٍ مجيد. انخرط بداية في جماعة الدعوة والتبليغ التي صقلت قدراته التواصلية، ونشط ضمن الجالية المغاربية في فرنسا. عاد إلى تونس، ويقول بعض من عاصروه حينها أنه جاء في إجازة، لكنه سمع عن مجموعة تنشط بمساجد العاصمة، فاتصل بها

نجح راشد الغنوشي على امتداد حياته (78 عاماً) في مراكمة رصيد رمزي معتبر، سواء داخل تونس أو في صفوف إسلاميي العالم بصفة عامة وحتى على مستوى دولي في الأعوام الأخيرة، لكنه لم ينجح في أن يكون شخصية وطنية تونسية، وهو ما يعمل على تداركه الآن.

نجح الزعيم التاريخي لحزب "النهضة" التونسي راشد الغنوشي، بأن يصير رئيساً لمجلس نواب الشعب التونسي، وهو بذلك أول شخصية إسلامية ترأس البرلمان في تونس، لكن هذا المنصب الذي أراده الغنوشي تتويجاً لمسيرته السياسية، كان نتيجة مسار عسير وطويل ومثير للجدل مر به الرجل طيلة حياته في تونس وفي متفاه.

درس الغنوشي العلوم الإسلامية في تونس، فيما صُقلت تجربته خارجها. فور إنهاء دراسته المحلية، رفض الرجل سلوك مسار تقليدي، فتخلّى عن التعليم وارتحل شرقاً. حطّ به الرجال أولاً في مصر (1964)، لكنه لم يمكث بها طويلاً، فسافر إلى سوريا ودرس الفلسفة. مع انتهاء

الغنوشي ويفرض على النواب اتخاذ الموقف المعاكس تماما.

سطوة الغنوشي داخل حركة النهضة تتبع من ثباته على نهجه برغم تجارب السجن، حتى بعد الحكم عليه بالإعدام أواخر زمن حكم بورقيبة، ولكن كذلك من قدرته على التقاط اللحظة والتأقلم وتقديم المراجعات. هذا الملمح الأخير ظهر خاصة بعد خروجه من تونس للمرة الثانية والاستقرار في لندن عقب جولة في الجزائر والسودان، حيث ألف كتابا راجت في صفوف إسلاميي المنطقة بأسرها وأثرت فيهم.

قد يتعد الغنوشي عن رئاسة الحركة في غضون العام المقبل باعتبار أن القانون الداخلي للنهضة يمنعه من الترشح لولاية أخرى، لكنه سيبقى فاعلا أساسيا في الحياة السياسية

في كتبه وخطبه وتحركاته انطلاقا من التسعينيات، تجاوز الغنوشي تدريجيا الثنائيات التي تبناها سابقا، فصار الإسلام في نظره متوافقا مع الديمقراطية، وتصالح مع التيار العربي الودودي، وقاد "النهضة" إلى التقارب مع المعارضين العلمانيين التونسيين على أساس برنامج حد أدنى جامع.

في عودته الثانية إلى تونس، ارتكس مشروعه في نسخته المطورة، فرغم تحالف حركته مع حزبين علمانيين بعد الانتخابات الأولى عقب سقوط نظام زين العابدين بن علي، رفضه طيف واسع من العلمانيين. تفاقم الرفض مع سلوكه منهجا يحتوي السلفيين الذين اعتبر أنهم يذكرونه بشبابه، أي بحماسته ورعونه في ذلك السن، وسيفاقم هؤلاء من المشكل إثر اغتيال زعيمين علمانيين، أحدهما ماركسي والآخر قومي عربي، شكري بلعيد ومحمد البراهمي.

عقب ذلك، توترت الأوضاع في تونس، وكانت تسير في اتجاه يشبه ما آلت إليه الأمور في مصر. ادرك الغنوشي اللحظة، وذهب للقاء الباجي قائد السبسي في باريس، وقد كان ذلك بمثابة خطوة إلى الوراء ستلونها خطوات إلى الأمام. أغضب اللقاء مع الرجل الذي عمل في نظامي بورقيبة وبن علي طيفا واسعا من جمهور "النهضة"، لكنه كان فاتحة ما صار يُعرف بـ"توافق الشيخين" الذي

جعل الغنوشي أحد قطبي القرار السياسي في البلاد، وإن انطلاقا من موقع غير رسمي.

معارك بجهات متعددة

توفى قائد السبسي وهو رئيس للجمهورية، وقد حقق بذلك حلمه في أن يرث بورقيبة وأن يمنحه بالنيابة عنه جناية مهيبة حرمه منها بن علي. لكن الغنوشي أيضا يحمل طموحا في أن يلقي اعترافا مماثلا، لا من أنصار حركته فقط، بل من مجمل الشعب التونسي ومن الدولة. ترشح الغنوشي إلى البرلمان وليس إلى رئاسة الجمهورية، لأنه لم يعد مستعدا لمغامرة غير محسوبة العواقب يُمكن أن تنهيه إلى الأبد ليصير مرشحا رئاسيا سابقا أو حتى رئيس دولة ترفض نصف الدول العربية استقباله.

كان الهدف من المقعد البرلماني واضحا منذ البداية، السعي إلى رئاسة البرلمان. حقق الغنوشي مطمحه منذ الجلسة الأولى، وتحالف مع كل من كان مستعدا لذلك، حتى حزب "قلب تونس" الذي قاد حملة انتخابية حامية ضده باعتباره أحد أحزاب منظومة بن علي. تمثل رئاسة البرلمان موقعا ممتازا للتحوّل إلى شخصية وطنية، فالبرلمان هو عماد النظام السياسي الحالي في البلاد، كما يضمن أوقات عمل ملائمة لشيخ في النصف الثاني من عقده السابع حيث يمكن لنائبه تولي مهامه في أي وقت، ويوفر لقاءات دورية مع أهم المسؤولين في البلاد وضيوفها المرموقين، وتُقام لمن تولى المنصب جناية وطنية وحداد رسمي.

ومنذ وضع الغنوشي نصب عينيه رئاسة البرلمان، شرع في تحقيق حلمه عبر تعيين نفسه على رأس قائمة النهضة للانتخابات البرلمانية في تونس العاصمة، وأبعد بذلك رئيس القائمة وأبرز معارضيه داخل الحركة (وزير الصحة الأسبق عبد اللطيف المكي). هذا القرار كاد يحدث انقسامًا حادا داخل النهضة حيث انتفضت مجموعة القيادات المحسوبة على "الثوري" في مواجهة تيار الغنوشي "المهادن" الذي ابعد القيادات المناوئة لرئيس الحركة من رئاسة القوائم المترشحة للبرلمان، وبالتالي، أفقد عددا منها فرصة الفوز بمقعد في البرلمان، وذلك لضمان كتلة نيابية موالية له بالكامل. استراتيجية "معاوية" المخالفين لم تبدأ مع ترشح الغنوشي لعضوية البرلمان بل كانت حاضرة طيلة مسيرة الرجل في الحركة. فجميع القيادات التي خرجت عن طاعة الغنوشي تم ابعادها نهائيا من الحركة ومن الحياة السياسية مثل صالح كركر وحمادي الجبالي والمفكر حميدة النيفر. حتى نائبه عبد الفتاح مورو (نائب رئيس البرلمان السابق) لم يتبوأ هذه المكانة في البرلمان التونسي وفي النهضة إلا بعد تجديد الولاء للغنوشي وعودته إلى النهضة بعد غيابه عنها لنحو عقدين من الزمن بسبب نقده للتوجه العنيف الذي سلكته الحركة نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات.

وفي المؤتمر السابق لحركة النهضة، واجه الغنوشي معارضة شديدة من قبل التيار الذي رفض المصالحة مع النظام السابق وأصر على محاسبة الغنوشي على حصيلة رئاسته للحركة. هذه المعارضة رفضت منح الغنوشي صلاحيات كبيرة داخل الحركة على غرار التصرف في الاموال وتعيين أعضاء المكتب السياسي، لكن الغنوشي رفض قطع اجنحته خاصة المالية وهدد بالانسحاب فكان أن منحه المؤتمر ما يريد، وفي المقابل، عاقب

معارضيه وابعدهم عن المكتب السياسي والمكتب التنفيذي للحركة. وبذلك ضمن الغنوشي لنفسه ولاية جديدة وأخيرة على رأس النهضة دون معارضين.

توريث النهضة

قد يتعد الغنوشي عن رئاسة الحركة في غضون العام المقبل باعتبار أن القانون الداخلي للنهضة يمنعه من الترشح لولاية أخرى، لكنه سيبقى فاعلا أساسيا في الحياة السياسية خاصة وأنه على رأس السلطة التشريعية في

عاد إلى تونس، ويقول بعض من عاصروه حينها أنه جاء في إجازة، لكنه سمع عن مجموعة تنشط بمساجد العاصمة، فاتصل بها ووجد مشروعها مثيرا للاهتمام إلى درجة أنه قرر البقاء في البلاد

البلاد، ومعه كتلة نيابية غالبيتها من الموالين له. لكن خلافته على رأس النهضة لا تزال تحير النهضويين بمختلف توجهاتهم. فرغم أن الغنوشي دأب منذ انتخابات 2014 التشريعية على تقديم وجوه شابة وجديدة وعصرية، بديلة عن الوجوه الكلاسيكية، وقزبها منه وبوأها مناصب قيادية في النهضة وفي الحكومة وكان يهدف إلى أن تكون هذه الوجوه هي التي ستشكل القيادة الجديدة للنهضة في مرحلة ما بعده، إلا أن الامر ليس بتلك البساطة.

فخلافه رجل مثل الغنوشي حافظ على وحدة الحركة لعقود طويلة ولعب أدورا محلية كبيرة كما حاول في السنوات الأخيرة لعب أدوار إقليمية تبدأ من ليبيا وتمر في القاهرة (حيث سعى للعب دور بين الإخوان والنظام بدفع قيل إن ولي العهد السعودي السابق محمد بن نايف كان منحه إياه) وتصل إلى إسطنبول (حيث قيل أيضا إنه سعى في بداية العام لتحقيق مصالحته بين رجب طيب اردوغان والرئيس السابق عبدالله غول)، مرشحة لأن تحدث خلافات قوية بين أبناء النهضة، بين الأخوة الأعداء.

بهذا فقط، ينضم الغنوشي إلى بورقيبة والسبسي في كونهم من جيل لا يستهويه لا تنازل، ولا توريث (ديموقراطي).





«حوارات بوتين» مذكرات مبكرة لـ «صانع» روسيا الجديدة

فؤاد خشيش

أفراده في ألمانيا الشرقية. على هذا الأساس، عاد بوتين إلى مدينة لينينغراد، وعمل مساعداً لعمدتها آنذاك اناطولي سابتشاك، علمًا بأن الأخير هو من اتصل بمدير الاستخبارات حينها، طالبًا إعفاء بوتين من مهامه، وهو ما حصل بالفعل بعد أيام قليلة.

الحديث عن هذه المرحلة يستتبع حكمًا سؤالا من ستون لبوتين حول نظريته إلى الشيوعية. بحسب بوتين فإنها "أفكار جيدة"، لا بل يؤكد أنه كان مؤمناً بذلك، وعمل بكل قوته لترجم على أرض الواقع... لكن "الواقع كان أقوى"، فالنظام السياسي الذي كان قائمًا في ظل الشيوعية "وصل إلى طريق مسدود.. والاقتصاد بات عاجزًا عن التقدم".

بعد عمادة سانت بطرسبورغ (لينينغراد)، عمل بوتين في إدارة الرئيس الروسي بوريس يلتسين ضمن الفريق الحقوقي، وتم نقله للعمل في موسكو "من دون أية مساعدة من أحد"، حسبما يقول، وأما تعيينه مديرًا لجهاز الأمن الفدرالي "أف أس بي"، وريث جهاز "كا جي بي"، فكان لحظة غير منتظرة ولم يكن يتوقع ذلك.

لم يكن بوتين من شاربي الكحول، وكانت لقاءاته مع يلتسين ضمن نطاق العمل، وهو ما أشار إليه بالقول إنه لم ير يلتسين يومًا ثملًا أو شاربًا للكحول اثناء فترات العمل، وبالتالي فإنه لم يكن

من المجموعة المقربة منه على الصعيد الشخصي.

اوكرانيا وعودة القرم

تعتبر الأزمة الأوكرانية، وما رافقها من استعادة روسيا لشبه جزيرة القرم، من المفاصل الحساسة جدًا في مسيرة حكم الرئيس الروسي، والتي ما زالت تداعياتها حكمة لسياسة روسيا الخارجية.

أزمة السلطة في أوكرانيا في أواخر عام 2013 وأوائل عام 2014، والتي انتهت بإسقاط الرئيس فيكتور يانوكوفيتش، وإعادة توحيد روسيا مع شبه جزيرة القرم، والحرب الأهلية في شرق البلاد، يراها بوتين نتيجة لمشروع انضمام أوكرانيا إلى الاتحاد الأوروبي. ويعتقد بوتين، أن قرار توقيع اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوروبي، والذي اتخذته يانوكوفيتش في عام 2013، كان قرارًا غير عادل بالنسبة لروسيا، فمن نتائجها أن الأسواق الروسية - التي لا تتبع سياسة التعرف الجمركية مع أوكرانيا - كانت ستفتح على سلع الاتحاد الأوروبي، ما سيهدد الشركات الروسية.

بعد القرار الذي اتخذته يانوكوفيتش، بالتشاور مع بوتين، بتأجيل توقيع اتفاقية الشراكة، بدأت الاضطرابات الشعبية في كييف بدعم من الغرب: "تمكن شركاؤنا الأوروبيون والأميريكيون من إطلاق العنان لهذا السخط العام وبدلا من أن يحاولوا معرفة ما كان يحدث حقا قرروا دعم الانقلاب".

وبحسب بوتين، فإن ما حدث في أوكرانيا في عام 2014 كان انقلابا عنيفًا انخرط فيه المتطرفون اليمينيون، وأن الأخطاء التي ارتكبتها الحكومة الأوكرانية الجديدة بما في ذلك محاولاتها الضغط على السكان الناطقين بالروسية في المناطق الشرقية أدت إلى إضراب



قد يبدو غريبًا إدراج تجربة الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في الحياة والحكم ضمن زاوية بعنوان "من الذكرة". الرجل لا يزال مألوفًا للدينا وشاغلاً للناس من أقصى الشرق الآسيوي إلى أقصى الغرب الأمريكي، وتجربته لا تزال مستمرة بكل زخمها، بكل تفاعلاتها المثيرة للإعجاب والكراهية على حد سواء، داخل روسيا أو خارجها، وأمامه ثلاث سنوات أخرى في الحكم... قابلة للتجديد نظرًا.

ولكن إذا كان لكل قاعدة استثناء، فإن ثمة استثناءين في كتاب "حوارات بوتين" للمخرج الأميركي أوليفر ستون.

الاستثناء الأول، هو مرور عشرين عامًا على تجربة بوتين في الحكم، منذ سلمه سلفه بوريس يلتسين مفاتيح الكرملين ليلة رأس السنة 2000-1999. ولعل من يعرف الروس جيدًا يعلم ما تمثله أرقام "يوييلية" مثل الرقم 20 من رمزية.

أما الاستثناء الثاني، فهو أن أوليفر ستون، بإبداعه الإخراجي، استطاع أن يحوّل فيلم "حوارات بوتين" إلى مذكرات مبكرة عرضت شريط حياة الرئيس الروسي منذ لحظة ولادته في 7 تشرين الأول/أكتوبر عام 1952، وحتى اللحظة التي اختتم فيها سلسلة الحوارات الطويلة التي أجراها معه المخرج الأميركي، والتي استمرت سنتين، وتمخضت كتابًا يضم بين دفتيه معلومات غنية لم تنشر في الحلقات التلفزيونية.

يقول أوليفر ستون عن فلاديمير بوتين إنه يتميز بصراحته وكلامه المباشر والواضح، ويعتقد أن تلك الميزات تساعد على إيصال وجهة نظره إلى الغرب عمومًا، والولايات المتحدة خصوصًا، ومن شأنها أن تساعد في نزع فتيل التوتر في العلاقات بين روسيا والدول الأخرى.

تنطلق "الحوارات" مع بوتين من نشأته في عائلة سانت بطرسبورغية متواضعة، كانت فيها الوالدة تعمل ضمن الوردية المسائية في أحد المصانع، لكي تبقى إلى جانب ابنها في فترة الصباح، لكونها رفضت إرساله إلى مدرسة مخصصة للأطفال، وذلك بعدما فقدت طفليين قبله، أحدهما أثناء فترة حصار لينينغراد. وأما والده، فكان يعمل ميكانيكيًا في مصنع، بعدما حصل على شهادة في التعليم التقني، وقد رفض أن يتخلى عن العمل برغم تقاعده، حتى بلغ السبعين من العمر.

ويقول بوتين في "الحوارات" إنه حصل على وثائق تشير إلى أن والده قاتل في "الحرب الوطنية العظمى" في مدينة لينينغراد، مع مجموعة تسمى "خماسية النيفا"، نسبة إلى نهر نيفا الشهير في المدينة.

إثر ذلك، يبحر بوتين وستون في مرحلة العمل الوظيفي في جهاز "كا جي بي"، والتي انتهت بعد انقلاب غينادي يانيف الشهير في الاتحاد السوفياتي في شهر آب/أغسطس عام 1991، حيث يقول بوتين إنه لم يعد حينها بإمكانه العمل ضمن الجهاز، الذي كان أحد

العكس تمامًا".

إضافة إلى ما سبق، يكشف بوتين عن واقعة تشي بأن القلق الغربي من حضوره في المشهد السياسي الروسي بدأ مبكراً، وتحديداً في تسعينيات القرن الماضي، يوم تحدث عن إمكانية إنضمام روسيا إلى حلف شمال الأطلسي "الناتو"، خلال زيارة قام بها الرئيس الأميركي الأسبق بيل كلينتون لموسكو. هذه الأفكار، وفق ما قال بوتين، "أثارت قلقاً لدى الولايات المتحدة الأميركية"، متسائلاً "لماذا هم أصابهم القلق؟ لأنه في حال انضمام روسيا، كان يفترض أن يصبح لديها صوت (في "الناتو")، ونحن لم نكن لنسمح بالتحكم فينا، لكنّ أصدقاءنا الأميركيين لم يرغبوا حتى بالتفكير في ذلك".

ما حدث على مدى عشرين سنة، جعل الأمور تمضي إلى مزيد من التوتر، على النحو الذي بات يهدد الأمن العالمي.

بوتين: هدفي الرئيسي كان منع تكرار السيناريو هين العراقي والليبي في سوريا، فقد تعرضت هاتان الدولتان لفوضى بعد الإطاحة بقيادتهما

كارثة.. ما بعد صدام والقذافي

في هذا السياق، يتطرق بوتين في "الحوارات" إلى غزو العراق، باعتباره "كان خطأ كبيراً" من جانب الولايات المتحدة التي أرادت فرض "نموذجها الديمقراطي". ولكن الديمقراطية، بحسب بوتين، هي "نموذج ينطلق من داخل المجتمع وليس عبر القوة وهذا ما يشكل خطراً ولن ينتج اي ثمار".

الشيء الخطير، وفق بوتين، هو ان "الولايات المتحدة تحاول قلب الانظمة في هذه المنطقة من العالم، وتفرض النموذج الاميركي. ما يحصل غير منطقي. وكانت النتيجة ظهور داعش وغيره من التنظيمات الارهابية في العراق وسوريا وليبيا التي لم تعد دولة موحدة. لقد فرح البعض بسقوط (معممر) القذافي. هل كان يجب النضال من اجل الديمقراطية؟ نعم، ولكن هل كان ينبغي اعتماد آية وسيلة؟ كلا... النتيجة كانت كارثية".

بين 31 كانون الثاني/يناير 1999، و31 كانون الثاني/يناير 2019، تغيرت روسيا كثيراً، وتغير العالم أكثر، استعادت روسيا - بوتين مكانتها المفقودة على الساحة الدولية، ولذلك باتت المواجهة الأميركية - الروسية أكثر حدة، وتصور على أنها "حرب باردة" جديدة، أو ربما "حرب دافئة".

الخطر في الأمر، أن تلك المواجهة باتت مباشرة أكثر من أي وقت مضى منذ اعلان فوز دونالد ترامب في الانتخابات الرئاسية عام 2016، وما رافقها من اتهامات بتدخل روسي غير مسبوق في السياق إلى البيت الأبيض.

في "الحوارات"، ينفى بوتين بشكل قاطع "تورط روسيا بهجمات قرصنة بالإنخابات الأميركية"، مبيّناً "أننا لم نشارك بأيّة هجمة قرصنة، وأنه من الصعب أن نتصور أي بلد آخر، بما في ذلك روسيا، يكون قادراً على التأثير على سير الحملة الانتخابية ونتائجها".

يقود ذلك إلى الحديث عن مستقبل هذه "الحرب الباردة"، وهو ما يجيب عليه بوتين بالتشديد على أن "روسيا ترغب في حوار موضوعي مع الولايات المتحدة على مستوى وزارة الخارجية والاستخبارات ومجلس الأمن القومي والبيت الأبيض"، معرّياً عن أملة في أن "تستطيع العثور على نقاط نستطيع من خلالها أن نفهم من خلالها بعضنا البعض"، مشدداً على أن "روسيا والولايات المتحدة الأميركية يجب أن تفتحا صفحة جديدة في العلاقات بين البلدين".

مع ذلك، لا يبدو بوتين مستعداً للمساومة على حق روسيا في ضمان أمنها، وهو ما يجعله مصراً على تعزيز القدرات العسكرية الروسية، التي تغطي حالياً معظم أراضي روسيا الاتحادية.

لكن ذلك، بنظر بوتين، ينبغي أن يندرج ضمن إطار ترسيخ السلام العالمي، "ففي حال اندلاع حرب بين روسيا والولايات المتحدة لن ينجو أحد".

(ينشر موقع "180" (www.180post.com) فصلاً مختارة من كتاب "حوارات مع فلاديمير بوتين" للمخرج أوليفر ستون).



فلاديمير بوتين

البلد ودخوله في حالة من الفوضى والنزاعات الأهلية.

"إذا نظرنا إلى الورا، هل ارتكبت خطأ بقرار ضم شبه جزيرة القرم إلى روسيا في عام 2014؟". هذا ما سأله ستون لبوتين مشيراً إلى العواقب السلبية لهذه الخطوة على روسيا، والتي تتمثل بالعقوبات الغربية وزيادة التوترات الدولية. يذكر بوتين محاوره بأن "روسيا لم تكن هي من ضمت القرم، بل برلمان القرم - الذي انتخب تحت الحكم الأوكراني - الذي قرر إجراء استفتاء على الانضمام إلى روسيا، والنتيجة معروفة جيداً: أكثر من 96 في المئة صوتوا لانضمام القرم إلى روسيا".

أما بالنسبة للجنود الروس الذين تواجدوا في القرم قبل الاستفتاء بفترة وجيزة، فيؤكد بوتين أن هدفهم الوحيد كان ضمان أمن القرم، والذي كان من المحتمل أن يصبح تحت تهديد القوميين الأوكرانيين... باختصار "كان يجب أن يشعر الناس هناك بأنهم آمنون".

بعد إعادة توحيد روسيا مع القرم، تعقدت العلاقات بين موسكو وكييف بشكل كبير. ومع ذلك، يعتقد بوتين أنها ستصبح أفضل عاجلاً أم آجلاً، ذلك أن "لدينا آلاف الروابط مع أوكرانيا، وما يجمعنا مع الشعب الأوكراني ليس مجرد صلات وصل، نحن متشابهون إلى حد كبير وكأنا واحد".

سوريا.. لمنع السيناريو هين والعراقي والليبي

المحطة المفصلية الثانية في حقبة بوتين، والتي توازي استراتيجياً المحطة الأوكرانية، كانت في سوريا، وتحديداً حين اتخذ القرار بالتدخل العسكري لحماية الدولة السورية في أيلول/سبتمبر 2015.

يلخص بوتين سبب اشتراك روسيا في الأزمة السورية على النحو التالي: "هدفي الرئيسي كان منع تكرار السيناريو هين والعراقي والليبي في سوريا، فقد تعرضت هاتان الدولتان لفوضى بعد الإطاحة بقيادتهما".

وأضاف "لدينا أيضاً بعض الأهداف العملية"، المتصلة بالأمن القومي الروسي، ذلك أن "الآلاف من الروس ومواطني بلدان آسيا الوسطى يقاتلون في سوريا لصالح تنظيم داعش وغيرها من الجماعات الإرهابية. ويجب أن نمنع هؤلاء الأشخاص من العودة إلى روسيا، وكل هذا دفعنا إلى الخطوات التي تعرفونها".

ينطلق بوتين في تحركاته السورية من أن روسيا "هي الدولة الوحيدة التي يعد وجودها في سوريا شرعياً، فقواتها مدعوة من قبل القيادة السورية الشرعية".

وفي الوقت نفسه، يرى بوتين أن القيادة السورية الحالية ارتكبت بعض الأخطاء في تشكيل العلاقات داخل بلادها، مشيراً في هذا الإطار إلى أنه أجرى حواراً مع الرئيس السوري بشار الأسد قبل اتخاذ القرار ببدء العملية العسكرية في سوريا، حيث "تبين أنه يفهم الكثير من المشاكل بنفسه... وهو ليس فقط على استعداد للحوار مع المعارضة، بما فيها المسلحة، بل على استعداد أيضاً للعمل معها على دستور جديد، كما أنه مستعد للموافقة على وضع الانتخابات الرئاسية المبكرة المقبلة المحتملة تحت رقابة دولية صارمة وشديدة".

من 11 سبتمبر.. إلى ترامب

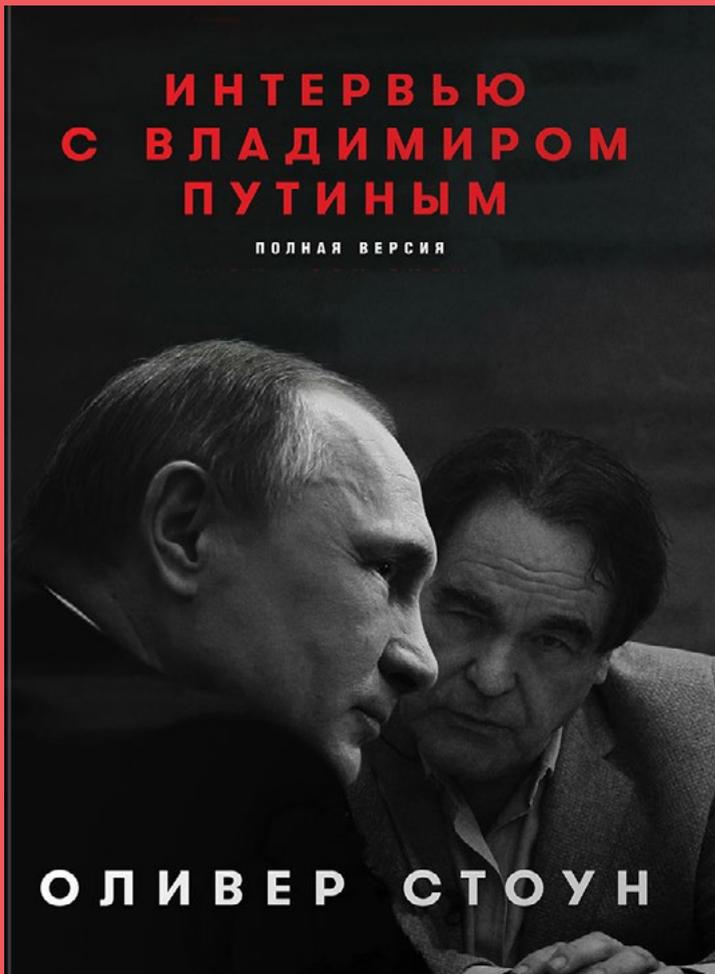
الملفان الأوكراني والسوري بالذات، رسماً ملامح العلاقة المعقدة بين روسيا والولايات المتحدة، والتي تطال الكثير من القضايا الجوهرية، المتصلة بشكل أساسي بالأمن القومي الروسي.

في "الحوارات"، يتحدث بوتين بشكل مسهب عن تلك العلاقة في كافة المحاور التي أتى على ذكرها، وذلك منذ بدء ولايته الأولى، وصولاً إلى اللحظة الآنية في ولايته الرابعة.

أولى تلك محطات العلاقة بين روسيا والولايات المتحدة في عهد بوتين كانت في السنة الثانية من حكمه، يوم صدم العالم أجمع بتلك الطائرات التي هزّت أميركا في 11 أيلول/سبتمبر عام 2001.

يتذكر بوتين هذه اللحظات قائلاً "نعم، لقد اتصلت بالرئيس الأميركي (جورج) بوش. وفي اليوم التالي، كان هناك موعد مقرر لبدء مناورات لاطلاق الصواريخ الباليستية الروسية، ولكن تم تأجيلها بسبب الاحداث. كنت اريد ان يعرف الرئيس الاميركي ذلك. من الناحية الاخلاقية كان لا بد من التضامن في وجه الهجمات الارهابية واطهار ذلك". لكن الأحداث اللاحقة أظهرت أن السلوك الأميركي مناقض لـ"حسن النوايا" الروسية: "لقد اعتقدنا ان الحرب الباردة قد ولت وأن هناك علاقات سياسة شفافة مع بقية الدول قد بدأت ولكن يبدو ان الولايات المتحدة عملت عكس ذلك، وحرب الشيشان كانت دليلاً على التدخل الاميركي، وكذلك جورجيا واوكرانيا".

يقارن بوتين السلوك "التشاركي" الروسي مع السلوك "العدائي" الأميركي، حيث "كنا اثناء حرب الشيشان نأمل بمساعدة اميركية ضد الارهابيين ولكن ما حصل هو





دائرة بوتين ٠٠ من نخبة سانت بطرسبورغ إلى جيل الولاية الرابعة

وسام متي

في السادس من كانون الثاني/يناير 2000، أي بعد ستة أيام على الإعلان المفاجئ للرئيس الروسي بوريس يلتسين عن تسليم الحكم إلى فلاديمير بوتين، خرجت مجلة "ايكونوميست" بعنوان يختزل مشهداً لا يزال كثيرون، بعد عشرين عاماً، عاجزين عن فك رموزه: "بوتين - المجهول العظيم"، تماماً كعجزهم عن تحديد الدائرة الضيقة التي تشكل منظومة الحكم في عهده.

لم تأت ثيمة "بوتين - المجهول" من فراغ. السيرة الذاتية لفلاديمير فلاديميروفيتش، وخلفيته الاستخباراتية، كانتا كافييتين لتكريسها وتعزيزها، بما يحقق أهدافاً سياسية، لا تقتصر على الداخل، وإنما تمتد إلى استراتيجيات السياسة الخارجية.

حتى المسار الذي قاد ذلك "المجهول" إلى رأس الهرم في روسيا لم يكن عادياً: من مدرسة الـ"كاجي بي" رقم 41 في أوكhta - لينينغراد، ثم "أكاديمية يوري أندروبوف" - موسكو، والخدمة في دريسدن - ألمانيا، وبعدها الانخراط الهادئ في العمل العام في عمادة سانت بطرسبورغ تحت عباءة أناتولي سابتشاك، ومن ثم العودة مجدداً إلى العمل الاستخباراتي على رأس جهاز "أف سي بي" (وريث الـ"كاجي بي")، فالوصول إلى الكرملين تحت أمرة "القيصر" العجوز بوريس يلتسين ومكائيد حاشيته، ظل بوتين "رجل الظل"، الذي جعل أحدهم يقول قبل سنوات "لو طلب مني عام 1999، أن أضع لائحة لمئة شخصية مرشحة لرئاسة روسيا، لما كان اسم بوتين من بينهم".

مركزية الـ"غاسودار"

بالقدر الذي تُسبّل فيه صورة "المجهول" أو "الرجل الغامض" حبر الكتاب في مقاربتهم للنظام السياسي في روسيا، أو ربما عشاق الخيال العلمي الذين جعلوا من بوتين شخصية عابرة للزمنة، بقدر ما يسعى النظام الروسي نفسه إلى تعزيز الصورة ذاتها، على نحو يجعل من المستحيل، حتى الآن، وضع لائحة بالشخصيات المرشحة لخلافته، حتى وإن لم يكن فيها اسم "فلاديمير" الجديد.

يعود ذلك بشكل أساسي إلى أنّ ثمة دوراً مركزياً لبوتين في منظومة الحكم الروسي يتصل بمفهوم الـ"غاسودار" (الحاكم) الضارب في جذور الدولة الروسية منذ بدايات الحقبة القيصرية، وهو دور لم يستطع أحد أن يدعي القدرة على القيام به، طوال سنوات حكم بوتين العشرين - سواء في الكرملين أو "البيت الأبيض" (مقر الحكومة) - ما يعني، وفق النظريات المتقاطعة، أمراً من ثلاثة: إما أنّ ثمة أزمة في إيجاد "غاسودار" جديد، أو أن توقيت الكشف عن هويته لم يكن بعد، أو أنّ هذا الدور سيبقى مرتبطاً ببوتين بعد انتهاء الولاية الرئاسية الحالية، سواء بتعديل دستوري يُسقط مانع "الولايتين" الرئاسيتين، أو بإجراء تغييرات جذرية في نمط الحكم. ما يعزز التكهنات أن أحداً لا يستطيع أن يحدد على وجه اليقين أيّ من الشخصيات تمتلك دوراً مركزياً رديفاً لبوتين، بما يؤهلها لخلافته، حتى ضمن الدائرة الضيقة، التي

ما زالت تركيبتها محاطة بـ"الغموض" ذاته، الذي بات جزءاً لا يتجزأ من قواعد اللعبة السياسية الروسية. على هذا الأساس، يبدو رصد "الدائرة الضيقة" عصياً حتى على أعتى أجهزة الاستخبارات في العالم، بما في ذلك الـ"سي أي آيه" التي رمت منذ فترة بالون اختبار، سعياً منها لفك "شيفرة" المنظومة الحاكمة في روسيا، بأن فرضت عقوبات على مقرّبين من بوتين، سواء كانوا أميين أو إقتصاديين، فكانت النتيجة التي أمكن استخلاصها وحيدة، وهي أن ثمة استحالة لكسر "الدائرة البوتينية"، التي تبدو مكوناتها - السياسية، العسكرية، الامنية، الاقتصادية، البيروقراطية - متّحدة حول هدف واحد: تماسك الأمة الروسية وتحقيق عظمته خلف سلطة الكرملين.

"مجموعة السبت" و"مجموعة الأحد"

في مقابلة مع مجلة "لاكسبرس" الفرنسية، عشية الانتخابات التي فاز فيها فلاديمير بوتين بولايته الرابعة، حدّد ميخائيل زيغار، مؤلف كتاب "كل رجال الكرملين" (2018)، دائرتين مؤثرتين في قرارات الرئيس الروسي، وهما "مجموعة السبت" و"مجموعة الأحد"، نسبة إلى اليومين اللذين تُعقد فيهما اجتماعات كلّ منهما.

يمكن اعتبار "مجموعة السبت" أقرب إلى "مكتب سياسي"، على الطريقة السوفياتية، باعتبارها التشكيل الرسمي لمجلس الأمن القومي الروسي، أعلى الهيئات الاستشارية الرسمية للكرملين، مع فارق جوهري يتصل بالصلاحيات، فالمكتب السياسي سابقاً كان مكاناً للنقاش واتخاذ القرار داخل الحزب الحاكم، أما في الحالة الراهنة "فكلّ يعبر عن رأيه ضمن نطاق اختصاصه"، وفق تعبير زيغار.

تضم هذه المجموعة، التي غالباً ما تُعقد اجتماعاتها في مقر إقامة بوتين في نوفو اوغاريوفو في غرب موسكو، كلّاً من رئيس الوزراء دميتري ميدفيديف، سكرتير مجلس الأمن القومي نيكولاياتشيف وسلفه رئيس جهاز الأمن الفدرالي ("أف أس بي") الحالي الكسندر بورتنيكوف، رئيس الإدارة الرئاسية في الكرملين أنطون فاينو وسلفه سيرغي ايفانوف (عُين نائباً للرئيس لشؤون البيئة)، وزير الدفاع سيرغي شويغو، وزير الخارجية سيرغي لافروف، رئيس مجلس الدوما (مجلس النواب) فياتشسلاف فولودين، ورئيسة مجلس الاتحاد (مجلس الشيوخ) فالنتينا ماتفيينكو.

أما "مجموعة الأحد"، فتضم الحلقة الضيقة من أصدقاء بوتين في مجال الأعمال، والذين يلتقي بهم بشكل غير رسمي، ومعظمهم ينحدر من مدينة سانت بطرسبورغ، التي ينحدر منها الرئيس الروسي نفسه، وأبرزهم رئيس "مجموعة فولغا" للبنى التحتية النفطية غينادي تيموشنكو، رئيس مجلس إدارة "بنك روسيا" يوري كوفالتشوك، قطب صناعات التعدين اليتشر عثمانوف، والأخوان بوريس واركاوي روتنبرغ وهما يديران مجموعة تعمل في مجال النفط إسهما "سترويغازمونتاج" ("اس جي ام").

"مكتب سياسي 2.0"

يتقاطع زيغار في ذلك مع مقارنة يزاوج فيها الباحث في مركز "كارنيغي" قسطنطين غازي بين مفهومي "المكتب

السياسي" السوفياتي و"البلاط" القيصري. يرى غازي أنه "يمكن تسمية نخبة فلاديمير بوتين بـ(المكتب السياسي 2.0)"، وهو مصطلح صاغته شركة "مينتشنكو" الاستشارية عام 2012، لكل من أعضائه دور مفوّض في الحياة السياسية. ومع ذلك، فإنّ هذا "المكتب السياسي" ليست له بنية رسمية، ولا يجتمع أعضاؤه في غرفة الجوز في الكرملين، كما كان يفعل أسلافهم "السوفيات"، ولكنهم يمثلون "مراكز القوى الأكثر نفوذاً واستقلالية في روسيا، وهو نادٍ يضم مسؤولين حكوميين ورجال أعمال مختارين يتمتعون بثقة الرئيس".

وبحسب غازي، فإنّ هذا "المكتب السياسي"، الذي يعتقد أنه تشكل مع خروج بوتين مؤقتاً من الكرملين إلى البيت الأبيض عام 2009، هو "نظام مبني على صراع داخلي، يمكن تقسيم أطرافه إلى فئتين: المسؤولون الحكوميون الذين تكمن قوتهم في المناصب التي يشغلونها بدلاً من قربهم من بوتين، كرئيس الوزراء دميتري ميدفيديف؛ عمدة موسكو سيرغي سوبيانين؛ وزير الدفاع سيرغي شويغو؛ ورجال الأعمال المقرّبين من بوتين كاركادي روتنبرغ، وغينادي تيموشينكو ويوري كوفالتشوك"، في حين أن شخصاً واحداً هو إيغور سيتشين يبدو متقاطعاً مع كلتي الفئتين، إذ يتمتع بسلطاته كرئيس لشركة "روسنفت"، بجانب كونه صديقاً قديماً لبوتين. علاوة على ذلك، يعتقد غازي أن بوتين يمتلك أيضاً "بلاط" على النمط القيصري، ويضم شخصيات تتجنب الدعاية، وتمارس سلطة غير رسمية في كل شيء، من السياسة الخارجية إلى الحياة الثقافية.

نخبة سانت بطرسبورغ

بالتوازي، ثمة من يسعى إلى تحديد "الدائرة الضيقة" عبر ربطها بما شهدته المرحلة الأولى من حكم بوتين من غزو وظيفي سريع للبيروقراطيين ورجال الأعمال من أبناء سانت بطرسبورغ إلى هيئات السلطة الفدرالية والشركات الكبيرة التي تسيطر عليها الدولة (مثل "غازبروم" و"روسنفت")، وصراعهم الحاد ضد نخب موسكو القديمة الموالية لعائلة بوريس يلتسين، والتي سبق أن ساعدت بوتين في الوصول إلى السلطة، ومن أشهر أعلامها قطب الإعلام المؤثر بوريس بيريزوفسكي.

ويعتقد اندرس اسلون، كبير الباحثين في "المجلس الأطلسي" في واشنطن، والذي عمل في السابق مستشاراً اقتصادياً للحكومة الروسية (1994-1991)، إن نظام الحكم في روسيا يعتمد على "أربع دوائر للسلطة": "زملاء" بوتين في "كاجي بي" وسانت بطرسبورغ الذين تبوأوا مناصب أساسية في "السلطة العمودية"، "شركاؤه" المقربون الذين يديرون مؤسسات الدولة الكبرى، "أصدقاؤه" من أبناء سانت بطرسبورغ الذين أسسوا شركات خاصة مريحة؛ والخارج الأنغلو - أميركي الذي يحمي أجزاء كبيرة من ثروة بوتين وأتباعه.

وفي إطار هذا التقسيم، ثمة توافق بين اسلون وغازي على وجود مستويين في منظومة الحكم التي يُطلق عليها تسمية "رأسمالية الأصدقاء": الأول، وهو الأكثر أهمية بالنسبة إلى بوتين، يضم الجهاز الأمني الذي يعد "القوة الحقيقية" والجهاز القضائي الذي "يسمح بكل شيء"؛ والثاني، يتمثل

في الشركات الحكومية التي "تؤمن المال لدائرة الأصدقاء". أما الخارج الأنغلو - أميركي، وفق اسلوند، فتكمن أهميته في قدرته على طمأنة الدوائر كافة إلى استمرارية قوتها في الداخل.

أما أستاذ العلوم السياسية في جامعة أريزونا جون ب. ويلرتون فيذهب إلى تقسيم يقترب مما سبق، ضمن فرضية "نخبة سانت بطرسبورغ" نفسها، إذ يقسم دوائر حكم بوتين إلى أربع: اقتصاديو سانت بطرسبورغ، محامو سانت بطرسبورغ، النخبة العسكرية - الامنية، وبعض أفراد عائلة يلتسين.

مع ذلك، فقد أظهرت تجربة السنوات الماضية أن فرضية "نخبة سانت بطرسبورغ" تعاني من قصور شديد. صحيح أن أبناء المدينة، التي فقدت صفة العاصمة قبل قرن من الزمن، قد استحوذوا على كافة المناصب الحساسة في الدولة منذ اللحظة التي دخل فيها بوتين إلى الكرملين، إلا أن ثمة من يعتقد أن الأمر متصل بنخبة مختارة، بعيداً عن الانتماء الجغرافي أو عامل "الصدقة" بعينه، من الشخصيات المؤثرة والنافذة، والتي من دونها كان سيصعب اقتلاع الدوائر اللوليغارشية التي يحملها الروس مسؤولية الفوضى المدقمة في تسعينيات القرن الماضي.

يضاف إلى ما سبق، أن الولايتين الثالثة والرابعة لبوتين شهدتا تغييرات كبيرة على مستوى المسؤوليات، إن من ناحية تكريس أدوار حساسة لشخصيات من خارج "نادي سانت بطرسبورغ" كسيرغي شويغو، وزير الدفاع المنحدر من توبا (عند الحدود مع مونغوليا)، وسيرغي لافروف، وزير الخارجية الموسكوفي ذي الأصول الأرمنية - الجورجية، أو لجهة الدفع بشخصيات جديدة، كأنتون فاينو، حفيد السكرتير السابق للحزب الشيوعي في جمهورية إستونيا السوفياتية، والذي حل رئيساً لديوان الكرملين مكان سيرغي إيفانوف.

رباعيات "الولاية الرابعة"

إذا ما أراد المرء أن يرسم صورة أولية لما يمكن تسميتها "مجرة بوتين" في الوقت الراهن، فإن خطوط تلك الصورة تتطرق من تحديد أبرز الشخصيات الفاعلة في السياستين الداخلية والخارجية خلال "الولاية الرابعة"، والتي يمكن تقسيمها إلى أربع مجموعات، يضم كل منها أربعة أشخاص من نخب السياسة والأمن والاقتصاد.

أولاً، النخبة العسكرية - الامنية ("سيلوفيكس")، وهي امتداد لجهاز "كا جي بي"، وتضم أربع شخصيات محورية: سيرغي شويغو، المعروف عنه الانضباط التام والابتعاد عن مغريات الحكم، ويُنظر إليه باعتباره المخطط العملي لاستعادة شبه جزيرة القرم، والذي غالباً ما يصير بوتين على أن يكون مرافقه في كل جولاته الداخلية، ما يجعل البعض يخمن بأنه قد يكون الخليفة المحتمل.

- ألكساندر بورتنيكوف، رئيس جهاز الامن الفدرالي ("أف أس بي")، الذي بدأ حياته المهنية في جهاز "كا جي بي" في لينينغراد (سانت بطرسبورغ)، والمعروف بتقشفه، ويحظى بثقة تامة من قبل بوتين.

- سيرغي ناريشكين، مدير جهاز الاستخبارات الخارجية ("اس في ار")، المنحدر من عائلة كانت تنتمي إلى طبقة نبلاء سانت بطرسبورغ، وتولى في السابق منصب رئيس الدوما ورئيس الإدارة الرئاسية.

- نيكولاي باتروشييف، الأمين العام لمجلس الامن القومي الروسي، المنحدر من سانت بطرسبورغ، والذي انتقل من العمل في جهاز "كا جي بي" إبان الحقبة السوفياتية، إلى قيادة وريثه "أف أس بي" في الولاية الرئاسية الثانية لبوتين، ويُنظر إليه على أنه أهم المنظرين لديناميات الصراع



عن موقع ياندكس

الرئاسية، مستشار شؤون الأمن القومي، إلى الممثل الخاص للرئيس الروسي للشؤون البيئية حالياً.

رابعاً، جيل 2016، الذي يضم مجموعة من المسؤولين الشبان، ممن تمّ الدفع بهم إلى الواجهة في منتصف الولاية الثالثة لبوتين، وتحديداً في العام 2016، لبشكلوا الديناميات المحركة للولاية الرابعة، ما يدفع إلى الاعتقاد بأن أحدهم ربما يكون مرشحاً لخلافة بوتين، ومن أبرز وجوههم:

- أنطون فاينو، رئيس الإدارة الرئاسية، وهو من مواليد إستونيا عام 1972، ويعتبر الساعد الأيمن لبوتين منذ تعيينه على رأس إدارة الكرملين خلفاً لسيرغي إيفانوف.

- أليكسي ديومين، حاكم منطقة تولا (غرب)، الذي يُعتقد أنه يمثل جيل الشباب في معسكر الـ "سيلوفيكس"، بالنظر إلى الأدوار العسكرية والامنية التي قام بها، والتي ادرج بسببها على لائحة العقوبات الأميركية، ولا سيما ضمن فرقة "غي ار أو" للعمليات الخاصة التي أدت دوراً محورياً في عملية استعادة القرم، بجانب الإشراف على عملية إجلاء الرئيس الأوكراني الأسبق فيكتور يانوكوفيتش من برائن معارضيه بعد انقلاب العام 2014، وما يجعل كثيرين يتوقعون بأن يكون خليفة محتملاً لبوتين.

- مكسيم أورتشين، وزير التنمية الاقتصادية الآتي من القطاع المصرفي، والذي حلّ في سن السادسة والثلاثين محل اليكسي اوليوكايف، الذي اتهم بالفساد، ويراهن عليه بوتين بشكل خاص في تعزيز النمو الاقتصادي.

- أنطون أليخانوف، المنحدر من ابخازيا، عند الحدود مع جورجيا، والذي عُين حاكماً لإقليم كالينينغراد، الجيب الروسي الاستراتيجي في قلب أوروبا.

الجيوستراتيجي مع الغرب.

ثانياً، النخبة الاقتصادية، وتضم عدداً من رجال الأعمال المقربين من بوتين، وممن يعدون أعمدة في الاقتصاد الروسي، وبرزهم أربعة:

- إيغور سيتشين، رئيس عملاق النفط الروسي "روسنفت"، وأحد المقربين من بوتين ضمن مجموعة رجال الأعمال السانت بطرسبورغيين.

- يوري كوفالنتشوك، المنحدر أيضاً من سانت بطرسبورغ، والملقب في الإعلام الغربي بـ "مصرفي بوتين"، وهو مدرج على قائمة العقوبات الغربية بعد استعادة القرم.

- غينادي تيموشينكو، رئيس مجموعة "فولغا"، وهو من أصول فنلندية، وكان أول من تعرّض للعقوبات المتصلة باستعادة القرم.

- أركادي روتنبرغ، المنحدر من سانت بطرسبورغ، والذي كُلف وشقيقه بتشديد جسر كيرتش، الذي يربط القرم بالوطن الأم.

ثالثاً، النخبة البيروقراطية، وهي تتراوح في وظائفها بين السياسة والاقتصاد والدبلوماسية، ومن أبرز رموزها:

- دميتري ميدفيديف، الرئيس السابق، ورئيس الوزراء الحالي، وهو صديق بوتين وزميله منذ حقبة عمادة سانت بطرسبورغ، ويمثل مصالح رجال الأعمال الليبراليين الجدد.

- أليكسي كودرين، ذو الأصول اللاتفية، وهو مستشار اقتصادي غير رسمي، ويعتبر البعض أن أهميته ضمن الدائرة الضيقة تكمن في أنه يمثل الجانب النقيض لميدفيديف.

- سيرغي لافروف، نجم الدبلوماسية الروسية، وأحد الملهمين الرئيسيين للاستراتيجية الروسية الدولية.

- سيرغي إيفانوف، الذي ما زال ضمن الدائرة الضيقة في الكرملين، برغم تبدل مناصبه من وزير للدفاع، رئيس الإدارة

إفيرا نابولينا.. «حاكمة» بوتين الاقتصادية

وسام متي



جورج كوندو - أميركا - من مجموعة Artual Gallery

(2003-2005)، ومن ثم رئيسة لمجلس الخبراء في اللجنة المنظمة لدخول روسيا الاتحادية في مجموعة الثمانية (2005-2006)، لتتولى أثر ذلك الوزارة خلفاً لغريف بين عامي 2007 و2012 (سنة واحدة في ولاية بوتين الرئاسية الثانية، وأربع في ولاية دميتري ميدفيديف). ومع بدء الولاية البوتينية الثالثة عام 2012، كانت

اجتياح الرأسمالية الغربية نفسها لبلاد السوفيات، وبالشكل الأكثر توحشاً في الحقبة اليلتسينية. ولكن نابولينا مضت قدماً في التكيف مع الوضع الجديد، فبعد حصولها على شهادة الدكتوراه عام 1990، عملت في اتحاد العلوم والصناعة في الاتحاد السوفياتي وخلفه الاتحاد الروسي للصناعيين ورجال

ثمة سبب مقنع للقول إن نابولينا أعدت منذ فترة طويلة للقيام بمهمة استثنائية في حقبة استثنائية

الأعمال، لنتقل عام 1994 إلى وزارة الاقتصاد، حيث ارتقت إلى منصب نائب الوزير بحلول عام 1997. عام 1998، غادرت نابولينا وزارة الاقتصاد لتتولى منصب الرئيس التنفيذي في مصرف "برومتورغبنك" (مصرف "سفياتزوي" حالياً)، ومن ثم في مركز البحوث الاستراتيجية غير الحكومي الذي أسسه أول وزير للتنمية الاقتصادية والتجارة في عهد بوتين غيرمان غريف (وهو مركز الدراسات عينه الذي وضع مسودة البرنامج الاقتصادي لحملة بوتين الرئاسية للعام 2000، ومن ثم خطة "روسيا-2010"). مع وصول بوتين إلى الحكم، في العام 2000، عادت نابولينا إلى وزارة التنمية الاقتصادية كنائب أول للوزير (2000-2003)، ثم رئيسة لمركز البحوث الاستراتيجية

إذا ما أراد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين وضع لائحة بالشخصيات التي كان لها الفضل في مؤازرته من أجل تحقيق مشروع نهوض روسيا بعد تسعينيات القرن الماضي العجاف، فمن المؤكد أن الفيرا نابولينا ستحتل الصدارة فيها.

بهذوء وحزم، نجحت حاكمة المصرف المركزي الروسي (بنك روسيا) في إبقاء الاقتصاد الروسي ثابتاً على قدميه برغم الضربات المتلاحقة التي أفرزتها التقلبات الاقتصادية المحلية والعالمية، والمنازلات السياسية التي جرت أشد العقوبات الاقتصادية والمالية من الغرب، سواء الأوروبي أم الأميركي، والتي راحت تأخذ منحى تصاعدياً منذ الأزمة الأوكرانية وعودة شبه جزيرة القرم إلى حضن "الوطن الأم".

ابنة أوفاء، في جمهورية تارستان، والمنحدرة من أسرة سوفياتية متواضعة كان فيها الأب صاحبزاده سعيدزادافيتش سائقاً والأم زليخة حمدنوروفنا عاملة في أحد المصانع، شقت طريقها بجدارة لتحتل أكثر المراكز حساسية في موسكو، العاصمة المليئة بصخب السياسة والمال والأعمال.

قد يبدو هذا التناقض الأسري والوظيفي طبيعياً، وإن كان في عالمنا الحاضر استثنائياً، إذا ما تشاركت فيه نابولينا السيرة الذاتية مع كثيرين ارتقوا في مسيرتهم المهنية إلى مراتب عليا في ميادين مختلفة.

ولكن هذا ليس التناقض الوحيد في مسيرة هذه المرأة الخمسينية، أو حتى في الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية المحيطة بها. منذ تخرجها من كلية الاقتصاد في "جامعة موسكو الحكومية" عام 1986، انخرطت في ميدان العمل في الحقبة الغورباتشوفية التي مهدت فيها الليبريسترويك والغلاسنوست للانهايار المدمر الذي لحق بالاتحاد السوفياتي، وأفرزت بالتالي كل الأحداث التي شهدتها روسيا منذ تلك الفترة، والتي ما زالت إرصاصاتها قائمة حتى اليوم.

من الاشتراكية إلى الرأسمالية

ربما لم يكن سهلاً على نابولينا العشرينية، التي كانت قد انضمت إلى الحزب الشيوعي السوفياتي عام 1985، أن توائم بين كل ما حملته في مخزونها المعرفي في مرحلة الدراسة الجامعية، ولا سيما "نقد النظرية الرأسمالية الغربية"، وبين المتغيرات التي شهدتها روسيا منذ مطلع التسعينيات، ومن أبرز سماتها

لهذا الاقتصاد الذي وصفه السيناتور جون ماكين بأنه "مجرد محطة وقود ضخمة".

إجراءات مؤلمة... وضرورية

سرعان ما اتضح أن هذه الآمال كانت أوهامًا، فقد احتوت روسيا الأزمة الخطيرة عبر تطبيق مجموعتين من الإصلاحات:

الأولى، تتمثل بتنوع مصادر التمويل، فيحلول العام 2013، فُتح الباب أمام شركتي المقاصة العالميتين "يوروبكوير" و"كليستريريم" للتعامل مع بعض السندات الروسية. ما ساعد في جذب المستثمرين، وبالتالي تعزيز الاستثمار المحلي في روسيا كمصدر للتمويل المستقر، وارتفعت حصة الدين العام المحلي من إجمالي الدين العام من 66 إلى 70 في المئة خلال أشهر قليلة.

وأما الثانية، فتمثلت في زيادة احتياطات روسيا بالعملات الأجنبية التي ارتفعت بين العامين 2009 و2013 بواقع 140 مليار دولار لتصل إلى أكثر من 500 مليار دولار (حوالي خمس الناتج المحلي الإجمالي)، وقد ساعد في ذلك ارتفاع سعر برميل النفط.

هذه الإجراءات عززتها نايولينا منذ عام 2014، بحكم منصبها الجديد كحاكمة للمصرف المركزي، بخطوة جذرية هدفت إلى الحفاظ على الاحتياطات بالعملة الأجنبية في حال تهاوت أسعار النفط، وذلك من خلال تحرير سعر صرف الروبل.

هذه الخطوة كانت "مؤلمة"، بحسب ما اقرت نايولينا، خصوصًا بعدما انخفض الروبل بنسبة 40 في المئة أمام الدولار في العام 2015، ما أدى إلى تراجع القوة الشرائية للمواطنين الروس، ولكنها كانت "ضرورية"، وفق تعبيرها أيضًا، لمنع احتراق الاحتياطات مرة أخرى.

ومن خلال هذا الإجراء تمكنت الحكومة الروسية من إنفاق 3 في المئة من الناتج المحلي على إعادة رسملة المصارف التي تدار بشكل جيد وتعويض المودعين الروس في البنوك السيئة.

في الوقت ذاته، شددت نايولينا الرقابة على المصارف، بعدما "منحها الرئيس (كارت بلانش) لتطارد تلك المصارف التي كان لا يمكن المساس بها في وقت سابق"، وفق تعبير أوليغ فيوغين، النائب السابق لحاكم المصرف المركزي الروسي، وبذلك تم إلغاء حوالي 200 ترخيص مصرفي منذ عام 2014، أي ما يقرب من خمس المصارف الروسية.

كل هذه الإجراءات أثبتت نجاعتها، خلال السنوات الماضية، خصوصًا بعدما ساهمت في مقارنة نموذجية لثلاث صدمات تلقاها الاقتصاد الروسي في وقت واحد خلال العامين 2014 و2015، وهي العقوبات الدولية؛ انخفاض أسعار النفط؛ وهلع المستثمرين، وهي مقارنة وصفها رئيس الأبحاث في مجموعة "اشمور" البريطانية جان دن بأنها "كاتالوغ" لإدارة الأزمات، وجعلت نايولينا أشبه بأبطال القصص الأسطورية على النحو الذي لخصته مجلة "فوربس" بعبارة: "عندما يغرق الروبل، لا داعي للذعر: إفيرا حاضرة".

التالي: حين وصل فلاديمير بوتين إلى الحكم عام 2000، أعلن انفصاله عن فوضى التسعينيات. ولكن عندما يتعلق الأمر بالاقتصاد "لم تكن لدى بوتين أفكار واضحة"، وفق ما يقول يفغيني ياسن، وزير الاقتصاد الروسي الأسبق (1997-1994)، وهكذا عهد الرئيس الروسي السياسة الاقتصادية إلى كادر من المهنيين من "ذوي الآراء الأرثوذكسية"، بما في ذلك السيدة نايولينا.

هذا التحدي خاضته نايولينا مبكرًا، خلال توليها منصب وزيرة التنمية الاقتصادية، وهي الفترة التي تزامنت مع الأزمة الاقتصادية العالمية (2008-2009)، والتي تصفها هي على أنها "المرحلة الأكثر تأثيرًا" في مقاربتها الاقتصادية التي توجتها "واحدة من أقوى النساء في العالم" على قائمة "فوربس"، و"أفضل مصرفية في أوروبا - 2017" وفق تصنيف مجلة "ذا بانكر".

أصبحت نايولينا أشبه بأبطال

القصص الأسطورية على النحو

الذي لخصته مجلة «فوربس»

بعبارة: «عندما يغرق الروبل، لا

داعي للذعر: إفيرا حاضرة»

يوم هزل اعداء روسيا لسقوطها المنتظر

في الواقع، جاءت الازمة، وما رافقها من ركود عالمي وتراجع في أسعار النفط، لتكشف عن نقاط ضعف خطيرة في الاقتصاد الروسي، من بينها اعتماده على صناديق التحوط الأجنبية سريعة التحريك ومستثمري التجزئة، فعندما قام هؤلاء بسحب أموالهم، فقد المصرف المركزي الروسي أكثر من مائتي مليار دولار من احتياطات النقد الأجنبي خلال أشهر قليلة، ما انعكس على تقلص الإقراض، وبالتالي انخفاض الناتج المحلي الإجمالي بنسبة ثمانية في المئة.

بدا حينها أن روسيا في طريق العودة إلى مرحلة التسعينيات، وراح اعداؤها يهللون للسقوط المدوي

نايولينا واحدة من ست شخصيات حكومية رفيعة المستوى ترافق بوتين إلى إدارة الكرملين في منصب مساعدة الرئيس للشؤون الاقتصادية، قبل أن يرشحها في العام التالي لمنصب حاكمة المصرف المركزي الروسي، ويوافق الدوما على التعيين في 9 نيسان/ابريل عام 2013، لولاية من أربع سنوات (تم تجديدها عام 1917)، لتصبح بذلك المرأة الثانية التي تتولى هذا



المنصب في روسيا بعد تاتيانا بارامونوفا، التي شغلته بالنيابة لفترة وجيزة عامي 1994 و1995، والأولى منذ انضمام روسيا إلى "مجموعة دول الثماني".

انطلاقًا من سيرتها المهنية، ثمة سبب مقنع للقول إن نايولينا أعدت منذ فترة طويلة للقيام بمهمة استثنائية في حقبة استثنائية.

تلخص مجلتنا "فوربس" و"نيوزويك" الأمر على النحو

الشرق الأوسط رهينة الاستقطاب الداخلي في أميركا

إسلام أبو العز



نينا أبني - أميركا - من مجموعة Artual Gallery

والاستجابة بين مختلف القوى الداخلية، وأداة من أدوات إدارة ملفات مثل "العزل" والانتخابات الرئاسية والسقف الدستوري لصلاحيات الرئيس.

إزاء التعقيد السابق، لجأ دونالد ترامب إلى التصعيد خارجياً في توقيت حساس لسببين رئيسيين: الأول، هو محاولة جذب تيارات الحزب الجمهوري المؤيدة تقليدياً لضرب إيران، وتحييد المتشدد من منهم تجاه وجوب التحقيق معه ومحاسبته سواء بمحاكمة العزل أو التحقيقات الأخرى التي يجريها الكونغرس.

هذه التيارات يمثلها السيناتور الجمهوري ليندي غراهام، الذي، وبالرغم من تقيده المستمر لسياسات ترامب في الداخل والخارج، أضحى خطابه تجاه إيران هو خطاب البيت الأبيض الرسمي بشكل متطابق خلال الأيام الماضية.

السبب الثاني هو اعتياد ترامب على نمط التصعيد الخارجي، وفي ملعب آمن نسبياً كالشرق الأوسط، سواء

مفهوم العولمة، ويتخطى محددات كلاسيكية خاصة بالتنافس والصراع بين الولايات المتحدة ومختلف دول العالم.

يوجد إدارة مثيرة للجدل مثل إدارة دونالد ترامب في البيت الأبيض، وما تمثله بحد ذاتها من عنوان للاستقطاب غير المسبوق في تاريخ الولايات المتحدة منذ الحرب الأهلية، فإن السياسة الخارجية الأميركية تجاوزت المنطلقات المعتادة في رسم وتحديد إجراءاتها في مختلف مناطق العالم ولا سيما في الشرق الأوسط. على هذه الأساس، فإن مسألة مثل الانسحاب من الشرق الأوسط أو البقاء فيه، كانت ولا تزال أحد إشكاليات السياسة الخارجية الأميركية طيلة العقد الماضي، ولكن الجديد فيها أن المنطقة، وربما العالم، أضحى ساحة يمتد إليها النزاع الداخلي الأميركي، بل ويساهم في تقزيم السياسة الخارجية لدولة بحجم الولايات المتحدة، لتصبح مجرد آلية من آليات التحدي

يبدو أن العام 2020 سيكون أميركياً بامتياز، ليس بسبب التأثير المعتاد للولايات المتحدة الأميركية، كفاعل رئيسي في مجريات السياسة الدولية، ولكن كامتداد للاستقطاب الداخلي الأميركي، وذروته المتمثلة في دعوى عزل دونالد ترامب، والتمهيد لمعركة الانتخابات الرئاسية المقبلة.

على نحو غير مسبوق ينعكس الصراع في أميركا بين الحزبين الجمهوري والديموقراطي، والكباش الدائر في أروقة المؤسسات التنفيذية والتشريعية الأميركية، على مسار الأحداث في الساحة الدولية، ليتجاوز بذلك حتى

مع إيران أو حتى مع حلفاء الولايات المتحدة، مثل السعودية، وتصدير هذا التصعيد لناخبيه كإنجاز ناتج عن سياسته الخارجية، سواء على أرضية إيفائه بوعوده الانتخابية، مثل الانسحاب من الاتفاق النووي، أو إجباره السعوديين على دفع مئات المليارات من الدولارات لإنعاش الاقتصاد الأميركي، وهو ما يعده بعض المحللين الإنجاز الأوحى لترامب على المستوى الخارجي. لكن الجديد الذي أحدثته سياسات ترامب، كان المروحة التي تختلف من إدارة أميركية لأخرى بالنسبة إلى السياسات الخارجية، وتحديدًا في الشرق الأوسط، وتوظيفها داخليًا على النحو السابق؛ فما بين الانقسام في الحزب الجمهوري، وصعوبة تعاطي ترامب مع دولة المؤسسات الأميركية، وحالة الاستقطاب الحادة في الداخل الأميركي عمومًا، وتصعيد الديموقراطيين لإسقاط ترامب بالعزل الدستوري، كان الحل الواقعي بالنسبة إلى الرئيس الأميركي مواءمة ترضي معارضي في الحزب الجمهوري، وتسير مع تقديرات المؤسسات العسكرية والأمنية، ولكن بحسب التوقيت المناسب للبيت الأبيض.

شعوب المنطقة تحوّلت إلى أوراق لعب في مقامرة بين الجمهوريين والديموقراطيين ترامب أو إزاحته

هذه المواءمة كان عنوانها اغتيال قائد فيلق القدس في الحرس الثوري الجنرال قاسم سليمان والوصول بالتصعيد مع إيران إلى حافة الصدام المباشر، ولكن من دون التورط في حرب لا يُعرف مداها الزمني والمكاني.. وكلفتها المادية والبشرية.

”العزل“ في مقابل ”التنفيذي الأوحى“

ما سبق، يؤكده قرار الكونغرس الأخير بتجسيم صلاحيات ترامب العسكرية، والذي من شأنه كبح جماح التصعيد العسكري المحتمل مع إيران. هذا ”التجسيم“ لا يقتصر في حيثياته ولا توقيته على رسم حدود السياسة الخارجية الأميركية، ولكنه يرتبط بالصراع الداخلي بين الكونغرس والبيت الأبيض.

من ناحية، يفوت قرار الكونغرس الفرصة على ترامب بأن يستغل التصعيد العسكري مع إيران لتقوية موقفه بدعم من متطرفي الجمهوريين الذين يميلون إلى تطبيق

نظرية ”التنفيذي الأوحى“ الدستورية القانونية، والتي تعطي الرئيس السلطة التنفيذية العليا وقت الحروب، دونًا عن كل السلطات كونه ممثل الشعب.

ومن ناحية أخرى، يقوي قرار الكونغرس دعم الجمهوريين لترامب في مسألة العزل، باعتبار أن المناورة بالحرب والتوافق مع أكثر التوجهات تشددًا داخل الحزب الجمهوري تجاه إيران يجعلان أصواتًا جمهورية مؤثرة وأصواتًا من اليمين المسيحي تتراجع عن تشدها إزاء ملفات محاكمة ترامب في مختلف التحقيقات التي يجريها الكونغرس.

لكن ميل الجمهوريين السابق لتقوية موقف ترامب وبالتحديد التيار الكلاسيكي المؤسساتي الذي انتقد دومًا سياساته الخارجية الرامية إلى تقليص الوجود الأميركي في الشرق الأوسط، لن يتم إلا عبر مسألة العزل، وبالتالي فإن مناورة ترامب المحدودة هنا لا تكفي أن يتم فيها تغليب رؤية هذا التيار الجمهوري، سواء بإذعان ترامب له أو بالتوافق معه.

السبب في ما سبق أن المناورة المتمثلة بالتصعيد الأخير سرعان ما عمل الديموقراطيون على إجهاضها عبر التصويت على تقليص الصلاحيات العسكرية للرئيس، ما يعني أنه مع مسار قرار العزل وتحوله إلى مجلس الشيوخ، فإن مسألة الاستمرار في هذه المناورة وتصعيدها لحالة الحرب غير مجدية إلا على سبيل التلويح بتطبيق ”التنفيذي الأوحى“ إذا ما صمم الديموقراطيون على إخراج الجمهوريين في محاكمة العزل الوشيكة.

مبارزة ثلاثية

وعلى الرغم من أن التغيرات المتتالية في إدارة ترامب منذ بداية ولايته كانت تعبيرًا عن نمط التحدي والاستجابة بين المؤسسات التنفيذية، وعلى رأسها البنتاغون والأمن القومي والاستخبارات من جهة، والبيت الأبيض من جهة ثانية، إلا أن ترامب في قراره الأخير، إعتد ما هو مقرر سلفًا تجاه إيران، ولكن وفق توقيته هو، ما وفر له أفضلية في ”توحيد“ صفوف المؤسسات التنفيذية بمعينه أمام محاكمة العزل التي يدفع بها الديموقراطيون في الكونغرس، وهو ما يفسر إخفاق اجتماع كل من وزير الدفاع مارك إسبر، ورئيس هيئة الأركان المشتركة مارك ميلي مع أعضاء الكونغرس غداة مقتل قاسم سليمان والرد الإيراني، حيث أخفق الاثنان في تبرير هذه العملية لأسباب أمنية وعسكرية كما أدعى ترامب ووزير خارجيته مايك بومبيو بأنها جاءت كعمل وقائي من هجمات كانت ستستهدف السفارات والمصالح الأميركية في مختلف بلدان العالم.

حالة الشعور بالتهديد التي يعمل ترامب على بثها داخليًا لتبرير التصعيد ضد إيران، لا تأتي فقط كرد على منتقديه بأنه يهرب إلى الأمام من مشاكل الداخل باتجاه معارك خارجية تضمن له هامشًا للمناورة في عام الانتخابات، وتتيح له فرصة التشويش على معركة العزل وإبلائها موقعًا متأخرًا على الساحة السياسية الأميركية، بل تستهدف، في الوقت ذاته، إحداث صدع في صفوف الديموقراطيين ضمن معادلة عدم التناغم الحاصل بين البيت الأبيض وبين تيارات من الحزب الجمهوري والتي وصلت إلى حد تأييد محاكمة العزل. وهو الأمر الذي تفادته رئيسة مجلس النواب، نانسي بيلوسي، بالمضي قدمًا في تحويل قرار العزل الذي صوت عليه الكونغرس قبل أسبوعين إلى مجلس الشيوخ

ذي الغالبية الجمهورية كنوع من الهجمة المرتدة على محاولات ترامب والمقربين منه في مختلف المؤسسات التشريعية والتنفيذية أن يكون توحيد صفوفهم على حساب إجهاض دعوى العزل.

توظيف ترامب للتصعيد ضد إيران ينطوي على أهداف متعددة أقلها الحيولة دون استمرار إجراءات العزل بشكل سلس، سواء في ما يتعلق باستدعاء رموز إدارته للشهادة في الكونغرس مثل ستيف بانون وجون بولتون، وهو الأمر الذي سيؤثر سلبيًا على صورته عند القلب الصلب من ناخبيه، أو في ما يتعلق بمحاولة تضيق التباين بينه وبين الحزب الجمهوري، الذي تفرض تياراته الرئيسية تسوية على ترامب مفادها رآب الصدع وشد العصب الانتخابي وتوحيد الصف أمام قرار العزل الذي يقوده الديموقراطيون، في مقابل قبوله بصيغة أشبه بالتي فرضت على الرئيس الأسبق رونالد ريغان والتي كان الأخير بموجبها واجهة تنفيذية لتمرير قرارات الحزب الجمهوري الاقتصادية والسياسية في الداخل والخارج. على هذا الأساس، تتعاطى المؤسسات التنفيذية، وعلى رأسها البنتاغون، مع العام الأخير من ولاية ترامب على أساس حقيقة أن الأخير سيكون رئيسًا بلا صلاحيات

توظيف ترامب للتصعيد ضد

إيران ينطوي على أهداف متعددة

أقلها الحيولة دون استمرار

إجراءات العزل

واسعة، أو ما يُصطلح على تسميته أميركيًا بـ”البطة العرجاء“، والذي يعني إيجازًا عدم القدرة في العام الأخير من الحكم على تنفيذ قرارات مهمة وتمرير مشاريع قوانين حاسمة لكونه لا يحظى بدعم سياسي كافٍ سواء من الكونغرس أو المؤسسات التنفيذية.

في المحصلة، فإن السؤال الأهم لهذا العام ليس التصعيد أو التهدئة الأميركية في منطقة الشرق الأوسط، أو مسألة البقاء فيها أو الانسحاب منها، ولكن إمكانية استمرار هذا النمط المستجد الذي يجعل مجريات السياسة الخارجية ككل مرهونة بمجريات الصراع الداخلي في أميركا، وهو الأمر الذي يتجاوز أنماطًا سابقة ومستمرة مثل تصدير الأزمات والهروب إلى الأمام والاستثمار والتوظيف الدعائي والانتخابي، إلى تقزيم مصير مئات الملايين من شعوب المنطقة وتحويلها إلى أوراق لعب في مقامرة بين الحزبين الأميركيين عنوانها بقاء ترامب أو إزاحته من البيت الأبيض.

أمن روسيا في العالم الحديث .٠ عالم ٢٠٣٥

نيكولاي باتروشيف

الحفاظ على الهيمنة العالمية

من الواضح أن ظهور مراكز قوة عالمية وإقليمية جديدة لا يمكن أن يكون متناسلاً مع مراكز القوة التقليدية، وخاصة الولايات المتحدة وما يسمى "الغرب الجماعي" الذي تقوده.

في تسعينيات القرن الماضي، اعتقد الأميركيون أن روسيا انتهت، وأن الصين، برغم كل نجاحاتها في المجال الاقتصادي، لن تكون قادرة على أن تكون قوة عالمية من الدرجة الأولى. أدى ذلك إلى نشوء فكرة واهمة بأن نظاماً عالمياً ليبرالياً قد أنشئ إلى الأبد في العالم استناداً إلى الهيمنة الأميركية.

ومع ذلك، بحلول نهاية عام 2010، باتت روسيا قادرة على ترميم إمكانياتها بسرعة واستعادة نفوذها المفقود على الساحة العالمية. الصين، من جانبها، راحت تتحدى بثقة وضع الولايات المتحدة كزعيم اقتصادي عالمي. اليوم، هذا البلد قادر بالفعل على تحقيق إجمالي ناتج محلي أكبر حجماً (بتكافؤ القوة الشرائية) منه في الولايات المتحدة. بدأت بلدان أخرى بالمطالبة بدور القاطرات للاقتصاد العالمي، وبخاصة الهند، التي تعبر بشكل متزايد عن طموحاتها السياسية.

في ظل هذه الظروف، صار واضحاً للبيت الأبيض أن الاستراتيجية الجيوسياسية باتت تتطلب تعديلاً جذباً.

استراتيجية احتواء لروسيا والصين

في كانون الأول/ديسمبر عام 2017، وافق دونالد ترامب على استراتيجية الأمن القومي الأميركية الجديدة. تنص الخطة صراحة على أن موسكو وبكين تحديان القوة والتأثير والمصالح الأميركية، وتحاولان تقويض أمن ورفاهية الولايات المتحدة. تشدد (هذه الاستراتيجية) على أن كلا البلدين يعتزمان "الحد من الحرية والعدالة في الاقتصاد، وبناء القدرات العسكرية، وكذلك التحكم في المعلومات والبيانات لقمع مجتمعاتهما وتوسيع نفوذهما".

في هذا الصدد، تم تحديد ثلاثة مجالات رئيسية باعتبارها مجالات للدردع ذات الأولوية بالنسبة لروسيا والصين: عسكرية - سياسية، اقتصادية، معلوماتية واتصالات. بناءً على ذلك، ومن أجل تحديد المهمات الرئيسية لضمان الأمن القومي لروسيا الاتحادية، نقوم بانتظام بتقييم الوضع في كل من هذه المجالات والتنبؤ به.

التحديات السياسية والعسكرية

يتسم الأمن العسكري والسياسي في روسيا، وكذلك العالم بأسره، اليوم بالمخاطر المتزايدة وانخفاض القدرة على التنبؤ المرتبط ببداية انهيار الهيكل الحالي للاستقرار الاستراتيجي ونظام الحد من الأسلحة، وذلك

في العالم الحديث، يتطلب ضمان أمن الدولة والمجتمع التطوير المستمر للقرارات المتعددة، والمعقدة في كثير من الأحيان، في تنظيم الدفاع والبناء العسكري وتشغيل الصناعة الدفاعية والتعاون العسكري التقني وحماية النظام الدستوري والسيادة وسلامة الأراضي. اليوم، وفي ظل ظروف التعقيد المتزايد للوضع الدولي، أصبح اعتماد مثل هذه القرارات مستحيلاً من دون وجود خبرات تحليلية شاملة تتعلق في المقام الأول بإعداد التوقعات والسيناريوهات للمستقبل.

يحدد التوقع الاستراتيجي لروسيا حتى العام 2035، أربعة سيناريوهات لتطور الوضع العالمي: الأول، هو الانتقال إلى نظام عالمي متعدد المراكز. الثاني، هو استمرار محاولات الولايات المتحدة للحفاظ على هيمنتها. الثالث، هو تشكل نموذج ثنائي القطب للنظام العالمي. والرابع، هو تعزيز عمليات الهيكل الإقليمية.

من المهم أن نفهم أن الواقع الجيوسياسي الموضوعي أكثر تعقيداً بكثير من أية مخططات مجردة. لا يمكن تحقيق توقع واحد بنسبة 100 في المئة، لذلك يمكننا التحدث أكثر عن هيمنة اتجاهات معينة في العالم الحديث، حيث توجد، بالطبع، اتجاهات في تشكيل عملية تشكيل البناء المتعدد المراكز.

نحن نتحدث عن ظهور مراكز عالمية وإقليمية جديدة ذات نفوذ اقتصادي وسياسي، يتزايد باطراد نصيبها في التجارة العالمية ونظام الإحداثيات السياسية الدولية.

تدعي الصين أنها القوة العالمية الرائدة اليوم، في وقت رسخت الهند والبرازيل وجنوب أفريقيا بثقة نفسها كقوى قيادية في مناطقها

على وجه الخصوص، تدعي الصين أنها القوة العالمية الرائدة اليوم، وبنت دول مثل الهند والبرازيل وجنوب إفريقيا نفسها بثقة كقوى قيادية في مناطقها. دون الأخذ في الاعتبار آراء هؤلاء اللاعبين، سيكون من المستحيل الآن حل المشاكل العالمية بفعالية.

في الوقت ذاته، تضعف مواقف أقطاب القوى التقليدية تدريجياً - في الغرب بشكل أساسي - بالرغم من أن الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي واليابان تظل أكثر المراكز الاقتصادية العالمية نفوذاً، إلا أن آفاقها تتدهور تدريجياً وسط وضع ديموغرافي غير مشجع وفي ظل استنفاد فرص النمو الاقتصادي المكثف.

إن فقدان الوزن الذي تتم ملاحظته حالياً لمجموعة "جي-٧" في مقابل الدور المتزايد وسلطة "جي ٢٠" هو أيضاً نتيجة لهذا المسار.



غلين براون - بريطانيا - من مجموعة Artual Gallery

كنتيجة لأعمال أميركية أحادية الجانب، ورغبة الولايات المتحدة في التخلص من الإطار القانوني الدولي الذي يحد من قدراتها العسكرية.

في الواقع، تحاول الولايات المتحدة استبدال النظام القانوني الدولي الحالي ببدائل عن "النظام المبني على قواعد". في هذا الصدد، وكمثال، فإن معاهدة الحد من الصواريخ متوسطة المدى وقصيرة المدى، تبدو حالة معبرة. بعدما بدأت بالفعل عملية تفكيك هذه الصواريخ، حاول الأميركيون بشكل متوقع تحويل كل اللوم إلى موسكو. أين الخطأ بالضبط؟ لقد قررت الولايات المتحدة عدم تفسير ذلك. في الوقت ذاته، وبعد أسابيع قليلة من إنهاء المعاهدة، أجرى الجانب

الأميركي اختبارات للصواريخ متوسطة المدى، ما يشير إلى أن واشنطن كانت تستعد مسبقًا للانسحاب من الاتفاقية.

انهيار المعاهدة المذكورة أعلاه، يضاف إليه انسحاب الولايات المتحدة من معاهدة الحد من منظومات القذائف المضادة للقذائف التسيارية عام 2002، وترددها في التصديق على معاهدة الحظر الشامل

يتناسى البيت الأبيض حقيقة أن الميزانية العسكرية الأمريكية أعلى بأكثر من 15 مرة من الميزانية العسكرية الروسية

المجال الاقتصادي

تنشأ تحديات خطيرة أيضًا في الاقتصاد العالمي، الأمر

الروبوتات، بجانب تموضع القوى المنتجة، وتبدل الخصائص الديموغرافية.

يغطي تحول النظام الاقتصادي العالمي الأسواق التقليدية للسلع ورأس المال والتكنولوجيا والعمل، وكذلك نظام الحوكمة الوطنية، في وقت تتزايد أهمية رأس المال البشري كعامل ريادي في التنمية الاقتصادية للدول. يعد الإدماج الفعال للاقتصاد الروسي في هذه العمليات أمرًا مهمًا في مجال ضمان الأمن القومي على المدى الطويل.

حروب افتراضية وحقيقية

مخاطر جديدة تنشأ أيضًا في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. في هذا المجال، يُلاحظ في كثير من الأحيان تجاهل الحقوق السيادية للدول لتطوير قاعدتها التكنولوجية الخاصة بالبنية التحتية الحيوية للمعلومات، بما في ذلك شعار "بناء الإمكانيات الرقمية للبلدان النامية" وإدارة القطاع الوطني للإنترنت العالمي. خدمة لمصالح وكالات الاستخبارات الغربية، يتم تنفيذ واستخدام الوظائف الخبيثة الخفية ونقاط ضعف البرمجيات في منتجات تكنولوجيا المعلومات.

في ما يتعلق برابطة الدول المستقلة ومنظمة معاهدة الأمن الجماعي، يتبع الغرب باستمرار سياسة تهدف إلى تدمير مساحة إنسانية فريدة.

هناك خطر خاص يتمثل في الخط الذي اتخذه الغرب لاستخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصالات لأغراض عسكرية وسياسية، وذلك للقيام بأعمال عدائية تهدف إلى تقويض سيادة الدول الفردية.

هذه الإمكانيات، على وجه الخصوص، منصوص عليها في الاستراتيجية الوطنية للأمن السيبراني للولايات المتحدة، والتي تعلن مبدأ "الحفاظ على السلام بالقوة"، أي الاستعداد لاستخدام جميع الوسائل المتاحة بما في ذلك العمل المسلح ردًا على الهجمات الحاسوبية ضد البنية التحتية للمعلومات في الولايات المتحدة. علاوة على ذلك، جاهر الأميركيون مرارًا وتكرارًا أنهم سيحددون "الجنّة" في هذه الهجمات بطريقة تعسفية.

بشكل عام، بات من الواضح أن واشنطن تعزز استخدام قيادتها التكنولوجية من أجل الحفاظ على الهيمنة الاستراتيجية في مجال المعلومات من خلال اتباع سياسة لفرض شروطها على الدول التي تخلفت في التطور الرقمي. يسمى الخبراء هذه الممارسة "استعمارًا معلوماتيًا جديدًا". وتحقيقًا لهذه الغاية، يعارض الأميركيون بنشاط توحيد الأحكام في القانون الدولي المتعلقة باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات للأغراض السلمية فقط، ومنع نشوب النزاعات في مجال المعلومات.

الإرهاب و"الفوضى المضبوطة"

لقد تم بالفعل اختبار العديد من الأساليب والاستراتيجيات التي تحاول واشنطن الترويج لها على المستوى العالمي اليوم في مناطق معينة، وبخاصة في منطقة الشرق الأوسط، التي تحولت أساسًا إلى أرض اختبار للجغرافيا السياسية الأمريكية. هناك تم استخدام تقنيات "الفوضى المضبوطة" (التي يمكن السيطرة عليها) و"الحرب الهجينة" للمرة الأولى على نطاق واسع وجلبت إلى مستوى الكمال. الأمثلة الأكثر وضوحًا على تطبيقها كانت العمليات التي أدت إلى القضاء على نظام صدام حسين في العراق



الذي يهدد بشكل مباشر رفاهية روسيا ومواطنيها. يدور هذا الخطر في المقام الأول حول المحاولات المتزايدة من جانب الولايات المتحدة للحصول على مزايا أحادية الجانب في التجارة العالمية، ليس من خلال المنافسة الشفافة، بل عبر فرض العقوبات، وشن الحروب التجارية، وتطبيق قوانينها خارج حدودها، والاستغلال غير القانوني لموارد الدول ذات السيادة.

على نطاق أوسع، نحن نشهد تكيّفًا هيكليًا هائلًا للاقتصاد العالمي. القوة الدافعة وراء هذه العملية هي التغيرات الجوهرية في الأسس التكنولوجية للتنمية، وفي المقام الأول ظهور تكنولوجيات جديدة في الصناعة والطاقة، المعلومات، التكنولوجيا الحيوية وتكنولوجيا النانو،

للتجارب النووية والعمل على تمديد المعاهدة لزيادة تخفيض الأسلحة الهجومية الاستراتيجية والحد منها، وبيان البيت الأبيض الأخير بشأن الإعداد للانسحاب من معاهدة الأجواء المفتوحة. كل هذا يؤثر سلبيًا على إمكانية التنبؤ بالوضع العسكري الاستراتيجي، بما في ذلك الحد الأدنى لاستخدام الأسلحة النووية، وهو يضاعف، بالتالي، المخاطر على البشرية جمعاء.

بالطبع، يأتي وصف روسيا بأنها تهديد للولايات المتحدة في المجال العسكري، في وقت يتناسى البيت الأبيض حقيقة أن الميزانية العسكرية للولايات المتحدة، والتي بلغت في عام 2019 حوالي 716 مليار دولار، أعلى بأكثر من 15 مرة من الميزانية العسكرية الروسية.



ومعمر القذافي في ليبيا، ومحاولات الإطاحة ببشار الأسد في سوريا، وكذلك أحداث "الربيع العربي". أدت هذه الإجراءات إلى زيادة غير مسبوق في الإرهاب الدولي والتطرف الإسلامي.

تستخدم الولايات المتحدة وحلفاؤها الحرب ضد الإرهاب نفسه لتعزيز مصالحها وأولوياتها. على هذا الأساس، نرى كيف يفرض الأميركيون موقفهم على مفهوم مكافحة التطرف العنيف، والذي لا يتجاهل الإطار القانوني للأمم المتحدة لمكافحة الإرهاب فحسب، بل يسمح أيضًا بالتدخل في الشؤون الداخلية للدول ذات السيادة بحجة دعم المجتمع المدني في مواجهة الأنظمة الاستبدادية، التي يُزعم أن أفعالها هي السبب الجذري لانتشار الأمزجة الراديكالية. في الوقت نفسه، وتحت راية مكافحة انتشار النشاط الإرهابي، تزيد الولايات المتحدة وعدة دول أخرى وجودها العسكري في مناطق مختلفة من العالم.

"الدول المستقلة" و"الأمن الجماعي"

في ما يتعلق برابطة الدول المستقلة ومنظمة معاهدة الأمن الجماعي، لا يزال الغرب يتبع سياسة تهدف إلى تدمير حيز إنساني واحد والمزيد من الفصل بين الشعوب. تتم تغذية النزعات القومية والنازية الجديدة، ونشر الـ "روسوفوبيا" (الرهاب من روسيا) بشكل واضح، بجانب التمييز ضد اللغة الروسية، وتشويه التاريخ المشترك لبلدان رابطة الدول المستقلة.

وما يثير القلق بشكل خاص، جهود "البتاغون" لإنشاء مختبرات بيولوجية في بلدان رابطة الدول المستقلة، لدراسة الأمراض المعدية، والأسلحة البيولوجية التي يمكن تطويرها.

في هذا الصدد، ثمة حاجة متزايدة إلى التنسيق الوثيق مع شركائنا، بما في ذلك من خلال إبرام اتفاقيات ثنائية للسلامة البيولوجية.

بديل الأمم المتحدة

كل هذه العوامل تؤدي إلى زيادة كبيرة في إمكانات الصراع في العالم. في الواقع، تحاول الولايات المتحدة استبدال النظام القانوني الدولي الحالي ببعض "النظام القائم على القواعد" البديلة.

عند تقييم مثل هذه الإجراءات، من المهم مراعاة أن الهيكل القانوني الدولي قد تم بناؤه بجهود المجتمع العالمي بأسره على مدار العقود الماضية، وهو يجسد التجربة الجماعية للبشرية جمعاء، بما في ذلك مأساة حريين عالميتين. دور الحاكم الأعلى في الشؤون الدولية حُدّد للأمم المتحدة ومجلس الأمن التابع لها، بعيدًا عن استخدام القوة العسكرية أو الضغط الاقتصادي أو السياسي غير قانوني. في إطار القانون الدولي، الذي يقوم على مبدأ المساواة بين جميع الدول ذات السيادة، من المستحيل أن نتخيل تقسيم العالم إلى بلدان "متقدمة" و"متأخرة"، إلى بلدان "مقبولة" و"مرفوضة" ("بلدان مارقة")، وإلى إرهابيين "صالحين" وأشرار.

تتمثل المهمة الرئيسية للنظام القانوني الدولي في جعل العالم أكثر أمانًا وأكثر قابلية للتوقع وأكثر استقرارًا. في الوقت ذاته، وفي هذا الإطار، لا أحد يلغي مفهوم المصالح الوطنية ولا يقيد بأي حال الدول ذات السيادة في تحقيقها - الشيء الرئيسي هو ألا تضر بمصالح اللاعبيين السياديين الآخرين.

العالم، والانتقال إلى التنمية الاجتماعية والاقتصادية المستدامة على المدى الطويل.

كذلك، فإن تعزيز القدرة الدفاعية الروسية، بما في ذلك الحفاظ على قوة الردع النووي ضمن المستوى الضروري لضمان الأمن القومي، لا يزال أمرًا مهمًا للغاية.

لا يقل أهمية عما سبق، تنفيذ سياسة خارجية براغماتية ومتعددة القطاعات، بما في ذلك تعميق الشراكة المتساوية مع الجهات الفاعلة الأخرى وتطوير العلاقات البينية ضمن "الاتحاد الاقتصادي الأوراسي" و"بريكس" و"منتدى شانغهاي للتعاون" و"منظمة معاهدة الأمن الجماعي".

من بين الأولويات الرئيسية لبلدنا في مجال الأمن مواصلة تعزيز المعركة التي لا هوادة فيها ضد التهديد الإرهابي العالمي

ستعمل روسيا أيضًا على تعزيز النظام القانوني الدولي القائم، والبنية العالمية والإقليمية للاستقرار الاستراتيجي، وتطوير آليات الأمن الجماعي مع الأمم المتحدة التي تلعب دورًا رائدًا كحاكم أعلى للعلاقات بين الدول.

من بين الأولويات الرئيسية لبلدنا في مجال الأمن مواصلة تعزيز المعركة التي لا هوادة فيها ضد التهديد الإرهابي العالمي، ليس فقط داخل روسيا وعلى طول حدودها، ولكن أيضًا على مسافات طويلة.

بالإضافة إلى ذلك، سيتم ضمان وحماية المصالح الوطنية وأمن الدولة في مجال المعلومات والاتصالات.

العمل الناجح في هذه المجالات هو مفتاح التنمية الاجتماعية والاقتصادية المستدامة لروسيا، وتحسين مستويات معيشة المواطنين الروس، والحفاظ على النظام الثقافي والروحي الفريد والتراث التاريخي لبلدنا وتعزيزهما.

مذهب "النظام القائم على القواعد" يأتي على العكس من ذلك، إذ يعلن أن واشنطن هي الحاكم الأعلى في الشؤون العالمية، والذي يمكنه الاستماع إلى قرارات الأمم المتحدة فقط عندما تكون متناغمة مع إرادته الخاصة. التدخلات العسكرية، وفرض العقوبات على الدول المعترضة والتدخل في شؤونها الداخلية - كل هذا يعتبر من صلاحيات البيت الأبيض.

الحق في السلامة

في ظل هذه الظروف، أصبحت بلدان العالم تدرك بشكل متزايد الحاجة إلى بلورة استجابة جماعية لهذه التهديدات. في السنوات الأخيرة، كان هناك اهتمام متزايد من جانب الدول ذات السيادة في جميع مناطق العالم بإنشاء نظام حديث لضمان الاستقرار على أساس مبدأ الأمن المتساوي وغير القابل للتجزئة، وذلك على نقيض فكرة الأمن التي تنادي بها الولايات المتحدة باعتبارها فائدة "حصريّة" لتلك الدول التي تعمل وفقًا لقواعد واشنطن.

بين شركاء الولايات المتحدة التقليديين وحلفائهم الأكثر ولائًا في منطقة أوروبا والمحيط الأطلسي، هناك وعي متزايد بأن المساعي الأميركية يمكن أن تكون لها عواقب وخيمة. لقد أظهر مثال انسحاب الأميركيين من معاهدة الصواريخ النووية متوسطة المدى للأوروبيين أن البيت الأبيض مستعد للتضحية بسهولة بأمن حلفائه من أجل تحقيق أولوياته الخاصة.

حماية روسيا من التهديدات

وفقًا لتقديرنا، يجب تركيز الاهتمام على الحفاظ على النظام الدستوري والسيادة والاستقلال والسلامة الإقليمية لروسيا وتعزيزها في مواجهة الأساليب الهجينة التي تُستخدم ضد بلدنا.

في الوقت نفسه، من المهم ضمان تنفيذ الميزات التنافسية الحالية، وخلق مزايا تنافسية إضافية للاقتصاد الروسي، ومواصلة تعزيز الموقف الاقتصادي لبلدنا في

(*) أمين عام مجلس الأمن القومي في روسيا الاتحادية المصدر: "روسيكايا غازيتا" ترجمة وسام متي

الحراك بين الشكليات الإسلامية والعلمانية

طارق الأحمد

لمن يقرأ عنوان المقال، أوجب عليه فوراً بالقول إن الإسلام لنا والعلمانية لنا أيضاً، ولكن الخوف كل الخوف هو من القوى التي أرادت سرقة الإسلام، كما تريد سرقة العلمانية الآن، والعلمانية هي التي تستطيع بوضوح أن تحمي الإسلام كما تحمي غيره.

بدأت المسألة في زمن الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما. عندما أراد حزبه الديمقراطي مجابهة القوى الكبرى الصاعدة ولا سيما الصين، فكان أن اعتبر أن منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا والتي يعتبرها منطقة إسلامية، بحاجة إلى تزييم لطرف ما يقوم بإدارتها من دون أن تكون توجهاته معادية للولايات المتحدة. وبالتالي، يضمن من خلاله مسألتين أساسيتين: أمن إسرائيل والنفط والموارد الطبيعية، وقد لزم هذا الأمر لحزب العدالة والتنمية في تركيا بقيادة رجب طيب أردوغان الذي أثبت منذ نشأته ولاءه الكبير للغرب وحفظ التحالفات الأساسية خاصة في ما يتعلق بإسرائيل، وقد دشّن أوباما التزييم من جامعة القاهرة بخطابه الإسلامي الطابع والذي لم يفهم مضيغه آنذاك حسني مبارك أنه المستهدف الأول منه، وقبله تونس ومن بعدهما كرت سبحة "الدومينو" .. حتى ما تسمى "الثورة السورية"، فلقد أريد لها أن تكون إسلامية الوجه.

إن توجه السعودية ومصر والإمارات العدائي مع تركيا وقطر اللتين لا تزالان تمثلان تيار الإخوان المسلمين، كان يراد منه التمهيد لنوع جديد من التيار الذي يحكم كل المنطقة، وهو تيار انفتاحي يعتمد العلمانية شكلاً وليس مضموناً، وبالتالي تتضح المحاربة الكبيرة التي يبديها الحكم السعودي الجديد لكل الرموز الوهابية التقليدية التي كانت ثقيلة جداً على المجتمع السعودي، ومن يعرف السعودية جيداً يدرك بأنه حتى الزهور الحمراء كان ممنوعاً بيعها في ما يسمى (عيد الحب)، ولكن ولي العهد محمد بن سلمان وصل به حد إجبار الشرطة الدينية السابقة، في أحد أعياد الفالنتاين، على توزيع هذه الزهور نفسها، بالإضافة إلى إقامة الحفلات الموسيقية وفتح دور السينما.

من الواضح أن بن سلمان يسعى لتغيير جذري في شكل المجتمع السعودي، وهذا التغيير له صفة شديدة الوطأة لمن يعرف السعودية، أي أن شكل المملكة سوف ينقلب انقلاباً كلياً بحيث ترى الليبرالية والمظاهر التي تشبه الحداثوية الغربية بأكثر صورها المعروفة.

نحن أمام تغيير في إحدى المناطق الإسلامية التي تسمى "قبلة المسلمين"، ليس بالمعنى الديني وإنما بالمعنى النموذجي، أي أن الشعوب تنزع دوماً

نحو تقليد نموذج ما، والنموذج السعودي الذي وسمه المئة سنة السابقة، كان هو الملتزم دينياً والذي له شكل محدد من اللباس ومن الحياة... هذا النموذج نفسه يراد الآن قلبه إلى نموذج آخر على حساب نموذج المجتمع القديم، وبالتالي، على باقي العالم الإسلامي والمجتمعات الإسلامية أن تعود لتقلد النموذج الجديد.

المسألة الأكثر أهمية الآن هي كيفية السيطرة على هذه المجتمعات بنموذجها الجديد؟

لا يزال من المبكر جداً الإجابة الواضحة عن هذا السؤال ولكن يمكن تلمس بعض الملامح الرئيسية له، وهو أن التغلغل الذي حصل في كل مجتمعاتنا من قبل المنظمات غير الحكومية (Ngos) في ظل فشل الحكومات كلها في إنتاج منظومة اقتصادية واضحة ومتناسكة تعتمد على ترسيخ منظومة اقتصاد وطني حقيقي يشجع الإنتاج وينصف العمل ويستطيع في الوقت نفسه أن يمد الجسور بشكل تكاملي مع محيطه الطبيعي.

ولو أخذنا نموذج مصر والسودان وأثيوبيا، يتبين لنا أن هذا أوضح مثال فاشل بالمطلق باعتبار أن مصر قد فشلت فشلاً قاتلاً في احتواء الحالتين الأثيوبية والسودانية بسبب نظرتها السطحية للحالة الفكرية والجيوسياسية في البلدين، وأصبحت مصر التاريخية تواجه خطراً قاتلاً يتمثل في البداية بالتخفيف من مياه النيل وصولاً إلى احتمال قطعه نهائياً، وبالتالي لا أحد يعرف ما هو مستقبل هذا البلد في العقود المقبلة.

وأما في منطقة سوريا الطبيعية (الشام أو لبنان أو الأردن أو العراق)، من الواضح بأن تكريس نموذج اقتصادي إنتاجي عصري سيكون كفيلاً بتفجير طاقات الشباب ومد الجسور نحو بقية الدول، أي بين لبنان وسوريا والعراق، وهذا الأمر لم يحصل حتى الآن، وهو شرط أساس، ويمثل تحدياً كبيراً لسلطة القوى العالمية المتحكمة باقتصادنا وشبابنا، بحيث تنشأ مشروعات ضخمة بين هذه الدول من سكك حديد وطرق سريعة وضخمة ومرافئ وأنابيب نفط وغاز تنقل النفط العراقي والإيراني والسوري واللبناني إلى البحر وبالعكس، وشبكات كهرباء وغيرها من البنى التحتية..

هذه المشاريع هي الكفيلة بتشغيل شباب هذه الدول في كل المشروعات، كما يحدث في الاتحاد الأوروبي، وهذا بديل النظرة القطرية الضيقة، التي تدفع جموع الشباب إلى خيار وحيد هو الارتزاق من المنظمات غير الحكومية (Ngos) والتي بدورها ترتبط بالسفارات والهيئات الغربية.

ماذا نفع؟

لقد تأخرنا كبنى فكرية في إستشراف الحدث ومحاولة منع وقوعه ليس عند بدء صافرة الانطلاق فقط، وإنما

قبل ذلك بسنوات كثيرة حيث تعذر علينا التنبؤ بما يجري على صعيد حركة الشباب الذين يشكلون أكثر من نصف المجتمع في بلادنا، باعتباره مجتمعاً شاباً، ولكن الأهم من ذلك، هو أن يكون الفعل الإنتاجي الاقتصادي لمجتمعاتنا محققاً بأيدي الشباب وليس بشكل ريعي على هامش المنظمات غير الحكومية... وقد حدث هذا الأمر بشكل كبير في سوريا خلال سنوات الحرب، حيث أن دور الدولة قد انحسر بشكل كبير جداً في معيشة طبقة الموظفين والتي تشكل عماد الجهاز الإداري للدولة وهو الجهاز المؤيد أيضاً لها، لتصل الآن إلى ما يقرب 50 دولاراً شهرياً، وهو ما يتقاضاه موظف بدرجات عالية، وقد بدأ الأمر منذ بداية الأحداث والحرب حيث تقطعت الكثير من الطرق الزراعية أو غيرها وانفصلت مناطق بأكملها عن الشريان الحيوي الاقتصادي الرابط بين تلك المناطق. حتى أن دمشق مثلاً قد انقطعت لفترة طويلة عن غوطتها التي كانت تمدّها بالإنتاج الزراعي والحيواني، وبالتالي، صارت المنظمات غير الحكومية على الأرض السورية مثل الفطر. نمت فرق واستحدثت جمعيات ومبادرات وأصبح حجمها ضخماً ومتضخماً بشكل هائل، وأصبحت مدربة وتعمل مع مختلف المنظمات غير الحكومية، والتي تمول من دول أوروبية، ومرتبطة بشكل تنظيمي بالأمم المتحدة وأما السيطرة عليها فهي وإن كانت موجودة لكنها آتية، وبالتالي فإن مفاتيح الدخول إلى مئات الفرق أو شبه التنظيمات والتي يمكن أن تتحول إلى تنظيمات اجتماعية أو سياسية في حالات محددة باتت موجودة لدى بنى اجتماعية غير حكومية ولديها مفاتيح للتواصل مع الخارج وخاصة بوجود وسائل التواصل الاجتماعي.

نحن نعيش في عالم جديد ويجب الإقلاع عن طرق التفكير التقليدية القديمة في التعاطي مع فئة الشباب، فهذه الطرق لن تؤدي إلا إلى ذهاب الكتلة الأكبر من شبابنا ليتم التحكم بها من خارج الحدود بدل أن تقوم البنى الفكرية والقيادية للأحزاب القومية والوطنية والتي لديها تاريخ ولديها عمق فكري وأيضاً انتماء وطني وقومي حقيقي بقيادة هذه الحالات الشبابية.

الخلاصة هي أننا أمام موجة جديدة قد تمتد لسنوات طويلة لا أحد يعرف كم ستستمر وهي تريد أن تسرق المصطلح العلماني والمدني وأن تتحكم به وتديره عن طريق البنى غير الحكومية والمرتبطة بالاقتصاد الريعي بشكل كبير في ظل ضعف البنى الحكومية. ويمكن لهذه المنظمات أن تفعل فعلها في قيادة المجتمع وإنتاج بنى سياسية مستقبلية منه، وبالتالي علينا أن نفكر في كيفية إعادة الشباب إلى بنيتهم الوطنية والقومية، وأن يصبحوا حملة فكر وأصحاب انتماء راسخ، بمعنى ثبات الأساس وحرورية المحتوى.

آسيا الوسطى «بلقان» العالم الجديد

أمين قهورة

الجديدة يرسخ النفوذ الاقتصادي والسياسي الصيني. والملاحظ أن الصين تركز في المرحلة الأولى على الجانب الاقتصادي أملاً في أن تمهد التطورات على المدى البعيد الطريق للقيادة الصينية للتعاون الأمني الآسيوي.

نفوذ روسي

ونجحت روسيا أيضاً في استخدام المجال التجاري لتعزيز نفوذها في آسيا الوسطى. وعلى الرغم من تركيزها على احتكار السوق المالية، إلا أن روسيا عززت أيضاً نفوذها في قطاعي الطاقة والثروة المعدنية. وكان لمحصول الصراع الروسي - الغربي في مناطق أخرى من العالم تأثيرها في الصراع في هذه المنطقة، حيث أدى إلى تحجيم الخلافات التي كانت قائمة بين روسيا والصين في بعض الأمور المتعلقة بآسيا الوسطى من خلال ما قدمته روسيا من اقتراحات، وذلك لبناء تحالف روسي - صيني في مواجهة الغرب، واستوجب ذلك تخفيف التشدد الروسي في بعض المسائل المتعلقة ببحر قزوين، وهو ما استفادت منه دول آسيا الوسطى المطلة على هذا البحر، لكن الرد الروسي في أوكرانيا وشبه جزيرة القرم وجه رسالة قوية إلى دول آسيا الوسطى بأن تدخل الغرب هنا هو بمثابة تهديد للأمن القومي الروسي، على قاعدة رؤية روسيا لأمن آسيا الوسطى بوصفه جزءاً لا يتجزأ من الأمن القومي الروسي.

عسكرة أميركية

وخلالاً لاستثمارات الصين وروسيا غير المشروطة سياسياً في آسيا الوسطى وغير المدفوعة أمنياً، ركزت معظم الاستثمارات الأميركية على ضمان إبرام اتفاقيات لإنشاء المزيد من القواعد العسكرية هناك. ولا شك أن هذه الأهمية الجيوسياسية للمنطقة قد ازدادت بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/سبتمبر، واحتلال الأميركيين و"الناوتو" للدولة الأفغانية، حيث أصبحت الولايات المتحدة في حاجة ماسة لدول المنطقة، المحاذية لأفغانستان، للتمركز فيها، وتوفير الإمدادات للقوات الأميركية، وإحكام السيطرة على أفغانستان عبر حدودها مع هذه الدول. ومن الواضح أن أيًا من القوى الكبرى المتصارعة في آسيا الوسطى لا تستطيع تحقيق نصر حاسم على طرف أو أطراف أخرى، لاعتبارات عدة، أبرزها ازدياد حدة الاستقطاب بين القوى الكبرى على نحو يشبه بدايات مرحلة الحرب الباردة، حيث انحازت دول الاتحاد الأوروبي إلى واشنطن، بينما ازدادت قوة التحالف الروسي - الصيني مع بروز محورية السيطرة على أوراسيا اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً في إطار هذا الصراع، وفي القلب منه دول آسيا الوسطى، حيث يحظى البعد الاستراتيجي والأمني بأهمية نسبية مرتفعة في سياق الصراع الروسي الأميركي في المنطقة. لذلك، اتخذ الصراع بين واشنطن وموسكو أنماطاً عدة، منها النمط الإيجابي الذي يتمثل في محاولة كل منهما تدعيم علاقاته بدول المنطقة وترسيخها، وصولاً إلى محاولة تكريس النفوذ فيها، والنمط السلبي الذي يدور حول تحجيم تأثير ونفوذ الطرف الآخر، وصولاً إلى محاولة

104 صواريخ باليستية من نوع (SS-19) مع أكثر من ألف رأس نووي، بالإضافة إلى مركز "بايكو نور" الفضائي لإطلاق الصواريخ، ومركز "سيمبالاينسك" لاختبار الأسلحة النووية.

وبسبب هذه الأهمية القصوى، كانت هذه الدول محل تنافس بين اللاعبين الدوليين ودول المنطقة؛ فأميركا تسعى لبطء نفوذها، وروسيا تحاول أن تبقيها تدور في فلكها كما كانت في الحقب الماضية، وتسعى الصين أن تدخل بشركاتها العملاقة إليها، وكذلك الهند وإيران وتركيا وغيرها من الدول. وفي الوقت نفسه، يبدو أن اللاعبين الدوليين متفقون على أن تبقى هذه الدول بعيدة عن تأثير الحركات الإسلامية المتطرفة، حتى لا تسقط في يد هذه الحركات تلك الإمكانيات الضخمة التي تملكها هذه الدول.

إهتمام صيني

وتهتم الصين بمنطقة آسيا الوسطى منذ تسعينيات القرن الماضي، ولا ريب في أن استراتيجيتها تجاه هذه المنطقة متعددة الأوجه. لكن من حيث الجوهر، يبدو أن الصين تتبع في هذه المنطقة سياسة مماثلة لتلك التي تتبعها في إفريقيا. بعبارة أخرى، تعمل الصين على توسيع حضورها الاقليمي بصورة مستمرة من خلال الاستحواذ على حصص متزايدة من موارد الطاقة والبنى التحتية للمنطقة، وعبر تقديم قروض "من دون شروط سياسية".

ومع أن بكين أبرمت العديد من الاتفاقيات الثنائية مع دوشنبه (عاصمة طاجكستان) وطشقند (عاصمة أوزبكستان) وألماتي (عاصمة كازاخستان) وبيشكك (عاصمة قيرغيزستان)، إلا أنها تمكنت، في الوقت ذاته، من الحفاظ على علاقات متوازنة مع روسيا في إطار منظمة شنغهاي للتعاون؛ ويُعزى ذلك إلى حقيقة أن تعزيز الصين لنفوذها الاقليمي استند إلى استراتيجية استثمارية مدروسة بعناية. وتجلي هذا بكل بوضوح في طاجكستان حيث استثمرت الصين في صناعة الألمنيوم؛ وفي كازاخستان، حيث أبرمت اتفاقيات تجارية مهمة مع شركة كازاخستان للغاز والوكالة الكازاخية للطاقة الذرية.

وتدور الرؤية الاستراتيجية الصينية لهذه المنطقة في إطار مبادرة طريق الحرير الجديد للقرن الحادي والعشرين، فهذا الطريق والحزام الاقتصادي المحيط به، من شأنهما إيجاد ممرات تجارية تربط شرق آسيا وجنوب شرقها مع باقي آسيا وأوروبا والشرق الأوسط وإفريقيا، ومن ثم فالرؤية الصينية تسعى إلى تحقيق تكامل آسيا الوسطى مع باقي القارة الآسيوية، والمناطق الأخرى من العالم المرتبطة بها، وتشمل هذه الرؤية النقل عبر السكك الحديدية والبر والجو وخطوط الأنابيب البحرية وتوفر الصين تمويلًا بقيمة 40 مليار دولار لهذه المبادرة.

وتحقق هذه المبادرة العديد من الفوائد بالنسبة للصين، منها تشجيع التنمية الاقتصادية وزيادة الصادرات الصينية إلى وسط آسيا، إضافة إلى أن توسيع وزيادة المرور البري يسمح للصين بتنويع قنوات الاستيراد والتصدير، ونزع فتيل الخطر من الممرات البحرية التي لا تزال تسيطر عليها الولايات المتحدة، كما أن الاستثمار في البنية التحتية

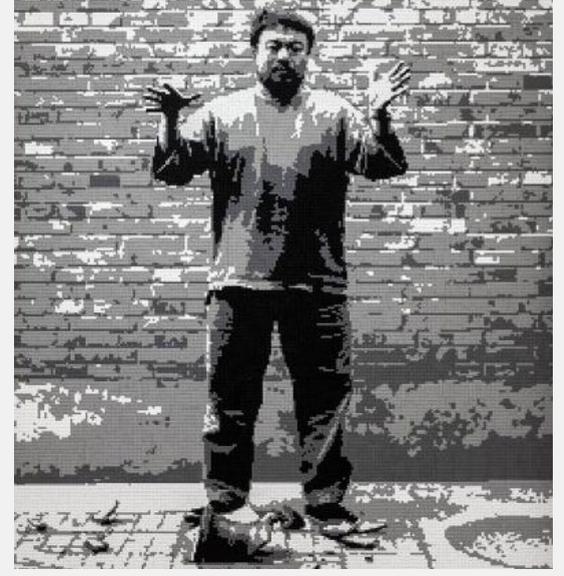
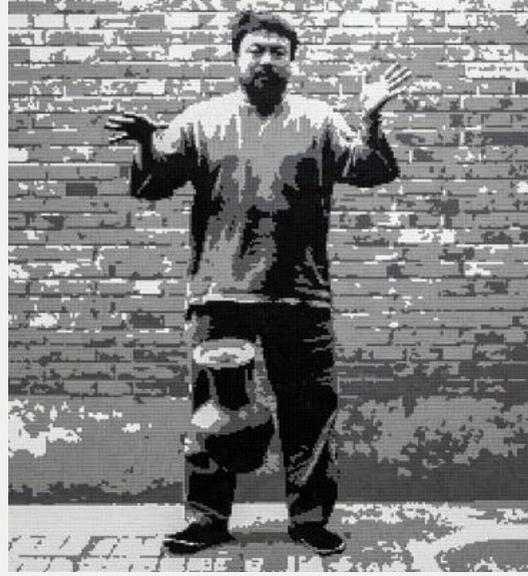
خلف انهيار الاتحاد السوفياتي الذي كان يشكل أكبر دولة من حيث المساحة في العالم، "ثقباً اسوداً" في أوراسيا المتعارف عليها جغرافياً باسم آسيا الوسطى. وترك تراجع النفوذ الروسي فراغاً استراتيجياً سياسياً وأمنياً في هذه المنطقة، في وقت كانت الجمهوريات المستقلة حديثاً عن الإتحاد السوفياتي، غير مهيأة للاستقلال ولا تمتلك هياكل وخبرات أساسية تمكنها من النهوض بأعباء الدولة الحديثة، وهذا ما دفع بالقوى الكبرى، الدولية والاقليمية، الى التسابق على ملء الفراغ والسعي الى اجتذاب دول المنطقة وترسيخ النفوذ فيها ورسم مستقبلها، الامر الذي جعل الاستراتيجيين يطلقون على هذه المنطقة اسم "بلقان آسيا".

تحتل آسيا الوسطى موقعاً جغرافياً مهمًا وحساسًا، إذ تقع بين الصين وروسيا وأفغانستان وإيران وعلى مقربة من الخليج العربي وتركيا القوة الاقتصادية الصاعدة، كما أنها محل اهتمام القوى العالمية والإقليمية الأخرى مثل أميركا والهند، لاسباب عدة اهمها:

أولاً، من الناحية التاريخية، برزت أهمية آسيا الوسطى لأنها نقطة التقاء الشرق والغرب ومنطقة مُحاطة بالامبراطوريات ومجاورة لمناطق تعاني من النزاعات وانعدام الأمن (مثل أفغانستان وإقليم سيكيانغ الصيني وإيران). وكانت هذه المنطقة محلاً للصراع بين القوى الدولية الكبرى عبر العديد من المراحل التاريخية السابقة، كالصراع الذي جرى بين الامبراطوريتين البريطانية والروسية في القرن التاسع عشر، والذي أطلق عليه اسم "اللعبة الكبرى". ومع أن هذه المنطقة أهملت، إلى حد كبير، خلال الحرب الباردة، إلا أنه أُعيد اكتشاف أهميتها الحيويّة بسرعة، ما جعلها تصبح محلاً للصراع بين القوى الكبرى، وإن غابت قليلاً عن الواجهة الإعلامية التي ركزت أضواءها على المنطقة العربية منذ العام 2011 حتى يومنا هذا.

ثانيًا، نظرًا إلى ما يحتويه جوف هذه المنطقة من المعادن والنفط والغاز الطبيعي والفحم، وتصل احتياطات الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز من الغاز الطبيعي إلى 34 في المئة من الإجمالي العالمي، وتقع أكبر الاكتشافات في أذربيجان وتركمانستان وقازاخستان وأوزبكستان، كما أن هذه المنطقة تحتوي على حوالي 27 في المئة من إجمالي احتياطات النفط العالمي، لا سيما في قازاخستان وأذربيجان. في حين ان طاجيكستان وحدها تملك منايح ضخمة للمياه يمكن أن تستخدم لتوليد 527 مليار وات من الكهرباء.

ثالثًا، لان دول هذه المنطقة ورثت منشآت ضخمة للصناعات العسكرية الثقيلة والخفيفة من الاتحاد السوفياتي السابق بعد تفككه، وكانت أوزبكستان من المراكز الصناعية والزراعية المهمة، وورثت قازاخستان



آي ويو - الصين - من مجموعة Actual Gallery

في تصوراتها الذاتية خلال العقد الماضي، حيث لم تعد ترى نفسها على أنها تعيش في منطقة محصورة ومعزولة تعتمد كلية في علاقاتها مع العالم الخارجي على روسيا أو إيران. كما أن الوجود الأميركي والصيني والتركي والعربي المتزايد هناك قد أعطى هذه الدول إحساسًا بأهميتها وخيارات أوسع بكثير لانتقاء الشركاء والفرص التي لا تبدو أن إيران هي الأكثر جاذبية من بينها، خصوصًا في ضوء الحصار الدولي والعقوبات.

أفق الصراع بين القوى الكبرى

وعلى الرغم من أن دول آسيا الوسطى استجابت خلال العقدين السابقين للسياسة الأميركية لاعتبارات داخلية اقتصادية وسياسية، إلا أن السنوات الأخيرة شهدت تحفظات عدة من جانب هذه الدول على هذه السياسة محاولة تحجيم التدخل الأميركي في شؤونها، كما كان للصحة الروسية، والتي بدت واضحة جلية بعد أزمة أوسيتيا الجنوبية 2008 وما اتخذته من إجراءات في الفترة التي تلتها لاستعادة نفوذها في المنطقة، دورها الأساس في تراجع النفوذ الأميركي في المنطقة، حيث كانت توازنات القوى الحالية تعكس إرهابات تفاهم دولي لتقسيم مناطق النفوذ في العالم، وقبولًا أميركيًا ضمنيًا بعودة المنطقة للنفوذ الروسي، خصوصًا وأن هناك 25 مليون روسي انتشروا في جمهوريات الاتحاد السوفييتي السابق، ويمثلون نسبة يعتد بها من سكان جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز، فهم يمثلون 37.8% من عدد سكان قازاخستان، و21% في قيرغيزستان، و9% في تركمانستان، و8% في أوزبكستان و8% في طاجيكستان، و6% في أذربيجان.

والملاحظ أن وزارة الخارجية الأميركية طرحت عام 2015 استراتيجية تقوم على تفضيل دمج آسيا الوسطى في نظام عالمي يقوم على قواعد منظمة التجارة العالمية، لكن السنوات التي أعقبت ذلك، أظهرت رؤية روسية تعمل بقوة لإعادة موسكو إلى مكانتها كقوة عظمى كبرى، وهذا الصعود الروسي والتراجع الأميركي، خففا من حدة الصراع في آسيا الوسطى، وأبعدها عن واجهة الاهتمام السياسي، لكن ذلك لا يغير من الأهمية الاستراتيجية للمنطقة التي قد تعود إلى الواجهة بعد التوصل إلى حل ما للأزميتين السورية والأوكرانية أو مع قدوم إدارة جديدة إلى الحكم في البيت الأبيض ترى في آسيا الوسطى منطقة حيوية للمصالح الأميركية.

الوسطى فقط بسبب إمكان تصدير الأسلحة إليها، بل إن أنقرة تسعى لإشراك أوزبكستان في محور اللعبة السياسية جنبًا إلى جنب مع بقية الجمهوريات السوفياتية السابقة؛ مثل تركمانستان وقيرغيزستان وقازاخستان. لذلك، تعول أنقرة على العامل العرقي القائم على فكرة "الوحدة الثقافية التركية" بين شعوب المنطقة. ولهذه الغاية ابرمت مع عواصم دول آسيا الوسطى معاهدة إنشاء منظمة دولية للثقافة التركية. واستقطبت طلبًا من هذه الدول إلى الجامعات التركية وقدمت لهم الامتيازات.

وعلى خلفية ذلك، يتم سنويًا إحياء نشاطات ثقافية تحت رعاية المنظمة، تهتم بتقديم "التراث المشترك للعالم التركي". وعلى هذا الأساس، أصبح مجلس تعاون الدول الناطقة بالتركية أداة أخرى من أجل إنشاء "العالم التركي" تحت رعاية أنقرة.

ووجدت فكرة الوحدة الثقافية التركية صدى لها في هذه الدول منذ سنة 1990 لا سيما في أوزبكستان وقازاخستان، لكن لم تنعكس بصفة كلية وتراجعت حماسة هذه الدول حاليًا للتعاون المطلق مع انقره لكن ذلك لا يعني أنها لا تبحث عن سبل أخرى لتعزيز علاقاتها معها.

ثمار إيرانية ضئيلة

من جهتها، دخلت إيران على الخط بحثًا عن نفوذ، آملّة أن يؤدي الحوار النشط مع جمهوريات آسيا الوسطى إلى إقناعها بأن الصداقة مع طهران أجدى من المصادمة. وقد استخدمت وسائل الإقناع بأسلوب رقيق حيث عرضت طهران الجزرة بدل العصا في مفاوضاتها مع هذه الدول حيال العديد من القضايا ولا سيما في مجال أمن الحدود والاستقرار في أفغانستان وسهولة النقل إلى أسواق روسيا والصين. وكان تطوير أسواق الطاقة الإقليمية على الأرجح هو الدافع الرئيسي لديبلوماسية طهران في المنطقة في المدى المنظور.

ومع ذلك فإن هذه الجهود الإيرانية لم تغير بشكل كبير من الاتجاهات الحالية في آسيا الوسطى ما بعد المرحلة السوفياتية. فقدرة طهران على التأثير محدودة بشكل كبير. وبرغم أن هذا الموقف قد جاء جزئيًا نتيجة للمشاكل التي تعانيها إيران بسبب العقوبات والرغبة في تفادي توترات صريحة مع لاعبين معينين غير إقليميين (مثل روسيا وتركيا) إلا إنه يمثل دلالة على تحولات في السياسة الخارجية لحكومات آسيا الوسطى نفسها. وكما أوضح بعض المحللين فإن تلك الدول قد مرت بتغيرات هائلة

إقصائه عن تفاعلات المنطقة قدر الإمكان، وإتخذ الصراع بين روسيا والاتحاد الأوروبي في شأن إمدادات الطاقة بُعدًا استراتيجيًا مهمًا في سياق التفاعلات بين القوى الكبرى، لأن التوجه الأوروبي يقوم على أساس تنوع مصادر الطاقة، والتخفيف المستمر من الاعتماد على روسيا في إمداد أوروبا باحتياجاتها من الطاقة، حيث يعتبر المخزون الهائل من النفط، والغاز، والفحم، واليورانيوم، والذهب، والفضة، وباقي المعادن الاستراتيجية أكثر ما يميز المنطقة. كما يتخذ الصراع بين القوى الكبرى حول النفط والغاز في المنطقة أبعادًا عدة تبدأ بالتنافس بين شركات هذه القوى للحصول على حقوق اكتشافهما، وإنتاجهما، وتصديرهما.

اسرائيل ايضا وايضا

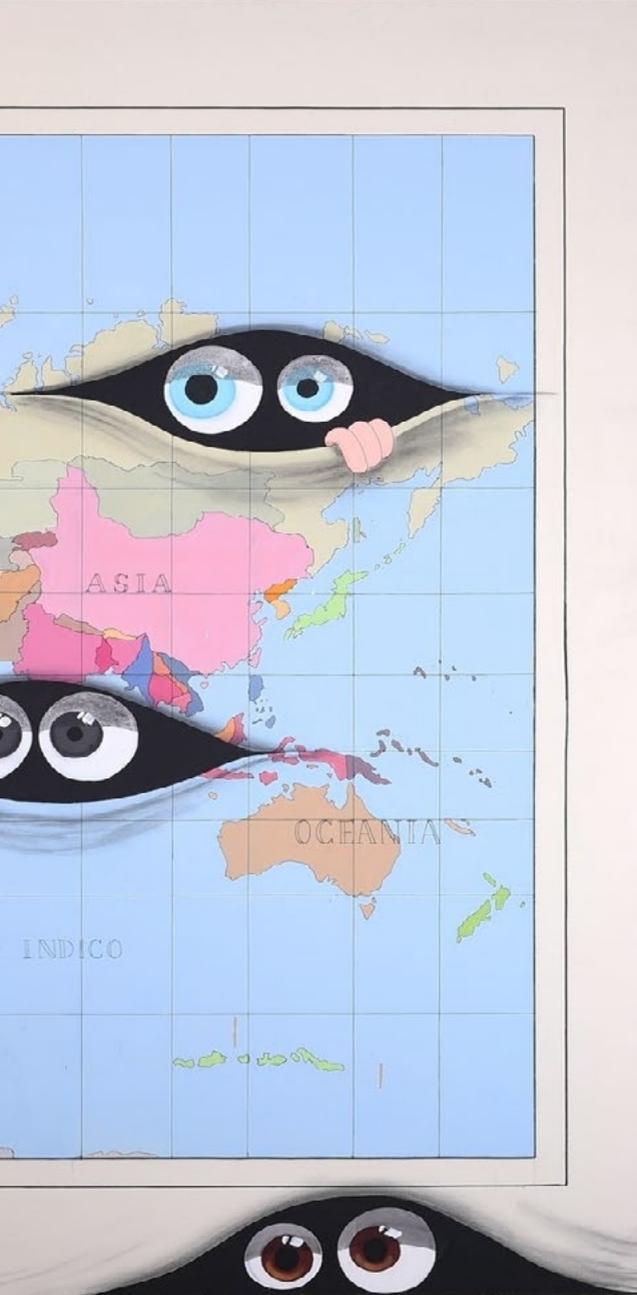
ولعل الغاز والنفط والمعادن المشعة، من العناصر الجاذبة للإسرائيليين، وهي تدفعهم للتفكير في كيفية اختراقها والتأثير عليها. وقد سعت الدولة العبرية إلى محاولة تأمين خط جيهاان النفطي وتأمين منابع النفط التي تغذي خط الأنابيب الذي يمتد من أذربيجان، ثم جورجيا حتى ميناء جيهاان التركي ثم إلى ميناء عسقلان، وهذا الخط، ينقل النفط الأذربيجاني والقازاخستاني ويزودها بما يقارب 40% من حاجاتها النفطية، وتسعى إسرائيل مستقبلاً إلى مد خط أنابيب يصل عسقلان بإيلات على البحر الأحمر، لتصدير النفط من إيلات لدول آسيا كاليابان والهند والصين، لتصبح واحدة من أهم ممرات الطاقة العالمية، مقللة بذلك الأهمية الاستراتيجية لقناة السويس، ومن الهيمنة الروسية على ممرات النفط، وكذلك إضعاف تأثير روسيا على آسيا الوسطى والقوقاز، وعزل الصين وإيران عن الثروات النفطية لتلك المنطقة.

فكرة "الوحدة الثقافية التركية"

من جهتها، عملت حكومات حزب العدالة والتنمية التركية بزعامة رجب طيب اردوغان بنشاط لترسيخ فكرة "الوحدة التركية"، التي تقوم أساسًا على بسط نفوذها في منطقة آسيا الوسطى. وفي سبيل تحقيق مبتغاها، عززت انقرة التعاون مع أوزبكستان في مجال التعاون العسكري، بالإضافة إلى العديد من المجالات الأخرى. كما سعت إلى دعم علاقاتها مع دول آسيا الوسطى؛ مثل أذربيجان وقازاخستان وقيرغيزستان وتركمانستان. وراحت تبحث عن أسواق لصناعات الأسلحة. لكن تركيا لا تهتم بآسيا

الصين وتحديات ٢٠٢٠: نحو «نصر عظيم»؟

عبد الرحيم عاصي



خافيير كاليخا - اسبانيا - من مجموعة Artual Gallery

ومن جهة الصين، ذكرت مجلة "فورن بوليسي" الأمريكية، في تحليل حديث، أن كبار المسؤولين والخبراء الصينيين الذين اطلعت على آرائهم يفضلون إعادة انتخاب ترامب في الانتخابات الأمريكية المقبلة ذلك أن "سياسته منحت الصين فرصة لتوسيع نفوذها في آسيا وإضعاف الزعامة الأمريكية"، وهم يعتقدون أن سياسته تجاه الصين، من الناحية الاستراتيجية، مفيدة لبيكين على المدى الطويل، إذ أنه "ينتقد بصوت عال ولكنه قليل الفعل".

برغم ذلك، لا تزال خطوات واشنطن تجاه الصين تصعيدية، خاصة بعد مصادقة ترامب على قانون الدفاع الأمريكي بما

معظم تكلفة الرسوم الجمركية الأمريكية على الصين، أثرت على المستهلكين والشركات الأمريكية، بحسب أليساندرو نيكيثا، الخبير الاقتصادي في مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية "أونكتاد".

وفيما بلغت خسائر الصادرات الصينية نحو 35 مليار دولار في النصف الأول من 2019، تحوّل حوالي 21 مليار دولار (أو 63%) إلى البلدان التي استفادت من الحرب، في حين فقد المنتجون الأمريكيون أو استحوذوا على 14 مليار دولار. كذلك أشار تقرير لـ"أونكتاد" إلى أدلة مبكرة على أن المصدرين الصينيين ربما يكونوا قد بدأوا في تحمل جزء من تكاليف الرسوم الجمركية عبر انخفاض أسعار التصدير، في حين يعد قطاع التصنيع الصيني الأكثر تضرراً بما في ذلك أجهزة الكمبيوتر وغيرها من الآلات المكتبية، ومعدات الاتصالات، حيث انخفضت الصادرات الصينية بمقدار 15 مليار دولار.

امتدت تأثيرات هذه الحرب في العالم أيضاً، إذ حذر صندوق النقد الدولي مؤخراً من أن التوتر التجاري ومفاعيله الجانبية مثل تجميد الاستثمارات والبلبل في سلاسل التموين الدولية، ستقتطع 700 مليار دولار من إجمالي الناتج الداخلي العالمي بحلول 2020، ما يوازي حجم الاقتصاد السويسري.

ووفقاً لمديرة التجارة الدولية والسلع في "أونكتاد"، بامبلا كوك هاميلتون، فإنّ هذه الحرب التجارية "تهدد أيضاً استقرار الاقتصاد العالمي والنمو في المستقبل".

لكن يبقى السؤال، هل ينجح الاتفاق في تخفيف حدة التوتر ومنع نزاعات جديدة؟

يقول البروفسور الاقتصادي الأمريكي نوريل روييني، في تحليل لموقع "بروجكت سيندكت"، إنه منذ تولي دونالد ترامب منصبه، قامت استراتيجية الأمن القومي واستراتيجية وزارة الدفاع على مبدأ أن الصين دولة منافسة للهيمنة الأمريكية، وبالتالي يجب احتواؤها، ولذا فإن الاتفاق التجاري "لا يعني توافقاً بين واشنطن وبيكين".

يتفق عدد من خبراء الاقتصاد والمال على أن الاتفاق يعتبر هزيباً في حد ذاته، ولم يكن بحجم التصريحات التي صدرت عن البيت الأبيض طوال العامين الماضيين تجاه ما يسميها "الانتهاكات الصينية"، لكنهم اعتبروه "مفيداً" إذ أنه أوقف مؤقتاً الحرب التجارية.

وفيما يعتبر روييني أن أهمية الاتفاق تكمن في أنه سيقود إلى تفادي حدوث أزمة في أسواق المال، تشدد أستاذة الاقتصاد الدولي في جامعة "كوين ماري" في لندن، البروفسورة باولا سوباشي، على أن اتفاق المرحلة الأولى لا يعني انتهاء الصراع على الهيمنة العالمية بين العملاقين الصيني والأميركي وحول بناء "النظام العالمي الجديد".

وبرغم تباين مواقف خبراء الاقتصاد، إلا أن المؤكد أن دونالد ترامب سيحاول الاستفادة من الاتفاق للعمل على تخفيف حدة التوتر مع بيكين وهو على أعتاب الانتخابات الرئاسية خريف هذا العام، لإدراكه أن أي تصعيد جديد سينعكس سلباً لدى المستهلك الأمريكي في صندوق الاقتراع.

أقفلت الصين العام 2019 على ثلاثة ملفات رئيسية شغلتها وشغلت العالم: الحرب التجارية مع الولايات المتحدة، الأزمة في هونغ كونغ، وأخيراً "الزوبعة" المثارة حول ما يقال عن اضطرار قومية "اللاويغور" المسلمة.

ضمن هذه الخلفية، تنتقل هذه المسائل، برفقة التحديات الاقتصادية إلى العام 2020، وسط إدراك السلطات الشيوعية بأنّ التحدي الاقتصادي داخلياً وخارجياً سيكون الملف الأهم هذه السنة.

بعد نحو 18 شهراً على اندلاع الحرب التجارية بين الصين والولايات المتحدة، شهدت نهاية عام 2019 انفراجة مع اعلان التوصل إلى اتفاق جزئي بين أقوى اقتصادين في العالم، عُرف باتفاق "المرحلة واحد" الذي يراد الانتهاء من تفاصيله اللوجستية قبل توقيعها من قبل الرئيسين دونالد ترامب وشي جين بينغ في مطلع العام الحالي.

وبموجب الاتفاق، ستخفف واشنطن إلى النصف الرسوم الجمركية المفروضة حالياً على السلع الصينية، وفي المقابل، ستشتري بكين منتجات أميركية أكثر، لا سيما مواد زراعية.

وينظم الاتفاق التعامل مع الملكية الفكرية، ونقل التكنولوجيا والمنتجات الغذائية، والخدمات المالية وسعر الصرف، والشفافية وزيادة التجارة والتقييم المتبادل وتسوية المنازعات.

وكان ترامب كشف قبل نحو شهرين عن أنه بموجب الاتفاق ستشتري الصين منتجات زراعية أميركية بقيمة 40 إلى 50 مليار دولار في السنة، وهي كمية تزيد بمرتين ونصف عن الحد الأعلى للمشتريات الصينية السنوية الذي سُجل عام 2017، حين استوردت بكين ما قيمته 19.5 مليار دولار من هذه المنتجات، قبل أن يتراجع هذا الحجم إلى ما يزيد عن 9 مليارات دولار عام 2018 تحت تأثير الحرب التجارية.

في المقابل، وافق ترامب على التخلي عن زيادة في الرسوم الجمركية من 25 إلى 30% كان يعتزم فرضها على 250 مليار دولار من الواردات الصينية.

وكان البلدان قد خاضا على مدار سنة ونصف السنة حرباً تجارية تبادلها فيها فرض رسوم جمركية على سلع تتجاوز قيمتها 360 مليار دولار من التبادل التجاري الثنائي.

وكانت الأرقام في العام 2018 قد سجلت تفوقاً للصين حيث وصل حجم التجارة بين الدولتين إلى 737 مليار دولار، منها 179 ملياراً صادرات أميركية في مقابل واردات من الصين بلغت 558 مليار دولار، أي بعجز تجاري لصالح الصين بلغ 378 مليار دولار.

ووفقاً لبيانات الأشهر الستة الأولى من العام المنصرم، فإن

وفي هذا السياق، تؤكد هيئة إدارة الصرف الأجنبي الصينية، أن أهم واجباتها في العام 2020، هو تفادي حدوث مخاطر مالية كبرى في البلاد، وعلى رأسها وقف هروب الأموال إلى الخارج، ومنع النشاطات التجارية غير الشرعية التي تستخدمها الشركات.

ويبقى الخطر الأكبر الذي يتهدد الصين في العام 2020 هو الديون الداخلية والخارجية. ويحذر الخبراء من انفجار "قنبلة الديون"، ما سيرتد سلباً على الاقتصاد المحمل بديون تبلغ نحو 300% من قيمة الناتج المحلي وقروض الظل، إذ يتعين على الحكومة الصينية مواجهة هذا الخطر الداهم بعدما سجل العام 2019 تزايد عدد المصارف المفلسة، وتخلف شركات عن سداد ديون بقيمة 130.7 مليار يوان (18.7 مليار دولار)، وفقاً لوكالة "بلومبيرغ" التي حذرت أيضاً أنه خلال العام الحالي قد تتخلف الشركات الصينية عن دفع ديون بقيمة تريليوني يوان.

وبالتزامن، بلغت قيمة الديون الخارجية للصين نحو 2.0325 تريليون دولار في نهاية شهر أيلول/سبتمبر من العام الماضي، مسجلة إرتفاعاً في الربع الثالث من العام بواقع 34.5 مليار دولار مقارنة بشهر حزيران/يونيو الماضي، بزيادة بلغت 1.7%.

وسط هذه الأجواء، أكد المصرف المركزي الصيني أنه سيعمل على درء المخاطر المالية ونزع فتيلها وسط "تغيرات عميقة" في الاقتصادين المحلي والدولي، كما أقدم على خفض الاحتياطات الإلزامية التي ينبغي على جميع المصارف الاحتفاظ بها، ليتيح سيولة بنحو 800 مليار يوان (114.91 مليار دولار) من أجل دعم الاقتصاد المتباطئ.

ويشدد خبير في معهد البحوث التابع لوزارة التجارة الصينية، على أن الاقتصاد الصيني يواجه في العام 2020 خمسة تحديات يجب إيجاد حلول لها وهي:

- 1 - تحتاج الصين إلى إكمال بناء "مجتمع متوسط الدخل" وتحديد الخطة الخمسية الـ 14.
- 2 - ضرورة التحرك لزيادة كفاءة الاقتصاد ووضع كألوية.
- 3 - ضرورة تنفيذ الخطط الضامنة للمحافظة على معدل نمو الاقتصاد الصيني عند 6%.
- 4 - ضرورة الحفاظ على مستوى صادرات المنتجات الصينية في ظل الحرب التجارية مع واشنطن.
- 5 - ضرورة بناء السياسة العامة على أساس الفرص الاقتصادية في ظل الضغوط المتزايدة على الصين والوضع الدولي الصعب.

كل هذه التحديات ناقشها مؤتمر العمل الاقتصادي المركزي السنوي في بكين برئاسة الرئيس شي جين بينغ، والذي رسم مسار الاقتصاد في العام 2020.

وفي وقت أكد المؤتمر أن البلاد تواجه تزايد ضغوط الهبوط الاقتصادي، شدد على أنها "تستطيع التغلب على كل المخاطر والتحديات".

وفي هذا الإطار، حدد الرئيس الصيني المهام الرئيسية لتحقيق الأهداف المتوقعة للعام 2020، على كافة الصعد الاقتصادية والاجتماعية، بما يضمن تحقيق البلاد "نصراً عظيماً".

وهو أقل معدل نمو للاقتصاد الصين منذ نحو 30 عاماً، فإنها أقرت أنه من الصعب المحافظة على معدل نمو الاقتصاد فوق 6%، وسط حالة الغموض التي تحيط بالأوضاع الدولية، فيما حذر رئيس الحكومة لي كه تشيانغ، من تباطؤ جديد لثاني أكبر اقتصاد في العالم، والذي ينمو حالياً بأقل معدل له منذ عقود.

بالإضافة إلى ذلك، ورغم تشديد السلطات النقدية الصينية

يتضمنه من فرض قيود تجارية على بكين. كذلك، يدعو القانون إلى تعزيز الروابط العسكرية بين واشنطن وتايوان، ودعم الاحتجاجات المطالبة بمزيد من الديمقراطية في هونغ كونغ، ويطلب أيضاً تقريراً عن معاملة "اللاويغور" في إقليم شينجيانغ، وهو ما رأت فيه بكين "تدخلًا سافرًا"، فيما حذر الرئيس الصيني شي جين بينغ من أنه "يضرّ بالعلاقات بين البلدين".



الاقتصاد وتحدياته في 2020

سجل العام 2019 مؤشرات اقتصادية مثيرة للقلق لبكين ستكون تداعياتها حاضرة في الخطط الموضوعة للعام الحالي، وقد تمثلت بتباطؤ اقتصادي، حيث سجل النمو أقل مستوياته خلال 17 عامًا ونصف العام. وفي حين تؤكد بكين أن اقتصادها يواصل "تطوره السلس والمستدام" حيث سجل خلال النصف الأول من العام الماضي نموًا بمعدل 6.3% من إجمالي الناتج المحلي،

إجراءات خروج رأس المال والتحويلات من اليوان إلى العملات الأجنبية، سجل العام الماضي قيام أثرياء بتهريب ثرواتهم إلى خارج البلاد عبر طرق شرعية وغير شرعية. وذكر تقرير لمعهد "التمويل الدولي" في واشنطن، أن حجم الأموال التي هربت من الصين خلال النصف الأول من العام الماضي بلغت نحو 74 مليار دولار، وذلك وفقًا لبيانات استقها المعهد من المصرف المركزي الصيني، مع الإشارة إلى أن حجم الأموال التي هُزبت بطرق غير شرعية تفوق هذا المبلغ بكثير، وقد قدرها المعهد بنحو 131 مليار دولار.

رن تشنغ فاي.. ثورة «الجيل الخامس»

وسام متي



عن الإكونوميست

للبحث والتطوير، وهو مجال استثمرت فيه 14.8 مليار دولار في العام 2018. علاوة على ما سبق، فإن "هاواي" تتقدم اليوم على منافسيها في المجال الاستراتيجي، المتصل بتكنولوجيا "5 جي" - شبكة الجيل التالي للهواتف المحمولة. التحول التكنولوجي هو في الواقع نقطة تحول تاريخية بالنسبة إلى الصين، الطامحة إلى استعادة مكانتها التاريخية، يوم كانت، حتى عصر النهضة الأوروبية، الأقوى من حيث التكنولوجيا.

"لحظة سبوتنيك"

في الولايات المتحدة، ثمة من يقارن هذا التحول التكنولوجي بـ "لحظة سبوتنيك"، في إشارة إلى ما حصل في العام 1957، عندما اكتشفت الولايات المتحدة أن السوفيات أطلقوا مشروع غزو الفضاء. القلق من الصين لا يقتصر على الولايات المتحدة. أوروبا أيضاً تشعر بالقلق تجاه قدرة "هاواي" على جمع كميات كبيرة من البيانات عند بدء استخدام "5 جي"، ولهذا الغرض مضت فرنسا في سنّ تشريع خاص سُمي "قانون مكافحة هاواي".

مع ذلك، فإنّ لـ "هاواي" حلفاء في الغرب، بما في ذلك داخل الولايات المتحدة، حيث يهتم كثير من المشغلين بالخدمات التي توفرها الشركة الصينية.

إلى ثورة الجيل الخامس

في هذه المواجهة المتعددة الأوجه في الجغرافيا السياسية والأعمال التجارية والتكنولوجيا، بات رن

من الصين. وفي ذروة المواجهة، حين بدأت الولايات المتحدة تطبيق آليات التعريفات المتبادلة التي تركت تأثيراتها على التجارة الدولية، وبالتالي النمو العالمي، بات رن تشنغ فاي في قلب الصراع بشكل شخصي في كانون الأول/ديسمبر عام 2018، حين ألقى القبض على ابنه منغ وانزهو، التي تشغل منصب المدير المالي لمجموعة "هاواي"، خلال تواجدها في كندا، بناءً على أوامر من السلطات الأميركية، التي طلبت تسليمها بتهمة تقديم معلومات كاذبة بشأن البيانات المتعلقة بمبيعات منتجات "هاواي" في إيران.

بعد أشهر قليلة، باتت "هاواي" عنواناً للمواجهة الكبرى، ففي السابع عشر من أيار/مايو عام 2019، أدرجت الشركة العملاقة على قائمة الكيانات المشمولة بالعقوبات الأميركية، وحظر عليها الحصول على المكونات الأساسية من الولايات المتحدة، فيما تمّ التهديد بمنع تثبيت أنظمة تشغيل "اندرويد" و"غوجل" على هواتفها.

لماذا "هاواي"؟

ولدت هذه الشركة في العام 1987 بطريقة غير نمطية: هي مملوكة بنسبة مئة في المئة من قبل موظفيها، وقد نمت خلال السنوات الماضية بشكل مذهل، لتحقيق مبيعات بلغت 107 مليارات دولار في العام 2018. كما تعدّ ثاني أكبر بائع للهواتف الذكية (200 مليون دولار هي قيمة الوحدات المباعة في العام 2018)، والمورد الرئيسي في العالم لمعدات الاتصالات.

ومنذ فترة طويلة، باتت "هاواي" تعتبر بديلاً أرخص، حتى لكبريات الشركات الأوروبية، فقد أصبحت عملاقاً

"الإنسانية ستدخل عالمًا ذكيًا خلال السنوات العشرين أو الثلاثين المقبلة. المجتمع على وشك انفجار آخر في النظريات والتقنيات الجديدة. هناك الكثير من الإمكانيات، ولكن أيضاً الكثير من عدم اليقين. تبقى أسئلة كثيرة، وسيكون التعاون المفتوح أفضل طريقة لمواجهتها".

بهذه الكلمات لخص رئيس مجلس إدارة شركة "هاواي" رن تشنغ فاي، في مقال بعنوان "الانفجار المقبل في الابتكار" نُشر في العدد السنوي الخاص لمجلة "إكونوميست"، حال العالم خلال العقد المقبل، أو بالأصح موقعه في هذا العالم، كقطب في قطاع المعلوماتية، وصفته مجلة "لوبوان" الفرنسية يومًا بأنه "الرجل الذي سيغيّر مجرى التاريخ".

لا تقتصر محورية دور رن تشنغ فاي على موقعه في قلب المنافسة الشرسة في قطاع الاتصالات، بحكم رئاسته لشركة "هاواي" التي أسسها بنفسه، فهو بات بالفعل عنوان تنافس تجاري وتكنولوجي وسياسي يسميه البعض "الحرب الباردة الجديدة" بين أقوى اقتصادين في العالم: الولايات المتحدة والصين.

في هذه "الحرب الباردة"، عمد الرئيس الأميركي دونالد ترامب، منذ وصوله إلى البيت الأبيض، إلى تشديد موقفه

تشنغ فاي لاعبًا رئيسيًا، لا بل رمزًا. يمكن رسم "بورتريه" لرن تشنغ فاي، إنطلاقًا من مقتطفات من مقابلات قليلة أجراها مع وسائل إعلام غربية.

درس رن تشنغ فاي، المولود عام 1944، الهندسة في جامعة تشونغكينغ في الصين، ثم التحق بمعهد أبحاث جيش التحرير الشعبي الصيني، في ذروة الاضطرابات التي سببتها "الثورة الثقافية" في البلاد في ستينيات القرن الماضي، حيث "كانت هناك فوضى في كل مكان تقريبًا بما في ذلك في قطاعي الزراعة والصناعة". يقول رن عن تلك الحقبة، في مقابلة مع صحيفة "بريد

تحول التكنولوجيا هو في الواقع

نقطة تحول تاريخية بالنسبة

إلى الصين، الطامحة إلى استعادة

مكانتها التاريخية، يوم كانت،

حتى عصر النهضة الأوروبية،

الأقوى من حيث التكنولوجيا

جنوب الصين": "كان يُخصَّص لكل شخص ثلث متر فقط من القماش، وبالكاد كانت كافية للترقيع، ولذلك لم أكن أرتدي ملابس خالية من الرقع عندما كنت يافعًا".

ويضيف "كانت ظروفًا قاسية... كان بيتنا متهاكًا، لذا كنا نشعر بالبرد باستمرار، وكانت درجات الحرارة تهبط إلى 28 دون الصفر، ولم تكن الخضروات متوفرة على الإطلاق، وكذلك اللحوم وزيت الطهي كان محدودًا للغاية".

في عام 1978، وبعد عامين من وفاة الزعيم الصيني ماو تسي تونغ، انضم رن إلى الحزب الشيوعي بعدما ابتكر أداة أساسية للاستخدام في اختبار المعدات المتقدمة في مصنع الملابس، الأمر الذي لم يكن مسموحًا له من قبل، بسبب ارتباط والده بالجانب القومي الخاسر في الحرب الأهلية الصينية.

"هاواي".. اشتراكية في عالم رأسمالي

كان رن تشنغ فاي يأمل في أن يصل إلى ما يعادل رتبة مقدم في الجيش الصيني، ولكن حدث العكس، وسُرح من الجيش عام 1983، عندما قلّصت الصين من أعداد الضباط المهندسين.

وبعد انتقاله إلى شنزن، جنوب الصين، بدأ العمل في القطاع الإلكتروني الوليد، وتمكن أخيرًا من جمع ما يكفي من المال لتأسيس شركة "هاواي".

عندما بدأ رن تشنغ بتأسيس الشركة الصغيرة بقيمة 6600 دولار عام 1987، لم يكن يعلم أنها ستتمو

وتصبح عملاقة الاتصالات، وأنه سيصبح من أغنى أغنياء العالم. حاليًا تُقدر ثروته الشخصية بنحو 1.7 مليار دولار، ويعمل في شركته 180 ألف موظف موزعين في جميع أنحاء العالم.

في مقابله مع "لوبوان"، سُئل رن: "هل أنت رأسمالي أم اشتراكي؟". عندها، حاول الرجل أن يقدم تفسيرًا ايدولوجيًا يتموضع فيه بين الاشتراكية والرأسمالية فقال: "لقد وضع دنغ شياو بينغ أسس النظام والاشتراكية واقتصاد السوق، حيث قاد الإصلاح والانفتاح. الاشتراكية هي نظام يعزز الإنصاف، لكن الإنصاف والمساواة في الصين غالبًا ما يتم الخلط بينهما. الإنصاف الاشتراكي يعني أن الشخص الذي يعمل أكثر يكسب أكثر، والشخص الذي يساهم أكثر يأخذ أكثر".

ويضيف "يعتقد دنغ شياو بينغ أن النظام الأساسي للصين هو الاشتراكية، لكننا نحتاج أيضًا إلى اقتصاد السوق. في اقتصاد السوق، هناك بالضرورة ضغط رأس المال. يجب على الصين الحفاظ على توازن بين رأس المال والعمالة. من يستطيع أن يفعل ذلك؟ الحكومة، وذلك عبر إصلاح توزيع الأرباح. عندما يتعلق الأمر بـ 1.3 مليار شخص، يمكنك أن تتخيل تضارب المصالح الذي يحدث. يجب على الحكومة الصينية الحفاظ على سيطرة قوية حتى لا تغرق البلاد في الفوضى. ولهذا السبب، التزم دنغ شياو بينغ في العام 1979 بالمبادئ الأساسية الأربعة"، وهي التقدم نحو الاشتراكية، دكتاتورية البروليتاريا، قيادة الحزب الشيوعي الصيني، حقيقة أن الحزب يقوم على الماركسية اللينينية وفكر ماو تسي تونغ".

حلم تشنغ خه بنمط "أوروبي"

يبدو رن مسكونًا بالروح الوطنية الصينية، التي يحاول أن يوائمه مع نشاطه الاقتصادي العالمي، من دون أن يخفي إعجابه بما حققه الأوروبيون على مدار التاريخ.

يقول رن: "إذا نظرنا إلى تاريخ الصين، الذي يعود إلى عدة آلاف من السنين، يمكننا أن نرى أنها لم تكن يومًا دولة توسعية. إنها تقود الآن سياسة الإصلاح والانفتاح. هذه السياسة التي تشجعنا على التوجه إلى الخارج بوسائل تجارية.. نحن لم نصدر أيديولوجياتنا".

يجر رن في التاريخ، لشرح فكرته: "في أوائل القرن الخامس عشر، ذهب الأدميرال تشنغ خه لاستكشاف العالم، ووصل إلى الساحل الصومالي بقوارب أكبر بثلاث مرات من قوارب كريستوف كولومبوس. لكن إمبراطورية مينغ أوقفت الحملات... هل ما زال هناك في الصين نقاش بين المغامرة والانسحاب؟".

يضيف "كان هدف تشنغ خه مختلفًا عن هدف كولومبوس. لقد قدم تشنغ خه الهدايا إلى البلدان التي اكتشفها، ولم يكن يهدف إلى التوسع التجاري. أما كولومبوس، فكان هدفه الرئيس العثور على الذهب والتوابل".

ويشير إلى أن الأوروبيين "من خلال قوتهم السوقية، جلبوا لغاتهم الإنكليزية والفرنسية والبرتغالية والإسبانية، وكذلك ثقافتهم، إلى السكان المحليين، وأشركوهم في أيديولوجيتهم، حيث ذهب عدد كبير من المبشرين إلى الوعظ خارج حدودهم، بحيث انتشرت المسيحية في جميع أنحاء العالم".

يحاول رن تكرار التجربة من خلال التكنولوجيا، فإذا كان

المبشرون الأوروبيون قد جلبوا القيثارات إلى الصين، فإن "هاواي" تجلب "الجيل الخامس" (-5جي)، وهذه برأيه "الخطوة التالية"، إذ "سيتمكن الموسيقيون من جميع أنحاء العالم من تشغيل أغانيهم معًا".

"أفضل مقابلة ماكرون..."

يرى رن أن الولايات المتحدة هي التي تزيد من حدة التوترات: "إنهم يبالبغون في تأثيرنا الجيوسياسي".

لا يعرف رن ما يفكر فيه دونالد ترامب، لكنه يعتقد أن الصراع هو سياسي في الأساس، أكثر منه تقني، موضوعًا "في مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية، ليس لدى الولايات المتحدة تقنيات -5جي أو التبديل البصري. لذلك فما يجري ليس صراعًا تقنيًا، ففي صناعة معدات الاتصالات السلكية واللاسلكية، لا توجد شركة أميركية واحدة تباع المنتجات التي نبيعها، لذلك فهي ليست منافسة على هذا المستوى".

حين يسأله محاوره: هل قابلت دونالد ترامب؟ يجب رن تشنغ فاي ضاحكًا "أفضل مقابلة ماكرون!"

تنطوي هذه الإجابة على نظرة إيجابية تجاه أوروبا، إذ لا يرى رن أن لديها مطامح توسعية مثل الولايات المتحدة، علاوة على أن التعددية الأوروبية تعني "أنك لن تكون في حاجة إلى وجود محاور واحد في أوروبا: كل دولة تتخذ القرارات وفقًا لمصلحتها".

لكن الأهم بالنسبة إلى رن تشنغ فاي أن "الاقتصادين الصيني والأوروبي متكاملان من خلال مبادرة طريق الحرير"، لا بل هو يعتبر أن أوروبا "نقطة دعم" في النظام العالمي الجديد، ذلك أنه "منذ زمن طويل أدركنا أن العالم يحتاج إلى ثلاث نقاط دعم للحفاظ على توازنه.. في الوقت الحالي، هناك نقطتان فقط، الصين وأوروبا، لذلك، فالعالم غير مستقر".

العالم الرقمي... إلى أين؟

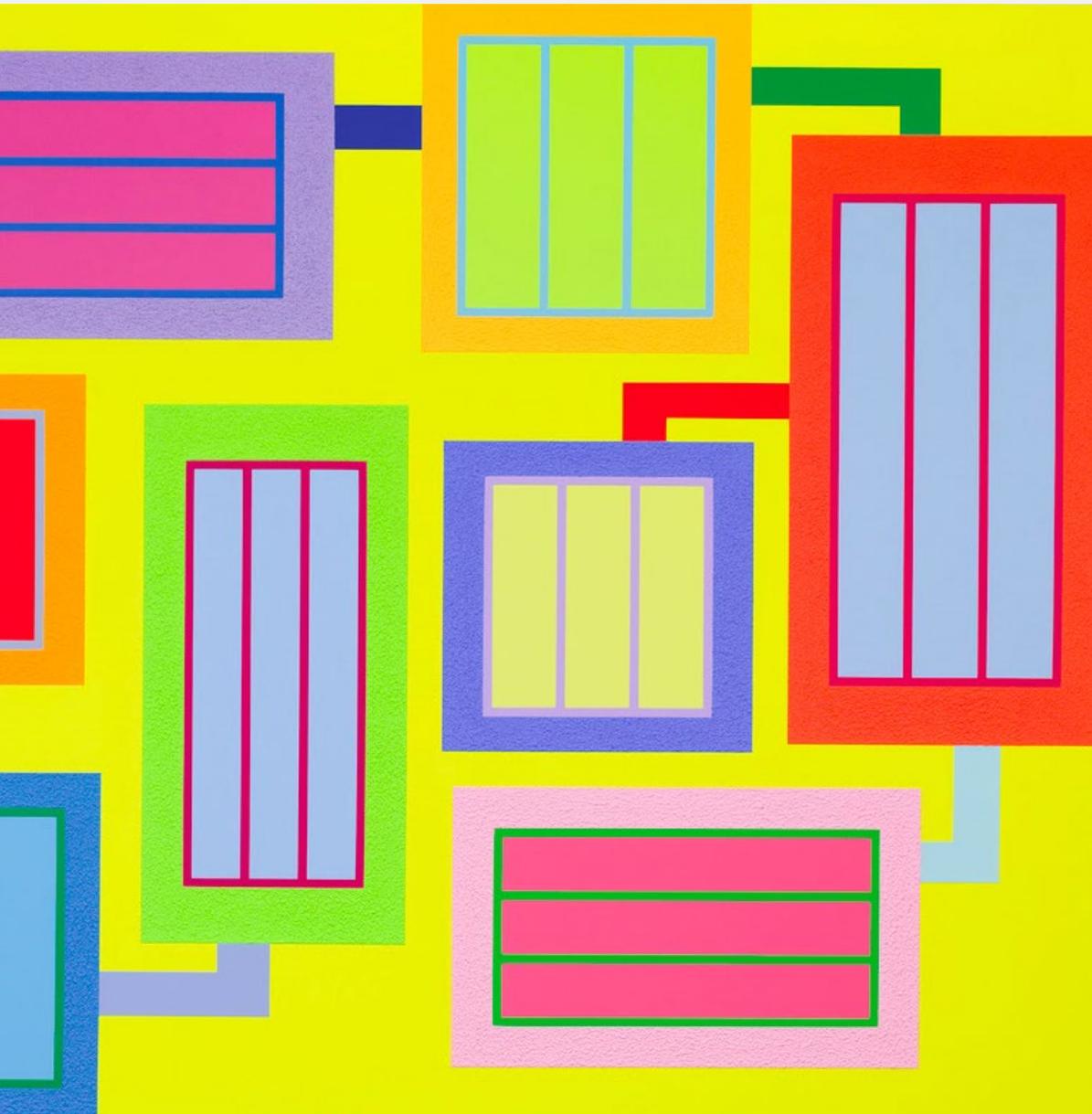
"باختصار، نحن لا نعرف شكل هيكل مجتمعنا، وكيف سنتكيف معه، أو كيف يمكننا إبقائه تحت السيطرة. كل الأفكار والتقنيات الجديدة تتكشف أمام أعيننا... ومن المؤكد أننا سنشهد اختراقات مهمة في التقنيات الوراثية على مدار العقدين أو الثلاثة عقود القادمة، ما سيؤدي إلى تقدم مذهل في علوم الحياة والتكنولوجيا الحيوية والطب النانوي... ولكن كيف ستعمل هذه الاختراقات على تغيير الطريقة التي يعيش ويعمل فيها الناس؟ هذا الأمر غير واضح".

هكذا يرى رن تشنغ فاي مستقبل البشرية في ظل "انفجار الابتكارات"، كما كتب في الـ"ايكونوميست"، ومع ذلك، فإن التطور بالنسبة إليه لا بد أن يبقى ضمن أسنة التكنولوجيا، التي تضمن شكلًا من أشكال المصالحة بين البشر والذكاء الاصطناعي.

هذا ما عبر عنه رن في مقابله مع "لوبوان" حين أشار إلى أن "الخوف من الذكاء الاصطناعي اليوم يتشابه مع الخوف من آلات الغزل والنسيج في السابق"، ولكن "هناك الكثير من العمل الذي لا يمكن للذكاء الاصطناعي القيام به أبدًا: لا يمكنك شرب القهوة مع الذكاء الاصطناعي. عندما تكون مريضًا، قد يعطيك الروبوت دواءً أو حقنة، ولكن ألن تجده شديد البرودة؟ نحتاج دائمًا إلى شخص حقيقي لديه عواطف وخبرات حقيقية".

أوروبا: لماذا إنتصر اليمين ولماذا سيسقط بعد «بريكست»؟

ضيف حمزة ضيف



بيتر هالي - أميركا - من مجموعة Artual Gallery

يعيش العالم برمته، تبعات فوز المحافظين بزعامة بوريس جونسون (55 سنة) المنتخب عن أكسبريدج وجنوب روسليب غرب لندن، بأغلبية برلمانية مريحة قُدرت بـ 362 مقعدًا من أصل 650 هي إجمالي مقاعد مجلس العموم البريطاني. مضيًا إلى نفسه 45 مقعدًا جديدًا من أصل 317 كان قد حصلها في آخر انتخابات تشريعية قبل الأخيرة التي جرت في 12 ديسمبر/ كانون الأول 2019، وكان يكفيه أن يفوز بـ 326 مقعدًا حتى يتمكن من بلوغ المقاعد اللازمة للوصول إلى الأغلبية النيابية.

جاء انتصار المحافظين على حساب خسارة حزب العمال بقيادة جيرمي كوربن (70 سنة) المنتخب عن دائرة إزليغتون الشمالية في لندن بـ 59 مقعدًا، أي حصوله على 203 مقاعد فقط، بعد أن كان يستحوذ على 262، بل إنه خسر مناطق صوت سكانها للمحافظين برغم أنهم كانوا من العمال مثل مناطق ميدلاندز وشمال البلاد في إنجلترا، في أسوأ نتيجة في تاريخ الحزب منذ العام 1935. فيما تحصل الحزب الوطني الإسكتلندي على 55 مقعدًا، في مفاجأةٍ اعتبرت زلزالًا حقيقيًا، فهذا الحزب الذي يقع في وسط اليسار وتقوده السيدة نيكولا ستارجن (منذ 14 نوفمبر/ تشرين الثاني 2014)، والوزيرة الأولى لـ إسكتلندا (تولت المنصب منذ 20 نوفمبر/ تشرين الثاني 2014)، وعضوة مجلس العموم البريطاني، منذ انتخابها سنة 1999، وأكثر شخصية فاعلة في الحزب القومي الإسكتلندي منذ زعامة السيدة ويني إوينج بين عامي 1987 و2005. وأشد أعضاء الحزب دعوةً إلى الاستقلال عن بريطانيا بُعيد تسلمها لقيادته إثر استقالة السيد أليكس سالموند بُعيد نتائج استفتاء استقلال إسكتلندا في 18 سبتمبر/أيلول 2014، والذي رفض فيه الناخبون استقلال إسكتلندا عن المملكة المتحدة بنسبة 55.42% مقابل نسبة 44.58% كانت تؤيد الاستقلال، أضاف إلى رصيده 20 مقعدًا إضافيًا عمّا حصل عليه في انتخابات 8 حزيران/يونيو 2017. ثم يأتي الديمقراطيون الأحرار بـ 13 مقعدًا، يليهم حزب بليد سيمرو في ويلز بـ 3 مقاعد، فحزب الخضر بمقعد واحد، ولم يحصل حزب "بريكست" على شيء، مقابل فوز آخرين بـ 22 مقعدًا، لهم مواقف متباينة من "بريكست"، وأغلب برامجهم تتضمن حلولًا مطلية ذات طابع خدمي أكثر منها مطالب سياسية أو توجهات أيديولوجية. وقال بوريس جونسون معلقًا على هذا الفوز التاريخي منذ عهد مارغريت تاتشر سنة 1987: "هذا التفويض الجديد القوي، يمنح هذه الحكومة الجديدة فرصة احترام الإرادة الديمقراطية للشعب البريطاني"، ومخاطبًا مصوته بالقول: "لن أخذلكم". كما وعد بتنفيذ خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي "في موعده" في 31 يناير/كانون الثاني، متعهدًا بـ "زيادة الإنفاق على الصحة والتعليم والشرطة". من جانبه، علق جيرمي كوربن، حسب ما نشرته صحيفة

الخيار الذي يعارضه المحافظون كثيرًا لاسيما رئيسهم بوريس جونسون أكثر من معارضة حزب العمال له!

لماذا أخفق حزب العمال؟

تناولت الكثير من الأعلام جملة الأخطاء التي وقع فيها جيرمي كوربن، أدت في النهاية إلى تكبد هذه الخسارة المدوية، بداية من برنامج الانتخابي الذي رآه البعض في بريطانيا بأنه كلاسيكي وتجاوز الزمن، وصولًا إلى ارتكازه على نفس الوعود التي لم يتحقق منها شيء، وانتهاءً بما تمّ تسميته بـ "الجدار الأحمر" في مدن "الفحم والفولاذ والتصنيع القديمة"، وما قيل عن

"الإندبندنت" البريطانية، بأنه يعتزم بأن "لا يقود الحزب خلال الانتخابات المقبلة"، غير مستبعد تنحيه عن زعامة حزب العمال أوائل العام المقبل. وفي تصريحها المثير، قالت روث سميث، نائب حزب العمال التي فقدت مقعدها في ميدلاندز "إنّ كوربن يجب أن يتحمل المسؤولية عن هزيمة الحزب باستقالته منه". ومع ذلك، يعاني المحافظون من مشكلة لا تقل وجودية عن رغبتهم الملحة في الخروج من الاتحاد الأوروبي، تمثلت في هزال وعائهم الانتخابي في إسكتلندا، إذ لم يحصلوا إلا 26% فقط من المقاعد المخصصة هناك، مقابل اكتساح الحزب القومي الإسكتلندي الداعي إلى الانفصال عن المملكة المتحدة، هذا

إخفاق حزب العمال في إقناع الأثرياء في تلك المناطق بمواكبة الأنماط الجديدة. لكن ثمة عنصر أساس ذكر على خجل، وبخاصة إلى بعض الإضاءة، وهو "غموض" الموقف الرسمي لحزب العمال من بريكست، ربما أدى إلى التصويت للمحافظين الذين قايسوا غموض العمال بوضوحهم حياله، ومواقفهم المكشوفة تجاه الاتفاق الذي أهرق

المملكة المتحدة سهل فهي خاطئة، فالأمر محفوف بالعديد من التعقيدات الإدارية". في المقابل، لا يجب أن ينسى المحافظون أن 62 في المئة من الإسكتلنديين مع الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، وعلى هذا النحو، تبدو الفرص سانحة للانتقام كل طرفٍ من الآخر. لكن ما هو موقع حزب العمال من كل هذا؟ ربما لا يعرف الكثير بأن موقف جيرمي كوربن من بريكست ليس غامضًا كما يتم تداوله على أكثر من صعيد إعلامي وسياسي وشعبي، إنه موقف واضح للغاية، كوربن مع خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، بل هو أقدم من المحافظين أنفسهم في هذا المطلب، ناهيك عن بوريس جونسون الحديث في المطالبة بـ بريكست قياسًا بـ كوربن، فلطالما كان يعتقد هذا الأخير بأن الاتحاد الأوروبي، منتج للأثرياء، ومبني

ثمة عنصر أساس ذكر على خجل، وبحاجة إلى بعض الإضاءة، وهو «غموض» الموقف الرسمي لحزب العمال من بريكست، ربما أدى إلى التصويت للمحافظين الذين قايسوا غموض العمال بوضوحهم حياله

مترامي الأطراف للبيروقراطيات الرأسمالية في صيغها الأكثر جشعًا، ولكنه برغم ذلك، كان أقل يسارية لا سلطوية (الفوضوية) في مؤازرة أفكاره والذهاب بعيدًا في الدفاع عنها، قياسًا بـ كين ليفنجستون الذي كانت تلقبه الصحيفة اليمينية "ذي صن" بـ "كين الأحمر"، وأقل حضورًا من توني بين، وأخف نقابيه من آرثر سكارغيل، ولم يتفوق عنهم جيرمي كوربن إلا في مهارته الاقتصادية.

إعادة الاستفتاء

لقد سعت بريطانيا جاهدةً إلى الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي منذ 1961 عن طريق المفاوضات، حتى فشلت في ذلك تمامًا سنة 1972، ثم نجحت في الانضمام مع إيرلندا والدنمارك منذ الأول من يناير/كانون الثاني 1973، وللمفارقة التاريخية كان ذلك أثناء حكومة المحافظين بزعامة إدوارد هيث المنحدر من الطبقة الوسطى وأحد أكبر المؤيدين لـ "أوروية" بريطانيا، وحين جرى الاستفتاء في عام 1974 لم يكن كوربن متأكدًا من مدى أوروية بريطانيا (Eurocepticism)،

ولم تكن خياراته محسومةً لصالح انخراط بريطانيا في المجموعة الاقتصادية الأوروبية.

لم يغب عن البريطانيين هذا الغموض والتلكؤ التاريخي، بل إنهم أدركوا جيدًا أن خيار إعادة الاستفتاء الذي مآل حزب العمال نحوه، انقلابٌ على شرعيتين: الأولى؛ ميراث حزب العمال اليساري، القائم على استثناء بريطانيا من النماذج الأخرى، واعتبارها تدخل ضمن المعبر عنه من قبل هيغل بـ "الممتلئ بمضمونه" (inhaltsvoll)، إذ إنها ليست بحاجة إلى إثبات امتداداتها، إلا تلك التي يمكن لبريطانيا أن تمنحها للمتأثر بسياقها التاريخي وتأثيرها الدنيوي على تجارب الشعوب الأخرى، وهو يعود إلى المثل الإنكليزي الذي كان يُروى في القرن السادس عشر حين كان يُقال "الله هو بريطانيا"، وبالتالي ثمة شوفينية وطنية متأصلة، قد شدتها العصور المتلاحقة، بيد أنها ظاهرة بجلاء متباين بين الفينة والأخرى، ثم كيف يمكن أن يكون كوربن يساريًا بالمعنى التام للكلمة، وفي السبعينيات، كانت تروج فكرة الترميز الشيوعي (المطرقة والمنجل) لعلم الاتحاد الأوروبي لدى تيار كبير يعارض الانضمام، كان كوربن أحد أبرز نجومه! وغني عن التذكير بأن القوميات الصغرى عادت إلى سوق التداول السياسي بإطراد بعد الحرب الباردة، كما رأى بذلك ديلانتي وكومار. وقد اعتقد الباحث التركي أموت أوزكيرملي في كتابه "نظريات القومية، مقدمة نقدية" الذي ترجمه معين إمام وحققه فايز الصياغ، ونشره "المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات" في الدوحة بأن "إنجلترا بلد الوعي الحاد بالوطنية"، (ص73)، وبأنها تدخل ضمن "القومية الليبرالية"، لكن الفارق أن القومية الليبرالية هذه، قد شهدت انتعاشًا غير مسبوق في هولندا لدى حزب "خيرت فيلدرز"، وحزب البديل في ألمانيا، وأخذت منحى كاريكاتيريًا عند فيكتور أوربان المجري، وعند الرئيس الأمريكي دونالد ترمب ورئيس الوزراء البريطاني بوريس جونسون. أما الثانية؛ فهي فضيحة إعادة الاستفتاء، لأن إعادة أي نوع من الاقتراع سواءً كان انتخابًا أو استفتاءً على خلفية الطعن في نتائجه، دون ثبوت أي واقعة تزوير أو تدليس أو ما يُعرف في قانون نابليون المدني بـ "عيوب الإرادة"، والتي تم تبنيها حتى في المعاهدات الدولية، يُعتبر انقلابًا صريحًا على الديمقراطية، لو كانت الظروف سائرة نحو التغيير، ذلك أن الانتخاب بوجه عام هو نشاط دستوري يتصل بنظرية الدولة في شقها القانوني وليس من جانبها السياسي فحسب، ولا يتم نقض أي نشاط قانوني مبني على تأسيس دستوري بموجب تبعات سياسية، أخضعت للتغيير والمصلحة العامة، وهذا شأنٌ ومعروفٌ في كل النظم السياسية المقارنة في دول العالم. لكن حزب العمال راوع قاعدته الانتخابية بصورة أدت إلى المال الذي عرفنا، أي فقدانه قواعد تقليدية في الشمال كانت عمالية دون الحاجة إلى أي استطلاع أو استبيان. الإنجليز مثقفون، وعلى دراية من كل هذا، ويقرأ الطفل عندهم كل مسرحيات شكسبير قبل أن يصل إلى مرحلة الثانوية، فضلًا عن أن جامعاتها بحثية، أي لا يعتمد الأستاذ فيها على التوسع في المحاضرة، وإنما يدخل الجهد البحثي للطالب مناصفةً مع درس الأستاذ، على عكس الجامعات الأميركية المعتمدة على ما تسميه الأكاديميات البريطانية بـ "الثروة الأكاديمية"، وهؤلاء من الصعب تجاوزهم بفكرة إعادة الاستفتاء دون التحقق من الأعداد

الكثير من الحبر بينهما على وجه الخصوص، لا سيما جزئية احتفاظ صيادي السمك الأوروبيين بحقهم المتفق عليه، منذ ما قبل سريان الاتفاق وما بعده بإمكانية ولوجهم المياه الإقليمية البريطانية، مع خضوع الصيادين البريطانيين لقوانين الصيد الأوروبية، على الأقل خلال الفترة الانتقالية.

وتُعد إسكتلندا التي عارضت الخروج من الاتحاد الأوروبي، من أكثر مناطق المملكة المتحدة غنىً بالثروة السمكية وأكثرها تنوعًا. وبالتأكيد، لا ينسى الإسكتلنديون تهديد رئيس المجلس الأوروبي السيد فان رومبوي لهم قبل استفتاء الاستقلال، بالقول صراحةً "إذا طُتت إسكتلندا بأن الدخول إلى الاتحاد الأوروبي بمجرد الاستقلال عن



القانونية التي تتصل بعيوب الإرادة.

بالرغم من مواقف جيرمي كورين المشرفة ونضاله المشهود، لكنه يفتقد إلى شرط واقف في العمل السياسي، يتوفر على نظيره الفرنسي جان لوك ميلانشون، وهو المقدر على مراوغة الخصوم، وليس مراوغة قواعد الانتخابية، ذلك أن هذه القواعد بإمكانها المعاقبة، فيما الخصوم تتأذى عن عقابهم، شعبية أوسع لدى القواعد، خاصة وأتينا نعيش في زمن الشعوبيات الكبرى، حيث ضاق نطاق المعنى كثيراً، وفقد نتيجةً لطغيان المشاعر الكارهة للاختلاف، وارتداد البشرية عن ميراثها الأخلاقي.

الشعوبيات المنظمة في أوروبا:

يُعتبر جان جاك روسو المنظر الفلسفي لفكرة الاتحاد الأوروبي، حين قال: "إن أوروبا كلها، تمثل نوعاً خالصاً من النسق"، يليه إيمانويل كانط الذي رأى بأن العقل الأوروبي هو النسق النهائي للتفكير. هنالك ستة أحزاب يمينية في أوروبا، آخرها في معرض هذا الطرح، يؤصل لربط منطقي بين مقدمة هذه المقالة وخاتمتها. نذكر هذه الأحزاب مع تقديم شروح بسيطة حول هيكلتها:

1- الجبهة الوطنية الفرنسية (Front national): أسسها جان ماري لوبان سنة 1972 وبقي رئيساً لها إلى غاية سنة 2011 حين أطلق تصريحات معادية لليهود، فاضطرت ابنته مارين لوبان إلى عقد جمعية شعبية، حصلت من خلالها على تأييد 67,65 في المئة من أصوات القاعدة الشعبية وصارت بذلك رئيسة للحزب. عملت على نشر الإيديولوجية اليمينية خارج باريس، التي كان الحزب حبيساً فيها، في محاولة منها للعب على الهوية والسيادة وفقدان السيطرة على نمط العيش الفرنسي بسبب المهاجرين، من أجل استقطاب وطني للحزب، بدلاً من مركزته في باريس كما فعل والدها. وقد حدث ما كانت ترغب فيه هذه السيدة، ففي سنة 2015 حصل حزبها على المرتبة الثانية في الجولة الأولى من انتخابات المجالس الإقليمية الفرنسية بنسبة 25,19 في المئة، وعلى المرتبة الأولى بنسبة 29,05 في المئة في ست مناطق فرنسية من أصل ثلاث عشرة منطقة، متفوقة على الجمهوريين بزعامه نيكولا ساركوزي الذي حصد ما نسبته 27 في المئة. وصلت مارين لوبان إلى الجولة الثانية من الانتخابات الرئاسية الفرنسية في 7 مايو / أيار 2017 متفوقة على زعيم اليسار جان لوك ميلانشون، رفقة إيمانويل ماكرون، انتهت بخسارتها بنتيجة 33.94 في المئة، وفوز إيمانويل ماكرون بنسبة 66.06 في المئة، مستفيداً من "التصويت العقابي" الذي دعت إليه الكثير من الأحزاب الفرنسية من أجل قطع الطريق على زعيمة الجبهة الوطنية قبل وصولها إلى قصر الإليزيه. تدعو الجبهة الوطنية الفرنسية إلى العودة إلى العملة الفرنسية، وتدافع عن تصوّرها حيال الهوية الفرنسية، وترفض زواج المثليين والإجهاض، وتدعو إلى التقارب مع روسيا خدمة للمصالح القومية ولو كان ذلك على حساب حقوق الإنسان ومشاعر التسامح والتعددية الثقافية.

2- حزب الحرية النمساوي (FPO): حزب سياسي موغل في اليمينية والقومية الوطنية، يعود تأسيسه إلى سنة 1956، ويعتبر حزباً من بقايا النازية أو وريثها الناعم. انهزم مرشح الحزب نوربرت هوفر بفارق ضئيل عن مرشح

غاولاند بأن حزب البديل هو "الحزب المسيحي الوحيد بألمانيا"، واصفاً حكومة ميركل بشكل واضح وبدون كناية بـ "الخنازير والدمى في يد المنتصرين في الحزب العالمية الثانية". مفرجاً بذلك عن الطابع النازي للحزب.

4- حزب العدالة والقانون في بولندا (PISI): وهو حزب سياسي وطني محافظ وشعبي، تأسس في 2001 من طرف الاخوين ليخ وياروسلاف كاتشينسكي. حصل مرشح الحزب للرئاسة ياروسلاف على نسبة 47 في المئة في انتخابات 2010 الرئاسية، أمام منافسه في الدور الثاني كوموروفسكي الذي فاز عليه بنسبة 53 في المئة عن حزب المنتدى المدني. وحقق الحزب في الانتخابات التشريعية لسنة 2015 فوزاً كبيراً، إذ حصد 235 مقعداً من حصة الحزب الوسطي "المنصة المدنية" الذي حصل على 133 مقعداً، وهي النتيجة المريحة التي مكنته من تشكيل الحكومة منفرداً بزعامه نائب الحزب السيدة بياتا سيدلو. يؤكد الحزب على ضرورة تدريس المسيحية في كل الأطوار التعليمية وتعزيز مشاعر الفخر لدى البولنديين بدينهم، ويعارض الإجهاض ويعادي المثليين، ويدعو إلى خفض سن التقاعد، ويرفض ما يسميه الإملاءات الأوروبية في ما خص توزيع "الحصص" من اللاجئين. يُعادي الحزب المسلمين واللاجئين صراحةً، ولا يتوافق نهائياً مع طرح الجبهة الوطنية الفرنسية التي ترى بـ "أوربة" الإسلام، ويشكك في الهولوكوست كما لا يُكفي عداوه المطلق لليهود أيضاً، وكونه يحوز على الأغلبية البرلمانية ويشكل الحكومة، وقع الحزب في جدل ونقاش كبيرين مع المؤسسات الأوروبية، وخاصة في شقّ عداوه لليهود وتشكيكه العلني في الهولوكوست.

5- الاتحاد المدني المجري (FIDESZ): هو حزب محافظ قومي تأسس سنة 1988 يقوده فيكتور أوربان، الرئيس المجري الحالي، الذي افتتح حياته السياسية بمعاداة الشيوعية وانتهى بمعاداة اللاجئين. حقق الحزب انتصاره الأول سنة 2010 حين فاز بنسبة 52 في المئة من الأصوات البرلمانية، وفاز بالأقلية التي أتاحت له إدراج تعديلين مهمين في الدستور المجري: أ- دعم الزواج التقليدي الديني. ب- خفض عدد المقاعد البرلمانية من 386 إلى 199 مقعداً. وبرغم خسارته للأغلبية المطلقة في انتخابات 2014 التشريعية، حيث فاز بـ 48 في المئة، لكنه حافظ على الأغلبية بعد اضطراره إلى التحالف مع الحزب المسيحي الديمقراطي، الذي يقاسمه "الهم" الديني في المجر. يتمتع فيكتور أوربان بجاذبية يمينية لافتة، بالقياس مع أقرانه في أوروبا، فلم يكتف بمعارضة وجود اللاجئين في بلاده وحسب مثل زملائه في اليمين الأوروبي، وإنما لم يتورّع عن وصفهم بـ "الغزاة"، ناعثاً نفسه بـ "قبطان حماية الحدود الأوروبية من جحافل المسلمين الإرهابيين"، برغم أنه يعارض تدخلات الاتحاد الأوروبي في القرارات السيادية في المجر. سيطر الحزب على مفاصل الدولة، عن طريق إصدار 850 قانوناً منذ توليه زمام السلطة سنة 2010، الأمر الذي أدى إلى تيرم الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة من المستقبل الديمقراطي في هذا البلد.

6 - حزب استقلال المملكة المتحدة البريطاني (UKIP) : هو حزب يميني تأسس سنة 1993، يرأسه أحد أكثر الظواهر اليمينية مسرحية في العالم نايل فاراج منذ سنة 1999. شغل مقعداً برلمانياً لمدة 13 سنة. يعتقد الحزب بأن الاتحاد الأوروبي سياساته المتبعة

حزب الخضر فان دير بلين بـ 0,2 في المئة فقط. وفي الانتخابات التشريعية النمساوية في 15 أكتوبر/ تشرين الأول 2017، حقق الحزب فوزاً تاريخياً بنسبة 26,01 في المئة، أي المرتبة الثانية بعد حزب الشعب بقيادة سيباستيان كورتس الذي حصل على 30,02 في المئة. فشارك إذ ذاك في الحكومة بقوة القانون، وأخذ وزارات سيادية وحساسة للغاية مثل: الخارجية، الداخلية، والدفاع. وشغل زعيمه الحالي ستراش نائب المستشار كورتس رئيس الوزراء، ليحقق بذلك أهم فوز وأكبره لليمين ليس في النمسا فحسب، وإنما في أوروبا كلها، لناحية الاستحواذ على حقائق سياسية من جهة، ووصول رئيسه إلى رتبة مستشار أول لرئيس الوزراء من جهة ثانية. يُعادي الحزب المهاجرين بعامة، واللاجئين بصورة خاصة، ويدعو في أدبياته إلى الخروج من الاتحاد الأوروبي، ولكنه خفف من هذه اللهجة الحادة، واكتفى بنقد بعض سياسات الاتحاد الأوروبي. يناور من أجل تعطيل مفاهيم التكامل الاقتصادي والسياسي الأوروبيين، ويدعو إلى الانفتاح على روسيا ورفع العقوبات عنها وتطبيع العلاقات معها، وهو في عُرف السياسة في تلك المناطق، خروج عن الإجماع الأوروبي.

3- حزب البديل من أجل ألمانيا: هو حزب ليبرالي محافظ، يميني متشدّد. تأسس سنة 2013 من قبل ثلثة من الناشطين من أجل ألمانيا، لم يخف يوماً عداوه للاجئين وللمستشارة إنجيلا ميركل، ولعملة اليورو. ترأسته فراوكة بتري منتصرةً على جزئه الليبرالي الأقل تشدداً قياساً بجناحه القومي في سنة 2016. تحدر فراوكة من شرق ألمانيا، وهو ما يكتسي نوعاً من الرمزية التاريخية. يعتقد الحزب بضرورة منع الحجاب في الجامعات والمؤسسات الإدارية، ومنع ختان الأطفال عند المسلمين واليهود. ولدى ما عُرف بتحزّش بعض اللاجئين بنساء ألمانيا في رأس سنة 2015 زادت شعبيته وتجدّر في 13 ولاية من أصل 16. دعا الحزب في مؤتمره في مدينة كولينا في 22 أبريل/ نيسان 2017، إلى التعاون مع روسيا والانفتاح الاقتصادي والسياسي عليها، مشدداً على ضرورة منع تركيا من الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، رافضاً الاتفاقيات التجارية مع كندا (CETA)، واتفاقية الشراكة التجارية والاستثمارية العابرة للأطلسي (TTIP) التي عقدها ألمانيا مع الاتحاد الأوروبي. يشدّد الحزب على تكريس الثقافة واللغة الألمانية في مؤسسات الاتحاد الأوروبي، ولا يدعو كثيراً إلى الخروج منه، بسبب أن ألمانيا مهيمنة على هذا الاتحاد، وغالباً ما يقوم السبب الوجيه للأحزاب اليمينية الأوروبية في الدعوة إلى الخروج من الاتحاد الأوروبي هو التنصل من الهيمنة الألمانية عليه، لا سيما أنّ تاريخ ألمانيا القريب يلاحقها حينما ذهبت. يُذكر الحزب في أدبياته، بأنّ الإسلام لا ينتمي إلى ألمانيا وهو دخيل عليها، ويجب مكافحته بطرد اللاجئين والمسلمين معاً.

حدث خلاف بين جناح فراوكة بتري وجناح أليسا فايدل وألكسندر غاولاند بعد الانتخابات البرلمانية لسنة 2017، فالرئيسة فراوكة تدعو إلى الانفتاح على الأحزاب الألمانية حتى يتسنى للحزب المشاركة في الحكومة، بينما يرى جناح فايدل وغاولاند بضرورة البقاء في المعارضة، كونهما المدافعان الشرسان عن الهوية الألمانية، وبلغ التطرف حدّه الأقصى مع قول ألكسندر

في السبعينيات، كانت تروج فكرة الترميز الشيوعي (المطرقة والمنجل) لعلم الاتحاد الأوروبي لدى تيار كبير يعارض الانضمام، كان كوربن أحد أبرز نجومه



أندي وور هول - أميركا - من مجموعة Artual Gallery

على السيطرة على أقدية الحكم، وهو استفادته كثيرًا من الأنظمة البرلمانية، ومما لا شك فيه، أنّ النظام البرلماني بصورة عامة، هو نظام عصري وديمقراطي، ويتفوق - حسب رأيي الشخصي - عن النظامين الآخرين (الرئاسي وشبه الرئاسي) ديمقراطيًا وعصرية، فالأنظمة البرلمانية الأقدر على إحداث نقاشين متوازيين يخدم كل منهما الآخر، نقاش شعبي بين ممثلي الشعب وقواعدهم الانتخابية، يحدّد مصير العلاقة فيها: الانتخاب. ونقاش برلماني بين الكتل داخل قبة السلطة التشريعية، يحدّد فيها مصير العلاقة: التحالف. هذان النقاشان يغيبان في الأنظمة الرئاسية (أميركا) وشبه الرئاسية (فرنسا)، إذ إنّ الرئيس يملك التفويض الأقوى، سواءً في حالة تساوي الأصوات في النظام الرئاسي مثل أميركا، أو الحقّ الرئاسي في حل البرلمان في الأنظمة شبه الرئاسية مثل فرنسا. وقصارى القول فإنّ مصير اليمين آيل إلى الزوال، أو هو المنتصر المؤقت في كل فترة، ولا يمكن أن يمثل قاعدةً في كل الأحوال، ببساطة لوجود علتين: الأولى؛ عجزه عن تحقيق إجماع منهجي وفكري وإنساني حول الفكرة التي تأسس عليها، فثمة تضارب إيديولوجي داخل الخطاب اليميني. الثانية؛ إخفاقه في تشكيل نوع من المؤسساتية، ونجاحه فقط في تأسيس منظومة متعضّعة، يسودها التعتة الفكرية، فاليمين منظومة يخونها التماسك، وليس مؤسسة تفرض عوامل بقائها داخل الاجتماع البشري بشكل عام.

وهذه أكبر نقاط ضعفه التنظيمية، وقد ظهر ذلك جليًا في الاستعراض السالف لأكبر قوى اليمين في أوربان، فالسباق الداخلي نحو الأكثر يمينية بدأ مغرّبًا لجانب لا يستهان به من القاعدة النظامية لأحزاب اليمين، وهو ما يُفصح عن حاجة ملحة متأصلة بقيادة حركات تصحيحية شبيهة بالحركات التصحيحية التي نحت مصطلحها الوزير الأول الصيني شوان لاي "التصحيح الثوري"، أدى كل هذا النزوع المتفرد نحو القيادة داخل أحزاب اليمين، إلى انقسامات عدّة، بين اليمين واليمين الأكثر تطرفًا منه. هذا النوع من الانقسام الشديد والاندفاع المتعجل نحو الزوايا الحادة، عادةً ما يدفع نحو انهيار المنظومة الإيديولوجية بكاملها نتيجة لهذا التآكل الداخلي، كما حدث مع الشيوعية في نهاية الثمانينات، غير أنّ الفارق في ذلك هو أنّ الشيوعية شهدت انقسامًا حادًا نحو الشيوعي والأقل شيوعيّة، وإنّ ظهر المثلين لناحية المقصد متناقضين نوعًا ما، إلا أنّهما يحققان الغرض، وهو حدوث انقسام حاد في البنية بين الأكثر/ الأقل، وانتهائهما إلى عجز جهير عن تحقيق الإجماع اليميني. وبرغم أنّ أحد أسباب صعود اليمين الشعبوي في أوروبا يعود إلى ما أسماه سيمور ليبست وستين وكان بـ "تجمّد المنظومات الحزبية في الغرب"، فإنّ الحال يعكس تجمّدًا من ناحية واحدة، أيّ تجمّد القوى اليسارية والليبرالية وتحوّلها في الغالب إلى مجتمع مدني وجمعيات خيرية وثقافية، فيما تأصل العمل السياسي الحزبي لدى قوى اليمين، مستغلًا الطابع الثقافي الإلغائي في المواقع الطرفية للمدن، والقواعد الريفية ذات الطابع الزراعي في القرى والأرياف، ذاك أن هذه الأحزمة حول المدن عانت من التهميش المدني والعمراني، كما استغل اليمين غياب النقاش المرجعي فيها عمّا يُعنى بالاجتماع السياسي وقضايا الجندر والعلمانية وحلول النقاش المعيشي الاستهلاكي والديني، روج لأفكار اليمين التبسيطية والاختزالية والعاجزة عن تعميم فكر كوني قائم على قراءة المستقبل الحضاري لدول العالم، وتحديد العلاقة معه. فضلًا عن كل ما تقدّم، ثمة سبب تقني ساعد اليمين

تجاه بريطانيا العظمى، قد سرق وظائف البريطانيين، وعمل على تغيير الوجه الحضاري والثقافي ذي الخصوصية المتفردة للمملكة التي لا تغرب عنها الشمس.

يتحدث أعضاء هذه الكنايات حال كلامهم عن بريطانيا، ويدعون صراحةً إلى تجريم الإسلام بموجب قانون رسمي. يُعتبر هذا الحزب المنظر الرئيس لـ "بريكست"، متعللاً بأنّ بريطانيا تعاني جزاء فيزا "شينغن"، كما أنّ الرسوم باهظة جدًّا، تلك المقدّرة بـ 55 مليون جنيه إسترليني في اليوم الواحد. كما يرفض قيام أيّ قوة عسكرية أوروبية تتحمّل بريطانيا تكاليفها المادية. وقد كانت هذه الأسباب هي ذاتها التعبيرات التي قام عليها برنامج المحافظين لإقناع الشعب البريطاني بضرورة الخروج من الاتحاد الأوروبي، دون أن يحدّثهم عن الخطط البديلة حال حدوث ذلك، متورّكًا عن القيام بأيّ شكل من أشكال المناورة السياسية التي تمكّنه من اللعب على الجبهة الداخلية والخارجية معًا، بعد إجراء تعديل بسيط على سؤال الخروج، مثل: هل تقبل بالبقاء في الاتحاد الأوروبي في حالة لم يغيّر قوانينه تجاه بريطانيا؟ يُوفر سؤال مثل هذا، شرطًا ثمينيًا للعمل السياسي لدى حزب المحافظين، يهزم العمال بموجبه هزيمة متأصلة، ويضغط على الاتحاد الأوروبي من تأثيراته، هذا الشرط هو: المساومة (Bargaining).

صوّت البريطانيون على خيار الانفصال يوم 23 حزيران/يونيو 2016 لصالح الخروج من الاتحاد الأوروبي بنسبة 62 في المئة، جاء مثل المقدّمة التي لا يعدو أيّ اقتراعٍ يليها سوى تنويع عليها.

خاتمة:

ثمة أسباب كثيرة تدعو إلى النظر في مستقبل اليمين، أكثر من البحث في أسباب نجاحه وتمدّده، برغم مخالفته لمبادئ الإنصاف والقانون الطبيعي، فالواقع أنّ مستقبل اليمين، وإنّ بدا متّصلًا بأسباب نجاحه وتفوقه في الحاضر، يُفرز مدى تشنّته وتذرر بنيته المرجعية،

المستقبل الأمني للقوة الأميركية في أفق ٢٠٢٥.. مخاطر ثابتة ومتحركة

منى سكينة



المتحدة الأميركية؛ الفئة الرابعة وهي القضايا الصاعدة أي المؤشرات التي قد تبدو غامضة.

الفصل الأول: مفهوم وتعريفات

في هذا الفصل، أورد المؤلف عددًا من التعريفات المتعلقة بتحليل المحتوى في نصوص الدراسات الاجتماعية والتي تُمَثَّل كـ"آلية لتصنيف الأفكار المفتاحية في المواد المكتوبة كالتقارير والمقالات والأفلام والمعلومات المسجلة" (ص 21)، لذلك "فإن استخدام تقنية تحليل المحتوى من خلال منهجها البسيط يساهم في قراءة سياقات الفعل، والوضعيات المُعبر عنها في كلمات أو خطاب ذي مدلولات معينة"، وبالتالي تسعى منهجية تحليل المحتوى إلى الإجابة عن سؤال جوهرى في مضامين النص ألا وهو ماذا نريد أن نعرف من هذه الوثيقة المدروسة؟ هنا، يلجأ خميس إلى شرح معنى الفئة الدلالية للقوى الدافعة، واللايقينيات أو التهديد والحوادث الفجائية (11 أيلول مثالاً)، وفئة الاستراتيجية و"التي تشكل المطلب الأساس في تطوير سياسة قومية دفاعية".

عن الفئة الدلالية للقوى الدافعة، يذكر المؤلف أنها

تُشكّل مُجتمعاً السيناريو العام أو الكلّي. فضلاً عن ذلك، فإن أغلبية الدراسات الدولية المعاصرة، باتت تعتمد على مقارنة التعددية في صوغ السيناريوات بشكل أساسي، وذلك يرجع إلى طبيعة التعقيد والتركيب والغموض الذي يكتنف ظاهرة المستقبل بشكل عام، لذلك، نجد مثلاً في النشرة الرباعية للدفاع للعام 2006 مجموعة من السيناريوات تقارب تحديات مستقبلية أميركية وشملت: التحديات التقليدية، غير التقليدية، الكارثية، والعارضة. في حين أوردت نشرة العام 2010 تصنيفاً آخر لهذه التحديات كاستمرار الإرهاب وغيرها. إن واحدة من أبرز الأسئلة البحثية الأساسية التي طرحها المؤلف محمد خميس هي: كيف نستطيع قراءة السيناريوات للبيئة الأمنية والتحويلات في بنية القوة الأميركية بين عامي 2005 و2025 من خلال تقارير النشرات الرباعية للدفاع للأعوام 2006 و2010 و2014، فكان أن اعتمد تصنيف الفئات الدلالية ضمن عملية تحليل محتوى هذه التقارير كواحدة من أساليب البحث فجاءت كالآتي: الفئة الأولى، القوى الدافعة وهي القوى السببية للتغيير؛ الفئة الثانية، اللايقينيات أي التهديدات أو الأخطار؛ الفئة الثالثة، الاستراتيجية وتهدف إلى صوغ الاستراتيجية الأمنية والدفاعية الملائمة للولايات

من خلال تقارير النشرات الرباعية للدفاع التي تصدر عن مراكز صنع القرار الأميركية والتي تُعتبر من أهم الوثائق الرسمية، عمّد مؤلف الكتاب بين أيدينا "المستقبل الأمني للقوة الأميركية في أفق عام 2025" (*) إلى تحليل محتوى هذه النشرات للأعوام 2006 و2010 و2014 بغية إستقراء التغيرات والتحويلات في البيئة الأمنية الأميركية في محاور أساسية هي: إستراتيجية الدفاع، محددات حجم القوات التقليدية، بنية القوة خلال العشرية المقبلة من تاريخ إصدار كل تقرير للسنوات المشار إليها أعلاه.

في تحليله لمحتوى تلك التقارير المشار إليها، ركّز المؤلف محمد خميس على تحليل السيناريوات المستقبلية للبيئة الأمنية للولايات المتحدة الأميركية، منطلقاً من تحليل السيناريوات الكبرى المُحتملة التي قد تحتوي على سيناريوات جزئية أو مُصغرة يمكن أن

قد تَمَّظَهَر في الديناميات الإجتماعية، الإقتصاد، الشؤون السياسية والتكنولوجيا. في حين تعتبر فئة اللايقينيات أو التهديدات أو أنها تلك الحوادث الفجائية التي تُوقَع أضرارًا جسيمة في النظام، وهي - أي اللايقينيات - التي تقود إلى بناء فئة الاستراتيجية و"التي تهدف إلى بناء الاستراتيجية الأمنية والدفاعية الملائمة للولايات المتحدة الأميركية على الأمدية القريب والمتوسط والبعيد"، أما فئة القضايا الصاعدة

يرى محمد خميس أن تقرير 2006 يُمثّل «أهم وثيقة ومراجعة لاستراتيجية الدفاع القومي للولايات المتحدة الأميركية لأن صدوره تزامن مع إنخراط أميركا في عمليات عسكرية في كل من أفغانستان والعراق»

فإنها تلك المؤشرات التي قد تبدو غامضة وقد تبدو أحيانًا بشكل معلومات غير واضحة وجدالية بشأن البيئة المنافسة". (أشير هنا إلى ما ورد في مذكرات كوندوليسا رايس بعنوان "أسمى مراتب الشرف" عن "دار الكتاب العربي"، حول ما ذكرته من تنافس 17 جهاز أمني أميركي إستشعرت خطرًا ما على الولايات المتحدة الأميركية ولكن هذا التنافس - كما تقول - لم يحبط هجوم 11 أيلول/سبتمبر).

الفصل الثاني: نشرية العام 2006

في الفصل الثاني، وفي سياق تقويمه للمحتوى الضمني لتقرير النشرية للدفاع للعام 2006، يرى محمد خميس أن تقرير 2006 يُمثّل "أهم وثيقة ومراجعة لاستراتيجية الدفاع القومي للولايات المتحدة الأميركية لأن صدوره تزامن مع إنخراط أميركا في عمليات عسكرية في كل من أفغانستان والعراق" (نشير أيضًا إلى تزامن صدوره مع حرب إسرائيل الثانية ضد لبنان في صيف العام 2006 وفشل توقعات

الإدارة الأميركية بنتائج هذه الحرب).. ونظرًا لأهمية هذا التقرير، أجرى خميس مقارنة، في هذا المجال، مع تقرير النشرية الرباعية لعام 2001، فأشار إلى أنه "صيّغ تحت مفهوم التخطيط المبني على التهديد الذي مثل الإطار المعرفي للتخطيط في أثناء الحرب الباردة حيث كان الإتحاد السوفياتي في تلك المرحلة عددًا واضحًا وبارزًا في مُدركات صانع القرار الأميركي بشكل شبه يقيني"، وقد استمر هذا المفهوم منذ خمسينيات القرن العشرين إلى عام 2001 بسبب أحداث 11 أيلول/سبتمبر، والتي أدت "إلى تغييرات

بشكل جذري منذ عام 2006 وذلك من خلال الإعتماد على مفهوم التخطيط المبني على القدرات". يشير خميس إلى أن تقرير العام 2006، "شهد تحولًا معرفيًا جوهريًا حيث سلطت وزارة الدفاع الأميركية الضوء على سيناريوات جديدة بدلا من تركيزها على سيناريوات القتال في المسارح الحربية الأساسية الذي هيمن نظريًا على تقرير النشرية الرباعية للدفاع لعامي 1997 و2001، ويعود السبب الرئيس في حدوث هذا التحول المعرفي - كما يشرح - إلى الدروس المُستقاة من عملية "عاصفة الصحراء" في عام 1991 وعملية "حربة العراقيين" (إحتلال العراق) في عام 2003 حيث ثبت فيهما تأكيد التفوق العسكري الأميركي الهائل في مجال الحرب التقليدية"، مضيفًا "أن التغييرات الراهنة أكدت أيضًا عدم وجود حاجة ملحة إلى إستخدام القوة العسكرية الأميركية بالمعايير التقليدية للحرب، في الوقت الذي تصاعد الحاجة إلى بناء قدرات كافية للتعامل مع تحديات متنوعة وغير متوقعة" (ص 57).

الفصل الثالث، نشرية العام 2010

في الفصل الثالث بعنوان "فئات تقرير النشرية الرباعية للدفاع لعام 2010"، يُجري المؤلف خميس تقويمًا لمحتوى هذا التقرير، فيذكر أنه أثار جدلاً كبيرًا بين الكونغرس الأميركي الذي دعا إلى صوغ تقرير مُؤجّه إلى بنية القوى الأميركية على مدى العشرين عامًا المقبلة وتوفير موارد غير محدودة لتحقيق هذا الهدف، وبين رؤية وزارة الدفاع الأميركية التي ركّزت على التغييرات الراهنة والصراعات الحالية في كل من أفغانستان والعراق والسعي نحو إيجاد القدرات الملائمة لدعم القوات الأميركية في كلتا الحربين" (ص 101). (نستذكر هنا صراعات وزير الدفاع الأميركي يومذاك دونالد رامسفيلد وصقور المحافظين الجدد من جهة ووزير الخارجية وقتذاك كولن باول).

وينقل خميس أيضًا عدد من الأسئلة طرحها محللون في مساءلتهم لتقرير عام 2010 حول أهميته في تحليل متطلبات البيئة الأمنية للولايات المتحدة الأميركية على مدى العشرين عامًا المقبلة، ومن هذه الأسئلة: هل يعرف التقرير التحديات الأكثر حساسية، والاتجاهات الحقيقية التي تواجه الولايات المتحدة الأميركية على مدى العشرين عامًا المقبلة أي بين عامي 2010 و2030 كأفق للتخطيط الاستراتيجي؟

لا بد هنا من الإشارة إلى التحديات الصاعدة في البيئة الأمنية للولايات المتحدة التي سلط الضوء عليها تقرير العام 2010 وتأخذ منها: استمرار التهديد الإرهابي من قبل تنظيم القاعدة والشبكات المرتبطة به، ونمو تحديات وتهديدات المناطق غير القابلة للوصول إلى المشترك العالمي على مستوى البحري والجوي والفضائي وفي الفضاء المعلوماتي الأمر الذي يقلص فاعلية انتشار القدرات العسكرية التقليدية للولايات المتحدة الأميركية، إضافة إلى "التأثيرات المابعدية للزمة المالية العالمية" والتي حصلت العام 2008، وكذلك "إيران وامتلاك السلاح النووي"، و"صعود الصين"، و"رهان التغيير التكنولوجي"، و"العاصفة الديموغرافية المقبلة"..

الإدارة الأميركية بنتائج هذه الحرب).. ونظرًا لأهمية هذا التقرير، أجرى خميس مقارنة، في هذا المجال، مع تقرير النشرية الرباعية لعام 2001، فأشار إلى أنه "صيّغ تحت مفهوم التخطيط المبني على التهديد الذي مثل الإطار المعرفي للتخطيط في أثناء الحرب الباردة حيث كان الإتحاد السوفياتي في تلك المرحلة عددًا واضحًا وبارزًا في مُدركات صانع القرار الأميركي بشكل شبه يقيني"، وقد استمر هذا المفهوم منذ خمسينيات القرن العشرين إلى عام 2001 بسبب أحداث 11 أيلول/سبتمبر، والتي أدت "إلى تغييرات

بشكل جذري منذ عام 2006 وذلك من خلال الإعتماد على مفهوم التخطيط المبني على القدرات". يشير خميس إلى أن تقرير العام 2006، "شهد تحولًا معرفيًا جوهريًا حيث سلطت وزارة الدفاع الأميركية الضوء على سيناريوات جديدة بدلا من تركيزها على سيناريوات القتال في المسارح الحربية الأساسية الذي هيمن نظريًا على تقرير النشرية الرباعية للدفاع لعامي 1997 و2001، ويعود السبب الرئيس في حدوث هذا التحول المعرفي - كما يشرح - إلى الدروس المُستقاة من عملية "عاصفة الصحراء" في عام 1991 وعملية "حربة العراقيين" (إحتلال العراق) في عام 2003 حيث ثبت فيهما تأكيد التفوق العسكري الأميركي الهائل في مجال الحرب التقليدية"، مضيفًا "أن التغييرات الراهنة أكدت أيضًا عدم وجود حاجة ملحة إلى إستخدام القوة العسكرية الأميركية بالمعايير التقليدية للحرب، في الوقت الذي تصاعد الحاجة إلى بناء قدرات كافية للتعامل مع تحديات متنوعة وغير متوقعة" (ص 57). يشير هنا خميس إلى أبرز السيناريوات التي وردت في تقرير العام 2006 فيذكر سيناريو التهديدات غير التقليدية وتُمثّل فاعلين دوليين أو غير دوليين، وسيناريو التهديدات التقليدية، إضافة إلى سيناريو التهديدات الفجائية، لا بل أن تقرير عام 2006 أوصى بضرورة: امتلاك الموارد والصلاحيات، إتخاذ الإجراءات الإستباقية بشكل مُبكر، تعزيز قدرة الولايات المتحدة في حرية التحرك. ومع ذلك فإن تقويمًا لتقرير العام 2006 قدّمه مكتب الحكومة الأميركية للمحاسبة لَحظ وجود نقاط ضعف أساسية في التقرير المذكور، وشمل ثلاثة مجالات رئيسية: "الأول، أن وزارة الدفاع الأميركية لم تقدم تحليلًا وافيًا للخيارات المختلفة لتنظيم القوة الأميركية وقياسها ومقدار الحاجات في القدرات، وفي المجال الثاني، أنها لم تقدم قاعدة تحليلية واضحة مثل تحديد التعداد البشري الذي تحتاج إليه الوزارة من أجل تلبية متطلبات الأمن الجديدة، في حين أنه في المجال الثالث رأى التقويم أن اقتراب تقويم الأخطار في تقرير العام 2006 لا يُطبّق بشكل كامل في وزارة الدفاع الأميركية بسبب إنعدام وجود قاعدة لتطوير آليات تحليل الأخطار وتقويمها داخل الوزارة".

أما المفكر الاستراتيجي أندرو كريبنفيتش فقد حاول تقييم تقرير النشرية الرباعية للدفاع لعام 2006 من خلال طرح أسئلة بشأن مدى إستجابة التقرير لمتطلبات البيئة الأمنية للولايات المتحدة الأميركية على مدى العشرين عامًا المقبلة أي بين عامي 2005 و2025 وجاءت أسئلته كالآتي:

- هل يقدّم تقرير النشرية الرباعية للدفاع التحديات



بيتر سول - أميركا - من مجموعة Artual Gallery

يشير خميس إلى أن تقرير العام 2006، «شهد تحولاً معرفياً جوهرياً حيث سلّطت وزارة الدفاع الأمريكية الضوء على سيناريوات جديدة بدلاً من تركيزها على سيناريوي القتال في المسارح الحربية الأساسية»

بين عامي 2005 و2025، وبعضها بدت راسخة في تقارير التشريعات للدفاع للأعوام 2006 و2010 و2014 وهي طواهر: انتشار اسلحة الدمار الشامل، صعود القوى الجديدة، تهديدات المناطق غير القابلة للوصول، الأعمال العدائية اللامتماثلة والتهديدات للفضاء الإقليمي الأمريكي، أما الإتجاهات التي بدأت تتشكل واتخذت سمة الإحتمال البعيد الأمد في تقارير التشريعات الرباعية للدفاع فتتمثل في: الحروب بالوكالة، تنامي الحضور الصيني والتحدي الروسي كقوى منافسة للولايات المتحدة الأمريكية في النسق الدولي، إضافة إلى التأثير البعيد الأمد للآزمات المالية في وزارة الدفاع الأمريكية.

ثمة ملاحظات حول الداخل الأمريكي وتعلق بارتفاع منسوب التعصب القومي للأقلية البيضاء في الولايات المتحدة، انتشار السلاح الفردي واستخدامه اليومي ووقوع ضحايا، تشييد جدران مع الدول المجاورة كالمكسيك، "فوبيا" اللاجئين من دول أميركا الوسطى، إنقسام سياسي حاد في الوسط الأمريكي، وصولاً إلى تسنّم شخص مثل دونالد ترامب سدة الرئاسة الأمريكية؟ من المبكر أن نستذكر نظرية المؤرخ وعالم الاجتماع ابن خلدون حول نشوء الدول وأفولها، لكنها نظرية مقيمة.

(كتاب "المستقبل الأمني للقوة الأمريكية في أفق عام 2025"، صادر عن المركز العربي للأبحاث وسياسة الدراسات، لمؤلفه محمد خميس، الحائز على دكتوراه في العلوم السياسية والدراسات الدولية من جامعة الجزائر)

(** صحافية لبنانية)

تزامنت مع تنامي القيود المالية على موازنة الدفاع، ورافقت خامس أكبر إنسحاب عسكري للولايات المتحدة الأمريكية في التاريخ بعد حربي أفغانستان والعراق، وذلك بعد الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية وحرب فيتنام والحرب الباردة، حيث بدأ الإنسحاب منذ عام 2010 وهو ما انعكس على السياق الإستراتيجي والمسائل المطروحة داخل تقرير النشرية الرباعية للدفاع لعام 2014.

فإذا كان السياق الذي صيغ فيه تقرير النشرية الرباعية لعام 2010 مثلاً قد تميز بالظواهر الآتية: مكافحة التمرد، عمليات مكافحة الإرهاب في العراق وأفغانستان، انتشار اسلحة الدمار الشامل، فضلاً عن تنامي تهديدات المناطق غير القابلة للوصول أو الإختراق، إلا أن السياقات الإستراتيجية التي كُتبت فيها تقرير النشرية الرباعية للدفاع لعام 2014 تميزت بخروج الولايات المتحدة من أطول الحروب التي خاضتها، والاقطاعات على موازنة الدفاع التي بدأت منذ عام 2011 مع قانون الرقابة على الموازنة وتنامي استراتيجيات المناطق غير القابلة للوصول التي تهدد انتشار القوة الأمريكية، وانتشار اسلحة الدمار الشامل.

ويبدي المؤلف ملاحظات حول تقرير العام 2014 القائل بمركزية القدرات العسكرية العالمية للولايات المتحدة بأنها موضع شك وتساؤل بسبب "الإقتطاعات على موازنة الدفاع" الناجمة عن القيود التي فرضها قانون الرقابة على الموازنة منذ العام 2011 "الأمر الذي يؤدي إلى وضعية مستقبلية أقل أمناً وأقل ازدهاراً، لذلك اعتبرت هذه القيود مساهمة في هزم الذات على نحو واضح" (ص 149).

خلاصة:

إن قراءة تقارير التشريعات الرباعية للدفاع في السنوات العشر الأخيرة، تبرز وجود اتجاهات ثابتة في السياقات المستقبلية للبيئة الأمنية للولايات المتحدة الأمريكية

غير أن المؤلف يشير إلى أن تقارير 2006 و2010 "تجاهلت وأغفلت تحليل بعض هذه الاتجاهات الثقيلة"، إذ يميل تقرير العام 2010 إلى "التقليل من الأخطار القريبة الأمد وتجاوز التهديدات الماثلة بشكل جلي للبيئة الأمنية للولايات المتحدة الأمريكية". ويتابع مشيراً إلى أنه في الأعوام القليلة بعد صدور النشرية الرباعية للدفاع عام 2010 حدثت مجموعة جديدة من التحولات والتغيرات التي مست البيئة الاستراتيجية والأمنية للولايات المتحدة الأمريكية ومنها: مسار غير يقيني للإقتصاد العالمي، عودة 100 ألف جندي بعد الإنسحاب من العراق، حدوث تغيرات استراتيجية في أفغانستان، مقتل اسامة بن لادن، استقرار العلاقات بين القوى الكبرى، تغير البيئة الأمنية في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بسبب ما أصبح يطلق عليه "الربيع العربي"، إنفجار صراع خطر في سوريا، واستمرار كل من كوريا الشمالية وإيران في إجراء التجارب والتطوير من أجل الحصول على السلاح النووي، مع تركيز ملاحظته على أن أهم متغير جيوسياسي عالمي يمكن رصده في البيئة الأمنية والسياسية للولايات المتحدة هو صعود الهند والصين.

هنا يتوقف المؤلف أمام تضافر التغيرات في البيئة الجيوسياسية وتسارع التطورات في المجالين التكنولوجي والطاقي إضافة إلى القيود المالية على الإنفاق على الإستراتيجية الدفاعية للولايات المتحدة الأمريكية، فيستننتج أن ذلك سيجعل من النشرية الرباعية للدفاع لعام 2014 أهم نشرية رباعية للدفاع منذ العام 1993.

الفصل الرابع، نشرية العام 2014

في الفصل الرابع، يعرض محمد خميس لتقرير العام 2014 فيقول إنه جاء ضمن ظروف وسيئات شديدة التعقيد في البيئة الأمنية للولايات المتحدة الأمريكية،

أخر رجال دين ثورة إيران ٠٠ وأول قادة «الجمهورية الثالثة»؟

مرشح رئاسي خاسر.. ولكن!

في نيسان/أبريل من العام 2017، أعلن إبراهيم رئيسي ترشحه رسميًا للرئاسة الإيرانية باعتبارها "مسؤولية دينية وثورية"، رافعًا شعار مكافحة الفقر والفساد. وعدا عن دعمه من شرائح إيرانية واسعة، بدأ الحرس الثوري أبرز داعمي ترشيح رئيسي. حتى أن المرشح الآخر القادم من التيار المحافظ نفسه، أي محمد باقر قاليباف، أعلن انسحابه لمصلحة إبراهيم رئيسي. ما الذي حصل إذا؟ وكيف يمكن تفسير سقوط خيار الحرس الثوري الأول في انتخابات الرئاسة؟

لا يعلم كثيرون أن خامنئي نفسه كان من أشد الفرجين لفوز حسن روحاني بولاية ثانية! سبب حماسة مرشد النظام لتلك النتيجة تنبع من الظروف الدولية، لا الداخلية. فقد كانت حكومة روحاني قد خرجت للتو من انتصار دبلوماسي عالمي بتوصلها إلى إتفاق نووي أرهق الأميركيين. وما بعد الاتفاق النووي، يحتاج إلى مراكمة المسار الدبلوماسي الذي بدأه فريق روحاني نفسه. وبالتالي، فإن أي تغيير على مستوى الرئاسة والحكومة كان من شأنه فتح سجال داخلي إيراني "لا فائدة منه" بشأن الإلتزام بالاتفاق النووي، خاصة وأن المرشد خامنئي كان من المحذرين من "المكر" الأميركي وفي طبيعة الداعين إلى عدم التعويل على إلتزاماتهم، وذلك على مسافة ساعات قليلة من توقيع الاتفاق. وللمفارقة، فإن ما فعله دونالد ترامب لاحقًا، وصولًا إلى إستهداف قائد فيلق القدس قاسم سليماني، يثبت صحة رأي المرشد الإيراني.

هل هي مشكلة توقيت إذا في ترشيح رئيسي؟ لا يمكن الركون إلى هذا الإستنتاج، بل يُحسب للنظام الإيراني أنه رضخ لإرادة الغالبية الشعبية، لا لميول أركانها العسكرية والأمنية. أما في ما يخص رئيسي نفسه، فقد كانت الخسارة درسًا للمستقبل لا يمكنها بأي حال أن تنال من رصيده، علمًا أنه حاز على 16 مليون صوت تقريبًا، في مقابل 23 مليون صوت لروحاني، وهو فارق مفهوم ولا يُعد سلبًا بالنسبة للأول، في لحظة الحماسة الشعبية للإنجاز النووي لحكومة الأخير. في العام 2019، تابع إبراهيم رئيسي مسيرته نحو الأعلى، فتم تعيينه رئيسًا للسلطة القضائية الإيرانية بدلًا من المخضرم صادق لاريجاني، بتكليف مباشر من خامنئي الذي يرفع شعار "الاقتصاد المقاوم" منذ عقد على الأقل، ويميل أكثر نحو استيعاب مطالب الشعب لناحية الحد من الفوارق الاجتماعية ومكافحة الفساد؛ الأمر الذي يتطلب سلطة قضائية نزيهة و"ثورية".

بناءً على ذلك كله، يُعتبر إبراهيم رئيسي أحد الفاعلين على مستوى منظومة الحكم الإيرانية المقبلة، إن لم يكن على رأس هذه المنظومة في السنوات القادمة.

(خاص 18٥)

إبراهيم رئيسي في منصب المدعي العام لتهران لمدة خمسة أعوام، قبل أن ينتقل ليشغل رئاسة دائرة التفتيش العامة في كل إيران لمدة عشرة أعوام. هذه الأدوار القضائية التي تعكس الثقة بنزاهته، رفَعته إلى منصب النائب الأول لرئيس السلطة القضائية منذ العام 2004 وحتى العام 2014، تحت رئاسة آية الله هاشمي شاهرودي ومن ثم آية الله صادق لاريجاني. وبين هاتين المرحلتين، ترأس رجل الدين المقرب من المرشد علي خامنئي المحكمة الخاصة بمحاكمة رجال الدين في العام 2012. أيضًا بات، منذ العام 2007، واحدًا من بضعة أعضاء في مجلس خبراء القيادة المسؤول عن تعيين المرشد الأعلى.

بنى الكثير من المراقبين توقعاتهم بتحضير رئيسي

يُعتبر إبراهيم رئيسي أحد الفاعلين

على مستوى منظومة الحكم

الإيرانية المقبلة، إن لم يكن على

رأس هذه المنظومة في السنوات

القادمة

لقيادة إيران، وذلك غداة تعيينه "سادنًا" للمرشد الرضوي في مدينة مشهد في العام 2016، بتكليف مباشر من خامنئي الذي كتب له يومها رسالة بليغة تؤشر إلى ثقة غير عادية بهذا الرجل.

ويتولى "سادن" المرشد الديني للإمام الثامن عند المسلمين الشيعة (علي الرضا) مهمة إدارة واحدة من أترى المؤسسات الدينية في العالم، إذ يدير المرشد وتوابعه مئات مليارات الدولارات التي تبقى تحت إشراف مباشر من المرشد ولا تدخل في ميزانية الدولة الرسمية. علمًا أن نمو مدخول هذه المؤسسة يخضع لخطط إقتصادية مستقلة لا تتأثر بعقوبات أو بحصار.

وبالإضافة إلى هذا المنصب الرفيع الذي جعله محط أنظار مختلف التيارات الإيرانية، بات رئيسي مدعيًا عامًا لكل إيران ما بين العامين 2015 و2017.

راهن الكثيرون داخل إيران وخارجها على نجاح إبراهيم رئيسي في انتخابات الرئاسة الأخيرة في العام 2017، لاعتبارات تتعلق بسيرة رجل الدين القادم من ميادين الثورة قبل 40 عامًا. لكن فوز حسن روحاني المفاجئ بولاية ثانية شكّل صدمة لمن كان يظن أنه يفهم النظام الإيراني وديناميات الحكم فيه.

تحكي قصة صعود إبراهيم رئيسي إلى مراكز القرار الإيراني الكثير عن ديناميات الحكم وآلية إتخاذ القرار في بلد تتفاعل فيه المطالب الشعبية التي تضع الناس في مواجهة النظام مع إستنفار كل القدرات الشعبية لمواجهة "مؤامرات وأعداء الخارج"، كما يحلو لأحد السياسيين الإيرانيين إختصار المشهد.

وتؤشر معظم المحطات المفصلية في سيرة إبراهيم رئيسي السياسية و"الثورية" إلى أنه مرشحٌ فوق العادة للقيادة.

قبل الانتخابات الرئاسية، تردد اسمه بشكل واضح في صحف عالمية مرموقة، كما في الصالونات السياسية الحليفة لتهران، باعتباره احد المرشحين الجديين للعب دور المرشد الأعلى المقبل، أي خليفة المرشد الحالي السيد علي خامنئي.

لكن فشل رئيسي في حصد نسبة أصوات كافية في الانتخابات الرئاسية، ترك الكثيرين في حيرة من أمرهم. هل يمكن لشخصية فشلت في الرئاسة أن تدخل في دائرة المرشحين لشغل دور المرشد الأعلى في المستقبل؟ هل يمكن لمنظومة الحكم الإيرانية أن تغفل توجه الشعب نحو مزيد من الإفتتاح، على الطريقة "الروحانية"؟

محاولة الإجابة على هذين السؤالين لا تعني مستقبل إبراهيم رئيسي ودوره فقط، بل هي تتعلق بالشكل الذي ستكون عليه "الجمهورية الإسلامية الثالثة"، بعد عهدي الخميني وخامنئي.

المؤمن على أموال "علي الرضا"

بعد نجاح الثورة الإسلامية في العام 1979، تم تعيين إبراهيم رئيسي في منصب المدعي العام في "كرج" غرب طهران، وأمضى خمس سنوات حاز فيها على ثقة "الإمام الخميني" فتم نقله إلى العاصمة ليشغل منصب نائب المدعي العام.

وبعد ثلاث سنوات فقط، تم تكليفه بالحكم في قضايا الأحزاب المعارضة للثورة، كجماعة "مجاهدي خلق" وحزب "توده". كانت تلك المهمة البالغة الحساسية مؤشراً على إعتقاد النظام عليه، بعد أن شارك في الحرب الإيرانية العراقية ونجح في إثبات نفسه في ثلوث "الدين والعسكر والقضاء".

بعد وفاة الإمام الخميني في العام 1989، تم تعيين

نظام هيمنة عالمي .. يحافظ على نفسه بكل الوسائل

بيري اندرسون

والمانيا شكلياً فقط، إذ أمدت القوات الأميركية الغازية بمساعدة جوية واستخباراتية، وانضمتا إلى روسيا والصين وبلدان أخرى في شرعنة الاحتلال الأميركي - البريطاني للعراق بمفعول رجعي عبر قرار الأمم المتحدة رقم 1483، مع العلم أن الاحتلال بدأ يتعرض لمقاومة داخلية شرسة. بعد ذلك بخمس سنوات، ومع وهن المقاومة وحصول تسويات أخرى، ظهر في العراق نظام اعترفت به كافة دول العالم، وهو ما سمح للولايات المتحدة ببدء انسحابها منه.

إنهيار 2008

سادساً، شهدت سنة 2008 نهاية الحلم السعيد لمنظومة توازن القوى الحالية، وذلك لعاملين مرتبطين بدنامية النظام الجيواقتصادي الذي ظهر بعد انتهاء الحرب الباردة، والذي تهيمن عليه الولايات المتحدة. وكشف انهيار الأسهم في وول ستريت في خريف ذلك العام عن مدى التأثير الكارثي لهذين العاملين في الداخل الأميركي بشكل يصعب تجاهله. وأدت سياسة رفع القيود النيوليبرالية عن رؤوس الأموال والبضائع وسوق العمل إلى تحويل جذري في الاستثمارات من تحفيز للإنتاج إلى المراهنة والمضاربة على نطاق هائل.

من جهة، أدى هذا التغيير إلى تضخيم التمويل الغير منضبط والعاور للقارات والذي خلق فقاعات في أسواق الأسهم والعقارات في الدول حيث الدخل الفردي مرتفع، خصوصاً دول شمال الأطلسي ومنظومتها الاقتصادية (OECD).

من جهة أخرى، خلقت هذه الأمور تحولاً كبيراً في سوق العمل والإنتاج نحو الدول ذات الدخل الفردي المنخفض وحيث توجد يد عاملة ضخمة، كأسواق آسيا مثلاً. وساعد هذا الواقع في خلق استثمارات من مؤسسات أميركية وأوروبية هدفها الأساس تحقيق أرباح أكبر مما يمكنها إحرازه في بلدانها. حتى أن الدول التي استفادت من هذه الاستثمارات، استغلت الفرصة للحصول عليها من دون الامتثال إلى معايير النيوليبرالية، فأبقت على قدرتها على التحكم باقتصادها. الصين، من دون شك، هي أكبر مثال على هذا النموذج. لذلك، شكل الانهيار الاقتصادي عام 2008 صدمة مزدوجة للمهيمن الأميركي، حيث ظهر التباين واضحاً وفجأة بين وهن الاقتصاد الأميركي والأوروبي وحيوية الإقتصاد في الصين (...).

القرن الأميركي

سابعاً، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، سعت منظومة القوى العالمية الجديدة إلى تحقيق غايتين: تأكيد تفوق الولايات المتحدة في هذه المنظومة، ورضوخ القوى الأربع الأخرى لمشيئتها. قررت إدارة الرئيس باراك أوباما تجاهل إنذار العام 2008، وأصرّت أيضاً، كما كان الحال مع الإدارات التي سبقتها، على أن القرن الحادي والعشرين سيكون، كالذي قبله، "قرن أميركي" (...). في الوقت نفسه، برهن التورط العسكري وإرسال الجنود إلى الشرق الأوسط خطورته

(Comecon). وشهدت روسيا، وهي التي جذرت من عمقها الجيوسياسي، حركة إعادة بناء شاملة ممنهجة من أجل ضخ الرأسمالية في شرايينها، بغض النظر عن وضعها المتردي. أما الصين، والتي كانت قبل 1992 حليفة للولايات المتحدة في صراعها مع الاتحاد السوفياتي، فقد أصبحت الشريك التجاري الرئيس لها والمساهم الأكبر في الدين العام الأميركي. كما أن الهند، وهي أكثر فقراً وتخلّفاً من الدول الأربع الأخرى، فقد أصبح لديها مخزون بشري هائل أهلها لتصبح "دولة عظمى ناشئة"، وكذلك لامتلاكها السلاح النووي، فأصبحت كالولد المدلل عند المهيمن الأميركي، وهو ما نراه جلياً في العدد الضخم للمهاجرين منها إلى القارة الأميركية، لا بل أغنى جالية أجنبية في الولايات المتحدة (...).

السطوة الأميركية

رابعاً، نتيجة التدهور الاقتصادي الذي حصل في سبعينيات القرن المنصرم، ظهرت النيوليبرالية في الغرب في بداية الثمانينيات بدرجات متفاوتة بين بلد وآخر (وفقاً لوضعه وحاجاته الداخلية): تحرير الأسواق، خصخصة الصناعة والخدمات، تآكل وتسليح نظام الرعاية الاجتماعية الخ... في التسعينيات، وأثناء رئاسة بيل كلينتون، جهدت الولايات المتحدة لعولمة هذا النهج بشكله الأميركي الأكثر راديكالية. ليس فقط من أجل تعميم النظام الرأسمالي إلى كافة أصقاع الأرض، كما في الماضي، بل في هذه المرة، من خلال تصدير المنهج الأميركي الخاص للرأسمالية كونها القوة العظمى الوحيدة. وتطلب هذا الأمر عدم تقييد حركة البضائع والتبادلات التجارية. من خلال هذا الواقع، ولدت منظومة التجارة العالمية (WTO). تلازماً مع ذلك، ربطت حرية التحويلات المالية حدود العالم في ما يمكن تسميتها بـ"الفورة المشتركة"، وظهرت نتيجتها جليّة في الارتفاع الكبير في أسعار الأسهم والعقارات عبر العالم. انتشرت أيضاً السطوة القانونية الأميركية، إن في منهج التحكيم (arbitration) أم في تطبيق التشريعات الأميركية على الشركات الأجنبية أينما كانت في العالم وفقاً لمضمون قانون هلمز- بورتون 1996 (Helms-Burton Act) ومراسيم أخرى صادرة عن وزارة الخزانة الأميركية.

اجتياح أفغانستان

خامساً، اعتقد كثيرون أن العصر الذهبي لهذه الهيمنة الأحادية الأميركية على العالم، بدأت بالزوال مع بداية القرن الحالي وكثرة تورط الولايات المتحدة في حروب متواصلة في الشرق الأوسط. هذه ببساطة أضغاث أحلام. في الواقع، أوج عصر منظومة توازن القوى برئاسة أميركا حصل مع اجتياحها لأفغانستان سنة 2002، وهي حملة حصلت على تأييد عالمي شامل، بمشاركة عسكرية أوروبية، ومساعدة لوجستية من روسيا، ومساندة دبلوماسية واستخباراتية من الصين، وتهليل كبير من الهند. حتى الحملة على العراق لم تغر أي شيء جذري في هذا الواقع. كان اعتذار فرنسا

أولاً، وضع العالم الحالي يجب قراءته بدءاً من أعوام 1889-1992، أي مع انهيار الاتحاد السوفياتي و"انتصار" الغرب. تمتعت الولايات المتحدة خلال الحرب الباردة بسطوة عالمية في معظم القارات، بإستثناء دول المنظومة الشيوعية. هدفت هذه السيطرة الأميركية لتحقيق غايتين: إثنين، الأولى؛ سحق أي بديل للنظام الرأسمالي. الثانية؛ تثبيت هيمنة أميركا على النظام الرأسمالي. بعد الحرب العالمية الثانية وبمساعدة اقتصادية من الولايات المتحدة وفي ظل هيمنتها العسكرية، كانت الأنظمة المنافسة لأميركا - تحديداً اليابان وأوروبا الغربية، بإستثناء فرنسا خلال حقبة الرئيس شارل ديغول - راضية بوضعها كـ"محميات" أميركية لوقايتها من خطر الشيوعية. بدأ منطق أميركا يتغير لحظة سقوط الاتحاد السوفياتي. بدأت تنظر إلى الصناعات الألمانية واليابانية كمنافس للصناعة الأميركية وعنصر إضعاف للاقتصاد الأميركي. ومع ذلك، لم نشاهد تغييراً جذرياً في ولاء هذه الدول للولايات المتحدة. إذاً مع انهيار الاتحاد السوفياتي، أصبحت الولايات المتحدة، ولأول مرة في تاريخها، سيّدة العالم من دون منازع، مع قدرة ضاربة أكثر من باقي دول العالم مجتمعة.

ترتيب العالم: ستاتيكو

ثانياً، في ظل هذا الواقع الجديد، أطلقت على عملية إعادة ترتيب العالم، غداة إنهيار الاتحاد السوفياتي، تسمية النظام "الأحادي القطب"، وولدت قناعة أن أميركا هي القوة العظمى الوحيدة، القادرة على توحيد العالم وجعل مستقبله أكثر ازدهاراً وسلماً. في الواقع، الذي انبعث من هذه الهيمنة الأميركية هو مشهد مماثل في كثير من التفاصيل لحقبة منظومة "توازن القوى" (Concert of Powers) الذي حصل في أوروبا بعد مؤتمر فيينا (1814-1815). فكان هدف المنظومة الجديدة القضاء الكامل على إرث الثورة البلشفية تماماً كما كان هدف المنظومة السابقة القضاء على إرث الثورة الفرنسية، وهدفت أيضاً لتثبيت الرأسمالية كنظام عالمي شامل، كما كان الهدف هو تأكيد شرعية الخلافة الملكية (legitimism) بعد سنة 1815. تشكل التوازن الجديد - كما القديم - من خمسة أعمدة، فحلت اليوم الولايات المتحدة، وأوروبا، وروسيا، والصين، والهند محل بريطانيا، وروسيا، والنمسا، وفرنسا، وبروسيا. وكما في زمن مؤتمر فيينا، تختلف عن بعضها البعض في أيديولوجيتها الرسمية وهرميتها الداخلية لكنّها اتفقت على أهمية الحفاظ على الوضع كما هو (status quo) حول العالم.

السطوة على الآخرين

ثالثاً، إن الفرق الكبير بين الماضي والحاضر هو في سطوة زعيم أوحد على الآخرين، وهذا ما حصل لمدة 15 سنة. فأوروبا، وهي الأقرب بطبعها وأنظمتها إلى القطب الأميركي، تطورت تحت رعايته لتصبح اتحاداً رسمياً نتيجة لمعاهدة ماستريخت (Maastricht) ونجحت بتوسيع الإتحاد ليشمل كافة الدول الشيوعية السابقة في أوروبا الشرقية

على شعبية الرئيس الأميركي في الداخل. لذلك، قُضت إدارة أوباما خوض حروب اقتصادية وخنق الدول الممانعة أو المعادية في المنطقة عبر العقوبات الاقتصادية التي يسهل فرضها نتيجة هيمنة الدولار الأميركي على نظام التعاملات المالية في العالم، وأيضاً عبر تفويض التدخل العسكري بالوكالة بدلاً من التدخل الأميركي المباشر.

إنهيار المنظومة

ثامناً، في الشرق الأوسط، حاولت الولايات المتحدة إجبار إيران على التخلي عن برنامجها النووي وذلك عبر حصار اقتصادي رافقه تهديد بهجوم عسكري إذا لم تمتثل. لكن ما عدا ذلك، ومع استمرار القتال في أفغانستان، وشع أوباما حروبه في الشرق الأوسط، حيث مزج بين الضربات الجوية واستخدام الوكلاء، كما في اليمن وليبيا. لكن إساءة استعمال أوباما للتفويض الذي حصل عليه في مجلس الأمن بخصوص ليبيا، قضى على هذا الإجماع المتساهل داخل منظومة القوى العالمية التي يهيمن عليها الأميركيون. وخلال إحدى عنبرياته المتعجرفة، صنف أوباما روسيا كدولة ليست أكثر من قوة إقليمية (أي ليست لها مقومات القوة العالمية) ويرأسها رجل يتصرف كالمراهق المتجهّم الذي يجلس في الجزء الخلفي من الصف. وحاول التحايل عليها عبر طمأننتها أنه لا يريد تغيير النظام في ليبيا. إذاً، ذهب أوباما بعيداً في غطرسته السياسية واستفزازاته لروسيا. ثلاث سنوات بعد ذلك، وإخلاقاً بالعقلانية الجيوسياسية، دبرت الولايات المتحدة انقلاباً في أوكرانيا وفقاً لمواصفات أميركية قامت بالإعلان عنها من كيبف مساعدة وزير الخارجية الأميركي لشؤون أوروبا فيكتوريا نولاند (Victoria Nuland). مع أنه في حقيقة رئاسة بوريس يلتسن، تقبلت موسكو، ولو على مضض، توسع حلف الناتو وتمّده ليشمل دول البلطيق، لكن الرأي العام الروسي بقي رافضاً لشرعية هذا التمّدد الذي نتج عن انتصار الغرب في الحرب الباردة. لذلك كان استمرار هذا النوع من الاستفزاز على حدود روسيا الجنوبية - الغربية تجاوزاً للخطوط الحمراء، فكان "استرجاع" شبه جزيرة القرم ردة فعل على ما حدث في أوكرانيا. وكان جواب روسيا على العقوبات التي فرضتها عليها الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي تدخلها في سوريا (2015) والذي أجهض مخطط واشنطن لإحداث تغيير في نظام حكم آخر في العالم العربي. وأدى هذا الوضع إلى انهيار منظومة توازن القوى في البحر الأسود وشرق المتوسط.

إنها الصين

تأسّغاً، التصرف المتعطر مع روسيا والمؤسّس على مقولة أنّ المنتصر يفرض شروطه على المهزوم، بدأ مع بيل كلينتون، لكن لم يكن له تأييد كبير في أميركا، حتى من جانب صقور السياسة الخارجية الذين حدّروا من هذه الاستراتيجية منذ البداية. برأيهم، كانت الولايات المتحدة، ولأجل الحفاظ على مصالحها، قادرة على إبداء احترام أكبر لروسيا. وكذلك الأمر مع الصين. غير أن ردة فعل الولايات المتحدة على نمو قدرات الصين تعكس تغييراً جوهرياً في ميزان القوى بينهما والذي حثّم أن تأخذ ردة الفعل هذه بعداً عدوانياً.

ويمكن القول أنه بعد سبعين سنة من الهيمنة، أصبح هوس الاحتفاظ بهذه السطوة على العالم منصرفاً في الهوية الأميركية الوطنية. لذلك عندما بدأ جلياً هذا التهديد من دولة ذات عدد سكان أكبر بكثير، واقتصاد يتنامى بوتيرة أسرع وله قدرة على المنافسة حتى في مجال التكنولوجيا المتطورة،



المشتركة في ما يخص المحافظة على استقرار النظام المالي العالمي، البيئة، والهيمنة النووية. أما النزاع فسيكون حول وضع حدّ، إذا أمكن، للشيوعية في الصين وإعادة روسيا إلى ما كانت عليه أُناب الأعوام "السعيدة" في حقبة يلتسن، من دون أن يكون لهاتين الدولتين أيّة أطماع كبيرة. بمعنى آخر، في المدى المتوسط والطويل، سنشهد أفقا يقوم على تغيير للأنظمة من طرف واحد، بغض النظر عما إذا كان ذلك ممكناً أم لا.

الشرق الأوسط

حادي عشر، ماذا بخصوص الشرق الأوسط؟ في القرن التاسع عشر، ارتكبت منظومة توازن القوى الأوروبية خطأ قاتلاً منذ بدايتها، وذلك باستبعادها للسلطنة العثمانية والتي لم تدعى إلى مؤتمر فيينا حيث تشكل هذا التحالف المقدس كإطار مسيحي لإعادة الأمور في أوروبا (Restoration) إلى ما كانت عليه قبل الثورة الفرنسية، لذلك كانت فكرة حضور الدولة العثمانية الإسلامية مستبعدة تلقائياً. ومن سخرية القدر أن استبعاد الدولة العثمانية من المنظومة بحجة التضامن بين الأعضاء الأوروبيين خلق هوة داخلها نتيجة التنافس بينهم على مصيرها (...). وشهدت سنة 1918 قيام الحلفاء، تحديداً فرنسا وبريطانيا، باقتسام الأقطار العربية التي كانت تحت حكم العثمانيين. لكن سيطرتهم كانت ضعيفة وقصيرة وانتهت بعد الحرب العالمية الثانية.

بعد ذلك، في غضون الحرب الباردة، أصبحت المنطقة حلبة صراع، كما كان البلقان في القرن التاسع عشر، لكن هذه المرة بين الولايات المتحدة كالقوة المهيمنة على معظم الشرق الأوسط والاتحاد السوفياتي الذي تحدّى هذه الهيمنة. وانتصار الولايات المتحدة في الحرب الباردة جعلها القوة الوحيدة في المنطقة، وهي المكانة التي أكّدها حرب الخليج سنة 1991 والتي في ظلها ظهرت منظومة توازن القوى الجديدة التي أعضاها أوروبا، روسيا، الصين، الهند، وأميركا. ومن سخرية القدر هنا أيضاً أنّ انفراط عقد هذه المنظومة، كالمنظومة السابقة، كان أيضاً في الأراضي السابقة للدولة العثمانية، حيث استعرضت الولايات المتحدة عضلاتها بمبالغة كبيرة استفزت روسيا وجلبت عداة الصين. حتى أوروبا أزعجها، ولو بدرجة أقل، هذا الشذوذ الأميركي. في ظل صراع القوى هذا، شاع القتال "بالوكالة" أو بالتدخل المباشر من القرم إلى اليمن وليبيا وسوريا والعراق وغيرها. فكما في مؤتمر فيينا ومؤتمر فرساي، وفي نفس الجغرافيا التاريخية، وُجدت منظومة توازن القوى التي ولدت في تسعينيات القرن الماضي ووعدت بعالم جديد يتبع منهج التعاون الشامل والتنمية نفسها، تماماً، كالعبرة الشهيرة في مفارقتها الساخرة والتي أطلقها الجنرال الفرنسي لوي فرانشي دي أسبيري (Louis Franchet d'Espèrey) حين دخل إسطنبول على رأس جيش الحلفاء في سنة 1918 وقال: "السلام لإنهاء كل السلام" (end all peace).

(*) مؤرخ وفيلسوف وعالم إجتماع يساري بريطاني مناهض للإمبريالية الأميركية.
(**) نص لمجلة 180 ترجمه د. سليمان مراد، الأستاذ في جامعة جامعة سميت الأميركية

ويدبرها نظام خصم، كان لا بدّ لردّات الفعل الوقائية من أن تحدث. نتيجة هذا، جاءت فكرة "إعادة التمحوّر في آسيا" والتي أطلقتها إدارة أوباما، ومنها إعادة انتشار أسطول المحيط الهادئ (Pacific Fleet) ودعمه باستراتيجية حربية جوية وبحرية ضدّ الصين. وأذت أيضاً إلى تغيير للسلطة في طوكيو عبر إسقاط حكومة جونيشيرو كويزومي (Junichiro Koizumi) والتي كان عداها لبكين، ليس كما يجب، وتم استبداله بشينزو آبي، إضافة إلى التدريبات العسكرية مع الهند، وأكثر أهميّة جاء إطلاق حلف اقتصادي في المحيط الهادئ وشرق آسيا - حلف الترانز باسيفيك (TPP) - والذي هدف الى خلق منظومة اقتصادية ضخمة لعزل وخنق الصين.

الحرب الفاترة

عاشراً، عدل الرئيس دونالد ترامب في شكل الخطاب السياسي الأميركي بشكل كبير، لكن ليس في المضمون. بعد أن جهد من دون جدوى لتحسين العلاقة مع روسيا، أجبر بضغط من المؤسسة السياسية (establishment) على زيادة بدل تخفيض العقوبات التي فرضها أوباما ضدّها. وكذلك رمى بفكرة حلف الترانز باسيفيك (TPP) عرض الحائط وأعلن عقوبات تجارية أحادية الجانب على الصين لإرضائها. من دون شكّ أنّ ترامب هو أكثر حدراً من سلفه في إطلاق العنان للعنف العسكري لكنّه أكثر رعونة فيما يخصّ السلوك الدبلوماسي. فأعاد وشدّد الحصار الاقتصادي على إيران برغم اعتراض أوروبا عليه، وهذد أيضاً بحرب تجارية مع الاتحاد الأوروبي. ومن دون شك، سيبقى هذا الموقف حيال روسيا والصين حتى بعد رحيله في بداية السنة القادمة - إذا لم يعد انتخابه - وإن سيتمّ التقليل من الضجيج حوله. أما بخصوص عدوانية الولايات المتحدة حيال الاتحاد الأوروبي، والتي أكملت انحلال منظومة توازن القوى، فستنتهي بانتهاء رئاسته، والتي ستشهد جهوداً مكثفة لإعادة اللحمة بين ضفتي شمال الأطلسي، كما حصل مع رحيل الرئيس جورج بوش الابن. وهذا ما يتوقع حدوثه مع مجيء رئيس ديمقراطي جديد. وفي ما يخصّ الهند، فهي ستتحوّل أكثر فأكثر نحو المهيمن الأميركي. لكن منظومة توازن القوى لن تعود إلى ما كانت عليه سابقاً، بل على العكس ستشن الولايات المتحدة - كما عبّر عن ذلك أحد المراقبين الأميركيين - "حرباً ليست حارة ولا باردة، بل فاترة" تجاه الصين وروسيا، جامعة بين التعاون والتنازع في ما نسبته - وفقاً لمساعد وزير الخارجية الأميركية لشؤون شرق آسيا والمحيط الهادئ كورت كامبل 20% تعاون و80% نزاع. التعاون سيتحوّر حول المصالح

صفحات من حوارات "الجورنالجي" و"كاتم الأسرار" للكاتب طارق زيدان التناقض الأميركي الإيراني لن ينتهي.. والعرب موجودون فقط على الخريطة



لحظة اقترابنا من ميناء العرب الدولي (مطار الإسكندرية)، هالتي لون البحر، ومنظر الشاطئ، جمال خلّاق براق. وعند المدرج، استقبلنا باص المسافرين، لا سيارة خاصة، وكنا وحدنا في الباص نحن الستة. جلس الأستاذ طلال سلمان في منتصف المقعد، وإلى جانبه النائب عباس هاشم وحسين أيوب وأحمد سلمان، ووقف الأستاذ مصطفى ناصر ممسكاً بعمود. أمّا أنا فأخرجت هاتفي مصوّراً الجميع من دون علمهم (...).

استقبلنا سائق "بفان" كبير، وبدأ يشرح لنا ويحدّثنا عن الإسكندرية وتاريخها كأننا سياح، فعدنا إلى جو الضحك والتنكيت، والقول إن السائق رجل استخبارات ماهر (...). استقبلنا الأستاذ محمد حسنين هيكل في منزله الصيفي، على الساحل الشمالي قرب مدينة الإسكندرية، يجاوره "عديله" نبيل العربي، الأمين العام لجامعة الدول العربية آنذاك.

لا يغيب عن بالي منظر البحر الأبيض المتوسط، أو مائدته، كما كان يسميها.

الشاطئ مغطى برمل ناصع البياض، يليه شريط مائي أزرق تركوازي اللون مميز، ثم شريط مائي آخر أزرق داكن،

وناصر وعدد من الأصدقاء والسياسيين اللبنانيين، سواء في بيروت أو القاهرة أو برقاش (المزرعة التي كان يرتاح فيها في الريف المصري وإستقبل فيها العشرات من القادة العرب والأجانب الذين كانوا يزورون مصر) أو في منزل هيكل الصيفي في الساحل الشمالي في الإسكندرية.

من هذا الكتاب الصادر عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر (الطبعة الأولى 2019، بيروت)، إختارنا نشر أحد فصوله (اللقاء النووي) الذي يرصد حواراً غنيّاً بين الكاتب العربي الكبير الراحل محمد حسنين هيكل وبقاثة من زواره اللبنانيين، يتقدمهم طلال سلمان والراحل مصطفى ناصر غداة توقيع الإتفاق النووي في 2015.

تسنت الفرصة لشاب سعودي تعلم في الولايات المتحدة وإنخرط في أعمال عائلته في السعودية، أن يتعرف على لبنان، من بوابة الصحفي الراحل مصطفى ناصر. إرتباط الشاب طارق زيدان بكريمة "الرجل المترامي الأطراف"، على حد تعبير الصحفي الكبير طلال سلمان، أفسح له أن يقتحم بذلك وحنكة وحضور، عوالم السياسة والصحافة، في بيروت والقاهرة وبعض عواصم العالم. من بين آلاف الصفحات التي دونها، إختار طارق فريد زيدان أن يوثق في أول كتاب سياسي له بعنوان: "الجورنالجي وكاتم الأسرار/محمد حسنين هيكل ومصطفى ناصر/ أسرار وذكريات"، صفحات من عشرات اللقاءات التي جمعت بين هيكل

لا أفق له، فتحسب أنك تود أن تشرب من مياهه، لا أن تسبح فيها... ببساطة، إنه أجمل بحر رأيته في حياتي. استقبلنا هيكل عند المدخل، كعادته، مستخدمًا هذه المرة عكازًا طبيعيًا بأربع أرجل، بعد تعرضه لكسر في الورك. كان مرتديًا لباسًا متناسقًا مع المنزل والموقع والساحل الشمالي، وهو ما تجلّى في قميص أبيض من قماشة "اللينين"، وبنطال أسود رياضي.

وحين بادرت بالإشادة بتميز ألوان البحر أمامنا، ذكر لي أن القائد العسكري مونتغمري، كان يعشق السباحة عاريًا في مياه هذا الشاطئ، استعدادًا لخوض الحرب العالمية الثانية. المهم أن كل التفاصيل مدروسة: سيجاره يمينه،

هيكل: أعطوني دليلًا واحدًا على أن أوباما غير سياسة في المنطقة، أو في غيرها. ما نتكلم عليه هو تغيير حقيقي، لا لعبة علاقات عامة في الشكل

وكتابه يلحق باللورد الأسمر أتى ذهب. هكذا كان يوصف ابن حي الحسين القاهري (...).

"كنت مسكر دكاني"

جلسنا أول اللقاء مطّين على البحر، والهواء الإسكندراني العليل يسرح ويمرح بيننا. جلس هيكل وإلى جانبه طلال سلمان، ثم عباس هاشم، يليه مصطفى ناصر، يولون وجوههم شطر البحر. وجلست مع حسين أيوب وأحمد سلمان مقابلهم. اقترب حسين أكثر من "الأستاذ" وأنا معه، في الوقت الذي أخرج فيه أحمد سلمان هاتفه يريد التصوير.

استدرك هيكل الأمر، وخاطب أحمد سلمان قائلاً: "لا، لا، أرجوك، لا تصوير، فلباسي ليس رسميًا"، وكان يقصد البدلة وربطة العنق، فما كان من أحمد إلا أن أخرج هاتفه والتقط لهيكل، من دون علمه، صورة كان أن احتلت غلاف المقابلة على صفحات "السفير"، وقد ظهر بكامل أناقته المعهودة (...).

استهل هيكل الجلسة سائلًا عن أحوال لبنان، وبدنا لنا متابعًا تفاصيل كل ما يدور في بيروت وأروقتها وأسرارها، ليقلبه طلال سلمان قائلاً: "جئنا لنسألك، لا لتسألنا عن بلدنا الصغير! نريد معرفة أحوال بلاد العرب الكبيرة مصر،

وتداعيات الاتفاق النووي الإيراني على المنطقة و...". لكنّ الأستاذ هيكل قاطع مستفسرًا بالقول: "ليه يا مصطفى، ليه، كنت مسكر دكاني في القاهرة وقاعد مرتاح في الساحل". قال ذلك وهو يحرك يديه اللاتنتين ممازجًا (...). بادرت وسألت: "أستاذ هيكل، بحسب المثل الإنكليزي الشهير "هناك فيل في العرقة لا يمكن تجاهله"، وهو الاتفاق النووي الإيراني، اتفاق فيينا، ماذا سيحدث ل طهران؟ وما موقف الغرب منها؟ وكيف ستتصرف السلطة فيها إقليميًا؟ وهل سيقبل الغرب دورًا إيرانيًا؟".

لحظة واحدة، هي كل ما تحتاج إليه للدخول في حوار عميق. عندئذٍ تحوّل اللقاء من السلام والسلام المتبادل إلى نقاش سياسي استراتيجي.

وكعادته، سبح هيكل في التاريخ والمعلومات، مستندًا إلى معلومات، ومتمكّنًا على علاقة مع صناع القرار. إنه يحمل تجربة طويلة ترافقها ثقافة عالمية. فقد كان على علاقة مع كبريات الصحف الدولية، ورؤساء تحريرها وكتّابها. وهو حاضر ذهنيًا بحديثه وقد ناهز التسعين عامًا... إنها طاقة متدفقة.

عالم ما بعد الاتفاق النووي

أشعل هيكل سيجاره، وجال بنظره على الحضور، وبدأ الكلام: انطلق من الرئيس الأميركي أوباما، ومن خطابه أمام جامعة القاهرة في العام 2009، ليعزج على آلية صناعة القرار في واشنطن، ثم تكلم على السلاح الاقتصادي الأميركي ومدى محدوديته تجاه طهران، شارحًا أن الاتفاق النووي له ميزة استراتيجية تتعلق بموقع إيران، الهضبة الآسيوية، متوقعًا استمرار حالة العداء بين واشنطن وطهران.

وفي هذا السياق، أوضح أنه يمكن تحليل شخصية أوباما، ليصل إلى وصف الرئيس الأميركي باراك حسين أوباما بالقول: "هو رجل مفعّوه، لكنّ تكوينه ضده: أصوله ولون بشرته وموقع السود في النظام".

توقفت مطوّلًا عند هذا الوصف، ليس لأن أميركا غير عنصرية، بل لأن وصول أوباما إلى البيت الأبيض شيء، وممارسته السياسة شيء آخر. أردت القفز داخل تدفق الكلام، لكنّ الأستاذ حسين أيوب سبقني وقال: "بالرغم من كل هذه العوامل لدى أوباما، فهل كان قادرًا على توقيع اتفاق مع إيران النووية والإقليمية؟".

تأهّب هيكل ليأخذ نفسًا من سيجاره، في إشارة منه إلى أن السؤال أعجبه، وأنّ الجواب سيفيض كالسيل وقال: "أوباما لا يتحدى الكونغرس، علينا التمييز بين اختلاف رئيس مع الكونغرس، وممارسة السياسة الجفرسونسية في إطار النصوص" (...).

استطرد هيكل قائلاً: "في أميركا لا يمكن توقيع اتفاق، ولو بالأحرف الأولى، ضد إرادة الكونغرس. هناك توافق بشأن هذه المسائل. أضف إلى ذلك أنّ أحدًا لا يستطيع أن يأتي من خارج سياق القوى الحقيقية الأميركية ويتفرد بالقرار. لا، لا، أبدًا، بل إنّ مجيء أوباما يدل بوضوح على أنّ هناك أزمة قرار في واشنطن، ترافقها أزمة قرار في القوى.

ولا تنس أن السود يمثلون حتى هذه اللحظة ما بين 12% و14% من السكان، وليس لديهم أيّ من مفااتيح القوة". "أين هي القوة الحقيقية في أميركا إذن؟"، سألت بحماسة ممزوجة باستهجان.

"أعرف ما تقصد؛ في الدولة العميقة، الكونغرس والمؤسسات وغيرها، يكون للقوة الأميركية أهداف،

فهي لا تعمل من دون تخطيط. وبغض النظر عن نجاح أوباما أو فشله، فهو لم يحقق الهدف. حتى صورة أميركا لم تتغير، وهذا أمر صعب جدًا عليه، فما بالك بتغيير أهداف المؤسسة؟ ما يغيّرها هو الصدمات المتتالية، مثل فيتنام وإيران".

"والدليل؟"، سأل حسين أيوب. "الدليل؟ أنا أسألك أن تعطيني دليلًا واحدًا على أنّ أوباما غير سياسة في المنطقة، أو في غيرها. ما نتكلم عليه هو تغيير حقيقي، لا لعبة علاقات عامة في الشكل".

عالم عربي لا يحرك ساكنًا

أكمل هيكل وصفه بالحركات التي يؤدّيها بيديه اللاتنتين، وسيجاره معلق، شارحًا كيف يُصوّر أوباما عندما يدخل إلى الاجتماعات مترقّبًا في مشيته، ومتكلمًا بثقة. ثم نقل الحوار نحو الاستنتاج بالقول: "أميركا فشلت في سياسة الاحتواء: فشلت مع إيران ومع كوبا والعراق، وفشلت أيضًا في فرض صورة تبرزها من التمييز العنصري والمشاكل الإنسانية. لكن ما غير الأوضاع ليس أوباما، لأن كل رئيس يصل إلى البيت الأبيض يجد حقائق جديدة مختلفة عن سابقه، فيسقط خياراته القديمة. ومنها أنه ما من رئيس اتخذ خيارات جديدة، وغير الأوضاع".

سأل أحمد سلمان: "وماذا عن الاتفاق النووي؟". أجاب هيكل، وبسلاسة متدفقة: "يمكن القول إن الحصار على إيران فشل، وإنه سيخف. لكنّ الحرب على طهران مستمرة، وإن لم تكن قائمة على النحو الفاعل الذي كانت عليه سابقًا. إنّ التحدي الوحيد البارز في المنطقة بالنسبة إلى أميركا هو إيران. والإيرانيون يعرفون ذلك: فأميركا تراهن على انفتاح أو تحوّل يجري داخل النظام، لكنّ النظام الإيراني لن يفعل مثلما فعل السادات، حين قرر السفر ليلًا إلى تل أبيب، فكان ظهرًا في مطار بن غوريون. هذا أمر لن يفعله غيره".

سألت مقاطعًا: "والعالم العربي، أين هو؟". "العالم العربي! كما نرى"، هكذا، وحرك بيديه مرة أخرى، في إشارة إلى أنّ العالم العربي لا يحرك ساكنًا. ثمّ أكمل: "وفي تركيا، أردوغان لا يمكن البناء عليه، أو على موافقه. وهناك أيضًا ما لن تقبله أميركا، وهو نظام إيران كحقيقة واقعة، وهي لا تملك بدلًا منه أو حلًا آخر... بّص، ليس هناك أقوى من شعب على أرضه مع حضارة مستمرة. الإيرانيون لم يكونوا إلا أنفسهم. حضارة فارسية على أرضها مع الناس. هنا القيمة. مصر على فكرة أدت هذا الدور، بالرغم من كل ما أصابها" (...).

تأثير "النووي" على سوريا

قرر مصطفى ناصر التكلّم، فطرح سؤالًا صاعقًا، أراد به أن يحلّق بالحوار بعيدًا: "طيب يا رئيس، ما هو تأثير الاتفاق النووي في سوريا؟".

تلقّف هيكل السؤال الناصري فرحًا، فهو كان يعرف أن ناصر لا يسأل من فراغ، وانطلق شارحًا: "بص حضرتك، ما تقوم به أميركا اليوم هو أنها تشتغل مع إيران حتى الاستيلاء على سوريا، والأردن بعدها. الاتفاق النووي مهم جدًا، لكن يجب ألا نبالغ في تأثيره. أميركا تريد إيران لها، ولن تقبل أن يتواصل معها العالم أكثر منها. لا تقبل أن يجري العالم نحوها إلا بقدر ما تريد هي. هناك فرق فواشنطن تتعامل مع حقائق تدرك أنّها لا تستطيع تغييرها



في ذلك من البوابة العراقية، ولو بالفوضى، فالعراق اليوم بؤرة عزل ل طهران. سوريا نقطة ارتكاز أيضًا، أما اليوم، فلا. في إيران وحدها في الإقليم. وليس صحيحًا أن كل ملفات المنطقة قد طويت مع الاتفاق، لا بل جرى فتح كل الملفات بعدئذٍ. وقد لامس الأميركيون والإيرانيون المواضيع من دون أن يضعوا لها حلولًا. يبدو ذلك واضحًا من خلال الموقف الأميركي المهمتم بإيران أكثر من اهتمامه بالدول التي تجاورها". لاحظوا أن الشيخ راشد بن مكتوم كان ذكيًا في مسألة التعامل مع إيران، وكان مستعدًا لضرب كل من يحاول الاستهانة بها".

هنا، وفي هذا المفصل من الحوار، تدخل مصطفى ناصر، فقد كان يعرف أن الكلام لا يستقيم من دون أن يُعَرَّج على لبنان، الذي أصبح يؤثر خارج حدوده في سوريا، عن طريق حزب الله، وهو يعرف دور الحزب تحديدًا في الصراع الدائر هناك وعلاقته بالإقليم، فسأل: "ماذا عن دور حزب الله في سوريا؟".

استقبل هيكल سؤال ناصر بهجة واضحة، وأجاب: "صحيح يا مصطفى، إن حزب الله قوة كبيرة في لبنان، ولكن لبنان كله، مع احترامي لكم، له حدود في التأثير. صحيح أن للسيد حسن نصر الله إشعاعًا معينًا في لبنان وخارجه، ولكن هو أيضًا له حدود. إذا كانت سوريا مدمرة، والعراق يعيش أو يموت أمانًا، فنحن جميعًا أمام مأزق حقيقي، وعلينا ألا نحمل الناس أكثر مما يطيقون. والحزب له سمعة طيبة، ولكن السمعة لا تمثل قوة بحد ذاتها. وقاتل حزب الله هو دفاع عن النفس، لا إثبات نفوذ، هذا مهم في الاستراتيجية. هو مستهدف. ومن يُرد ضرب إيران، فإنه يحاول أن يقصّ أجنحتها في كل مكان". "وماذا عن موقف روسيا من إيران؟"، سأل طلال سلمان. أجب هيكل: "روسيا لُسعت وقرصت من منطقة الشرق

موقعها. يمكن تقبل ترتيبات معينة بين الطرفين، لكن العداء لن ينتهي إلا إذا غير النظام في طهران سياسته، أو غيرت واشنطن مطالبها. التناقض الإيراني الأميركي لم ينهه الاتفاق النووي".

أخذ هيكل رشفة من كأسه، ثم طفق يبحر عميقًا في الموضوع الإيراني: "في هذا الاتفاق ما يشبه العلاقة بين ولد و بنت، يختير كل منهما الآخر. لكن يبقى الواقع هو الآتي: في علاقات القوة حسابات، فهل تقبل أميركا قوة مثل طهران في المنطقة، قادرة على الانتشار والتأثير خارج حدودها، وخارج فلكها؟ المسافة بين الدولتين كبيرة جدًا، ويجب أن تغيّر إحدهما من طبيعتها. تواضع أميركا وترويض إيران لن يحل المشكلة. لا تنس أننا أمام علاقة قوة وصراع، فهناك متمرد، وهناك مروّض، من دون أن يمسك أحد منهما "هدوم" حد. ولا تنسوا أن أميركا لن تقبل بقاء نظام قوي في طهران؛ إيران وتركيا تمثّلان خط المواجهة مع روسيا، وبغض النظر عن يحكم موسكو، أكان من القياصرة أم من الشيوعيين. أمّا بالنسبة إلى التاريخ والجغرافيا، فإن روسيا تمثّل خطرًا على أوروبا؛ وحسابات أميركا هي مع روسيا بذاتها، لا مع النظام الشيوعي فيها".

نقاط الارتكاز

واصل هيكل حديثه ومصطفى ناصر يستمع من دون تعليق، تاركًا الحديث يأخذ مجراه الطبيعي، فهو لم يكن يحب التدخل لجعل ولادة الأفكار قيصرية: "بص، هزيمة أميركا في إيران ستكون مدوية. فشل أميركا في ترويض طهران، أو تغيير النظام فيها خطر قد يضعنا أمام نزاع. الاتفاق سيخفف من عزلة إيران. والغرب نجح

الآن، لكنها تتعامل معها على افتراض أنها قد تصبح قادرة على تغييرها في مرحلة لاحقة".

سأل طلال سلمان: "كيف يعني؟ ممكن شرحها؟". أجب هيكل: "لو نجح النموذج الإيراني، وزُفِع الحصار عن طهران، فسينمو ويقوى، وتكون الخطة قد فشلت. التناقض الأميركي الإيراني لن ينتهي ما دام هذا النظام قائمًا في إيران. أميركا أمام نظام رافض للهيمنة الأميركية وملاصق لروسيا والصين. والعامل النفسي في هذا الصراع مهم جدًا. أصبح الجميع يخاف من طهران، بمبالغة تجعل الأنظمة تُسقط كل التحفظات السياسية. وفي مصر تدور معركة من هذا النوع، فحواها: هل يجوز الانفتاح على إيران. والرئيس السيسي مهمتم ويسمع، ولكن هناك محاولات ضخمة تمارس لعدم حدوث التقارب والانفتاح. الدول الكبرى تسمح لنفسها بالإقدام على بعض التصرفات، واتخاذ بعض الخطوات، لكن أن تقوم أنت بها، فهذا ممنوع" (...).

أكمل هيكل حديثه فقال: "لا تجوز المبالغة في تأثير الاتفاق النووي: هو مهم، وأميركا وموقفها أيضًا مهمان". "كيف تكون أميركا مهمة أيضًا؟ وماذا تقصد بالمبالغة؟"، سألت هيكل بسرعة.

صمت هيكل لحظة، وبدأ يسترجع ذكرياته عن طهران، ثم تحركت يده، وعلى جري عاداته، بطريقة دائرية، لتصلا إلى عنقه، ولا تلمسها، وقال: "أول زيارة لي إلى طهران كانت في العام 1951 أيام مصدق. وقد تعرّفت يومذاك إلى إيران من الداخل، وإلى شقيقة الشاه، والخميني والخامني ورفسنجاني وخاتمي المثقف الذي زارني في برفاش، لكن إيران الجغرافيا تبقى إيران. وبغض النظر عن النظام في طهران، فإن إيران، تقع على هضبة آسيا المطلة على روسيا والصين، وهي نقطة ارتكاز في

نظر إليّ مرخيًا سيجاره، ثم قال: "إنت بتقرا أفكاري؟" "لا أبدًا"، جاوبته بقليل من الخجل، لينقذ مصطفى ناصر الموقف قائلاً "طارق كده يا ريس، بس يشوف ثغرة في الفكرة يهجم عليها"، فزادني بذلك خجلًا. لكن الأستاذ طلال أصرّ، وهو يجلس في الطرف الآخر من هيكل، على السؤال، وأصر على الجواب من هيكل، فقال هيكل: "البحر الأبيض المتوسط ملتقى العالم والحضارات، أنا أسميه مائدة البحر الأبيض، فهو أكثر من جغرافيا، متميز عن التضاريس المائية الأخرى.. إن له قدسية المكان والزمان".

الخوف من إيران

ثم استدرك هيكل متوجّهًا إليّ بالقول: "السعودية ودول الخليج لديها مشكلة مع المستقبل. هي أضعف من أن تشاغب في ما يخص الاتفاق النووي. وبمكنتها أن تشكو إلى الأميركيين وتعاتب. والاتفاق خيانة لها. علينا أن نتنظر تصرفات هذه الدول لا مواقفها المعلنة. كلها تتساوى في الخوف من إيران".

"الخوف من إيران النووية؟"، سألت مقتحمًا. "شوف، إنّ أية دولة تنجز دورة تخصيب يورانيوم لديها القدرة على صناعة القنبلة خلال ستة أشهر. إيران اليوم، من خلال الاتفاقية، تعهدت عدم تطوير السلاح، لكنها تملك المعرفة. إن دولًا مثل الإمارات وقطر تحاول في محطات معينة أن تمول وتدعم التكنولوجيا. لكن، يبقى الفرق بين أن تشتري التكنولوجيا وتستخدمها من دون القدرة على استيعابها" (...).

توجّه حسين أيوب إلى هيكل بسؤال، في الوقت الذي كان فيه أحمد سلمان يقترب من هيكل بهاتفه ليسجل الحديث، عن دور العقل في السياسة العربية، وعن مصير هذه المنطقة من العالم، وما يشاع فيها، من إرهاب وقتل وعنف وعنصرية، تمظهرت كلها في ما سُمّي "داعش" وما رافقها من حروب سياسية بالوكالة.

هنا، أطلق هيكل تنهيدة طويلة، كأنه يزفر منها سلبية ما أصبنا نشاهده على التلفاز، ثم قال: "لا أعرف متى تنتهي مصائب العرب، بسبب غياب مصر عن أداء دورها الطبيعي في الإقليم. السعودية تغرق في مستنقع اليمن. عندما تدخل عبد الناصر كان يساعد حركة تحزّر، وليس لديه حدود مباشرة معها. بس السعودية ليها. مش حتدخل السعودية إلى قلب اليمن، حيكملوا الضرب من الخارج. الأساس غياب دور مصر".

"يعني في خوف على مصر؟"، سألت هيكل. "أجاب: "لا، لا. لا خوف على مصر. داعش لن تتمكن من أن تعيش في مصر. طبيعة مصر وأرضها مختلفتان. داعش لا يمكن أن تنجح في مصر، هناك جماعات إرهابية موازية لداعش، لكن التنظيم عينه لم يصل إلى هنا". أردفت: "وماذا عن الإخوان؟".

التقط هيكل سيجاره، ثم أخذ نفسًا طويلًا منه، وقال: "الإخوان نجحوا على أنهم حركة محلية. أمّا البغدادي وداعش فلا أحد يقبل بهما في مصر، فيما البنا يمكن قبوله. هنا قوة الإخوان. قوتهم أنهم نشأوا على أرض مصر، وأنهم ورثوا التنظيمات الصوفية. وهم معروفون بنفوذهم. كان حسن البنا في الأساس صوفيًا. هو استخدم البنية التحتية للصوفيين. في مكنتي، عندما كنت في جريدة أخبار اليوم، سلّمني البنا بيانه الذي ذكر فيه أن المتطرفين في التنظيم ليسوا من الإخوان وليسوا

وصفًا جديدًا. خطط تغيير، ووزير داخلية يمكس في الحقيقة بملف الإرهاب، ولديه شعبية. علمًا أنه ثمة مقدار محدّد من التغيير الذي يُسمح به. أنا أعرف الملك سلمان جيدًا من أيام القاهرة ولقاءاتنا فيها. وأتذكّر في لقاء معه أنّه كان يرّد بيت شعر: "يا ريم وادي ثقيف، لطيف جسمك لطيف"، وهي الأغنية التي غنتها نجاح سلام، وبدأ هيكل يغني، وأصابع يديه بعضها فوق بعض، ويهزّ كتفيه طرّفًا.

ضحك الجميع مع هيكل. ثم دار حوار جانبي بينه وبين طلال سلمان عن الأغنية المصرية. بعدئذ جاء السيد صبحي يدعونا إلى الغداء: "اتفضلوا يا أفندم، الغداء جاهز".

تحت سقف القرميد الذي يزيّن البيت ذي الطراز المتوسطي، بحزام بلون الفخار، مضعفًا برودة على شمس البحر الأبيض المتوسط، امتدت طاولة الغداء على شكل بوفيه. امتدت المائدة على حافة جدار المنزل المطل على البحر، وقد ضُفّت عليها مأكولات مصرية أصيلة، وتحديداً أكلة الأرز بالخروف، أو الفتة المصرية، التي توسطت الطاولة، وهي أكلة كنت أشتتها في كل زيارة. بالإضافة إلى فاكهة مصر المعروفة، المانجا، تحتضنها فواكه موسمية. كما كان البوفيه مزينًا بزهور معطرة اختارتها السيدة هداية، زوجة هيكل.

أين العالم العربي؟

جلسنا حول الطاولة، والأستاذ هيكل عند رأسها، أمامه البحر، وأنا في الجهة المقابلة. امتد الكلام إلى الطاولة، وغطى كامل الوطن العربي. بدءًا من سوريا، التي كانت تعيش إضرابات وحروبًا بالوكالة وصراعات أممية. كانت سوريا قد أصبحت يومذاك ساحة للعبة الأمم.

قال هيكل وقد جلس ناصر عن يمينه، وسلمان عن يساره: "نحن في مصر، وبالرغم من أننا لا نعترف بذلك، فإننا نستفيد من كل بؤرة مقاومة معطلة للتسوية الشاملة مع إسرائيل، في لحظة ضعف العالم العربي، وتهاوي سياسته، بعكس سوريا، التي لم تكن مركزًا لدعم بؤر المقاومة في المنطقة، بل حاولت أن تستفيد منها".

ثم سألت مصطفى ناصر عن تقسيم سوريا (...)، وأجاب هيكل قائلاً: "إذا تحدثنا عن التقسيم في سوريا، فإننا نتكلم أيضًا على تقسيم في العراق، ولذلك تأثير مباشر في شبه الجزيرة العربية. لا أظنّ أن الأميركيين يريدون ذلك. هم يريدون أن يستبدلوا بالنظام الحالي في دمشق نظامًا يناسب مصالحهم. أما العراق بوضعه الحالي، فهو بالمناسبة اختراع غربي، والقوى الغربية التي أنشأته لم تعد مهتمة بالحفاظ عليه، فتركت مسألة تماسكه لأهله. والکرد مشكلة حقيقية: هم جادّون في مطالبهم بالاستقلال. وبعض النظر عن أحقية هذا المطلب، فإنّ الوضع اليوم يُظهر أن الكرد وضعوا قاعدة للدولة على الأرض، ما يمثّل صعوبة في منع قيام دولتهم. وللحقيقة، فإن للکرد الحق في إقامة دولة لهم تمثل قوميتهم. على العموم، فإذا سمح لهم العرب بإقامة هذه الدولة، فسيقاومها الإيرانيون والأتراك".

تركت مقعدي مقترنًا من مصطفى ناصر، ثم سحبت كرسيًا لأجلس بينهما، وأطرح على هيكل سؤالًا، فلاحظت أنه توقّف عن تناول الطعام، وركّز اهتمامه في المدى البحري وهو ينفث دخان سيجاره. قطعتم تأمله لأسأله: "ماذا يعني لك البحر الأبيض المتوسط؟"

وسألته: "وما رأيك في قيادة الأمير محمد بن سلمان الشاب، والأمير محمد بن نايف، الذي هو شاب أيضًا؟". ابتسم هيكل هذه المرة، وقال: "السعودية تعيش اليوم

هيكل: أميركا فشلت في سياسة الاحتواء. فشلت مع إيران ومع كوبا والعراق، وفشلت أيضًا في فرض صورة تبرّتها من التمييز العنصري والمشاكل الإنسانية

الأوسط في السابق، وتكبّدت فيها خسائر كثيرة بالرغم من حسن نياتها. وبعد خروج مصر من المعادلة الإقليمية، أصبحت روسيا تقف عند بوابة دمشق، عند بوابة الخروج من الشرق الأوسط، أو الدخول إليه، بحسب خطواتها في الصراع. هناك علاقة شك بين روسيا وإيران. وكما أنّ بين أميركا وإيران تناقضًا، فإنّ هناك تناقضًا آخر بين روسيا وإيران أيضًا... انظر إلى التجربة الشيوعية التي تركت موارث ثقافية ما زال تأثيرها قائمًا: لقد نظر ستالين وخروتشوف وغورباتشوف إلى المنطقة بعين ترتكز إلى مقدار قوة روسيا، لا حجم مطالها. الصراع بين روسيا وإيران قديم، وصيغ التعايش بينهما لم تدم طويلًا... الشاه حاول والروس كذلك. الروس اليوم يريدون السلام في محيطهم، وعلى حدودهم، لأنهم بحاجة إلى إعادة بناء في الداخل... روسيا لا تزال بلدًا ينتمي إلى دول العالم الثالث، وهي غنية بالموارد، وتملك ثروة صناعية". وما لبث الحوار أن انتقل إلى سؤال طرحه حسين أيوب، مستفسرًا عما يقصده هيكل بنقاط الارتكاز في وصفه، وعن أبعاد الصراع الروسي الأميركي وبينهما إيران، وتأثيره في منطقتنا (...).

أجاب هيكل، وبسعادة غامرة: "نقاط الارتكاز في المنطقة [وذكرها باللغة الإنكليزية (بفوتز)]، هي تركيا إلى حدّ ما، وإيران إلى حدّ ما، والهند كذلك. أما باكستان والسعودية ومصر، فهي نقاط حضور فقط... العالم العربي اليوم موجود على الخريطة فحسب، ومصر مشغولة، وما من تحالف عربي يستطيع أن يحتل مكانها ويصادر دورها. والسعودية تعيش التغيير. وفي الخليج قوة ترهّلت قبل أن تبلغ تلك الدول شبابها".

وسألته: "وما رأيك في قيادة الأمير محمد بن سلمان الشاب، والأمير محمد بن نايف، الذي هو شاب أيضًا؟". ابتسم هيكل هذه المرة، وقال: "السعودية تعيش اليوم



ولوهلة، تذكّرت أننا لم نتطرق إلى كل المواضيع، فتنطحت قافراً فوق الجميع، متوجّهاً إلى هيكلم: "ماذا عن فلسطين؟ لم نتكلم عليها!".

ابتسم طلال سلمان ومعه هيكلم وقد أدركا أن فلسطين لم تكن حاضرة في حوارنا، ولعلها لم تعد القضية المركزية في منطقتنا. لكنّ هيكلم أجاب: "فلسطين تجسّد تردّي الواقع العربي. وللطرافة، فقد ذهبت مئة مع أحمد بهاء الدين للقاء ياسر عرفات (أبو عمار)، يوم كان في تونس، وكان معنا إدوارد سعيد كونه الخبير في المجتمع الإسرائيلي. طلب أبو عمار منا زيارة محمود عباس (أبو مازن)، فذهبنا إليه. حاول أبو مازن أن يقنعنا وبحماسة مفرطة بأنّ في المجتمع الإسرائيلي تنوعاً، وأنه ليس كتلة صماء، بل إنه يمكن النفاذ من هذه الكتلة، فأصابتنا الدهشة مما سمعنا".

بعدها ساد صمت لعدة ثوان، في إشارة إلى أن الجميع أصبح منهكاً، فقد استمر الحوار لأكثر من ست ساعات (...). توجهت إلى الأستاذ هيكلم: "هل أميركا هي أعظم إمبراطورية في العالم؟".

ومن حيث لا أدري، تحوّل سؤالنا إلى خاتمة غنية للحوار. فانطلق هيكلم مجيباً: "لا، لا، لا. أبداً. إنكلترا أولاً ثم روما ثم أميركا، في النفوذ والاقتصاد. بريطانيا وافق زمنها عصرها، فقد نشأت في وقت مثالي، فترة التجارة والصناعة والبحر. أميركا قوية جداً، لكن هذا كلام ساكت كما يقال. ولكل إمبراطورية نهاية بالسيطرة لا بالنفوذ. وليس بالضرورة أن تبقى بالقواعد والجغرافيا. والإمبراطورية البريطانية باقية باللغة، باقية بقوة اللغة ما دامت اللغة الإنكليزية باقية. الإنكليزية صارت لغة التكنولوجيا، وهذا من حظهم. الوعاء لكل حاجة هو اللغة. ومن حظ الإنكليز أن الثورة التكنولوجية قد منعت سقوطهم، فالإنكليزية هي اللغة المعتمدة في وسائل التواصل والتقنيات والإعلام. قلت لمارغريت تاتشر مئة: أنتم فقدتم إمبراطورية في الجغرافيا، لكنكم وجدتم إمبراطورية في اللغة. فقالت لي: ما أصحّ هذا الكلام!".

في مصر التوجه نحو التعليم المهني، مثل الصناعة والتجارة والسياحة والخدمات. عليك اليوم أن تخلق وظيفتك، فقد استفدنا من الوظائف العامة. لازم نسلم بأن مصر تعاني أزمة في حجمها في مرحلة الانتقال. المشكلة أنك أمام بلد لا يزال يدعي أنه كويس ومش مفلس (...).

كان الحديث يدور حول التناقضات الداخلية التي تزداد في أميركا، وكيف أنّ واشنطن تحاول لملمة انتشارها العالمي. كان الكلام لطلال سلمان، لكنّ هيكلم شرح كيف أن ذلك لن يحدث.

"المصالح لا تسمح لأحد بالانسحاب، وأميركا لم تعد قادرة على الانسحاب. تجارة أميركا ومواردها هي في العالم الخارجي. لا يمكن أن تخرج أميركا من عندك، ومن عند غيرك، إذا لم تكن لديك الإرادة. إيران لديها إرادة واحدة، أما العالم العربي فله إرادات متعدّدة. على مستوى الأفكار والثقافة، فإنّ النموذج الأوروبي العلماني مثلاً، والفرنسي تحديداً، هو الأقدر على التأثير من الأميركي والروسي، لأنه نموذج ثقافي أولاً، واقتصادي ثانياً... إنه البحر الأبيض المتوسط".

استمر الحديث عن النموذج والمشاريع السياسية، لينتقل إلى تركيا، فيصفها هيكلم بأنها المأدبة المتوسطية والأوروبية والأردوغانية، ويؤكد أن أردوغان يعتر عن طبيعته، فطبعه ليس تركياً عثمانياً. ثمّ إن العرب ظلموا الأتراك، لأنهم في تقدير هيكلم أدوا دوراً مهماً في حماية الإسلام وأرض الإسلام بعد انهيار العصر المملوكي.

وأشار هيكلم إلى أنّ محمد علي باشا والي مصر من داخل الإسلام كان فريداً في بابه. ثم وصل به التحليل إلى موقف أميركا ممّا يحدث بخصوص الاتفاق النووي، لافتاً إلى أنهما، يقصد أميركا وإيران، لا يمكن أن تتجاهل أحدهما الأخرى، وأنّ قدرًا من التطبيع جيد، مذكراً ومحذراً من أن هناك قدرًا كبيراً من التناقضات بينهما، ليشيد بالتجربة الكوبية لتحزرها من التبعية لواشنطن.

ماذا عن فلسطين؟

مرّ الحوار أمامنا جميعاً، وبدت آثاره على وجوهنا كلنا.

مسلمين. التأثير بالصوفية واضح، وهو ما جعل حركة الإخوان تتجذّر. مصر لديها عشق حقيقي للدين؛ ولديها يسار حقيقي أيضاً".

سألناه جميعاً: "يعني متى تنتهي هذه الفوضى في العالم العربي؟"، فحدّد ناصر السؤال قائلاً: "كم سنة ينبغي أن نتنظر حتى يصبح لدينا نظام إقليمي؟". أجاب هيكلم: "أوه، نحتاج مش أقل من 12 إلى 15 سنة"، وهو يهز برأسه.

الفرغ العربي

اخترق السيد صبحي الحوار مرة ثانية مقدّمًا الشاهي والقهوة، وهي مشروبات كنا في أمس الحاجة إليها بعد تلك الوليمة الفاخرة، لمتابعة الأستاذ هيكلم الذي استمر في تدفقه بكل سلاسة:

"لقد دخل العالم العربي كله في الفراغ. هناك مشروع وفكرة قد انهارا، ومعهما انهارت قوى إقليمية. وحتى الآن، لم تظهر قوة بديلة أو مشروع أو حتى فكرة بديلة. ولطرح كل ذلك، يجب توافر الصديقة، صدقية القبول، التي لا يملكها أحد اليوم في العالم العربي. الصدقية تائهة، وليس لدى أحد تشخيص حقيقي للمنطقة، ولا لأحوال العالم".

سأل النائب هاشم: "وحركة الدول وزعمائها وعقولهم؟". فأجاب هيكلم: "الدول هي التي تصنع عقول الحكام، لا العكس، لأنّ المجتمعات هي التي تملك التأثير. انظر إلى ألمانيا، لقد كان وضعها أسوأ منا: قُسمت ودُمرت بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن لدى شعبها نواة الإرادة المستقلة. مشكلتنا في العالم العربي أنك لا تجد بين المسؤولين من لديه الإرادة لصنع تاريخه. خذ مثلاً المنطقة الأغنى، الخليج، والمنطقة الأهم مصر، والشام تعاني الحروب، والمغرب العربي غارق في مشاكله، وضجران من المشرق العربي".

سأل حسين أيوب مستفسراً: "وإسرائيل، أتشاركنا المستقبل عينه؟".

ابتسم هيكلم ابتسامته الصفرية المعروفة، موحياً أنه عرف مغزى السؤال، وأجاب: "بص، المرحلة التي يبدأ فيها العدّ التنزلي لإسرائيل هي عندما يكون للعرب خطة، ويكون هناك عالم عربي قوي. اليوم، إسرائيل مهيمنة على المنطقة كلها، وهي لا تتأثر بنا. والأميركي لا يزال يحميها مباشرة. كانت إسرائيل تراهن على صدام أميركي إيراني، لكنها فشلت عند توقيع الاتفاق النووي. هذا حجم تأثير الاتفاق فيها".

مصر مأزومة

خلع طلال سلمان جاكيت بدلته، وأرخى ربطة عنقه التي تدلت حتى لامست المقعد الذي يجلس عليه، بجانب هيكلم، وبصوته المتهدج، ويديه اللتين تعوّضان قليلاً من ضعف صوته، سأل: "ومصر يا أستاذ، مصر العرب إيه مصيرها؟".

التفت هيكلم إلى يمينه حيث يجلس طلال ليجيب: "مصر ماشية، هي تمشي إلى مستقبل ما. في اقتصاد مأزوم وتعبان جداً. والتعليم موجود ومش سيئ كما يقال. أنا أخشى من الأحكام المطلقة. التعليم الخاص موجود، لكنه متوافر لطبقة معينة. علينا

بدايات فكرة التخطيط السياسي والعسكري لثورة الفلسطينية

إميل نعمة خوري

كيف يمكن الإدعاء أن فلسطين قد لعبت دوراً أو شاركت في التأثير على الفكر العسكري العالمي، وهي في حالة التخلف والإحباط الذي تعيش فيه؟ علينا إدّاً نبدأ حيث يجب، أي من البداية.

علينا أن نحاول وضع هذه المسألة في إطار أكثر واقعية، حتى يتسنى لنا فهم الفكرة التي يتم استعراضها. إذ لا يكفي التوقّع في التواضع أو في مُركّب النقص أو الجنوح إلى التفاخر لشرح الأحداث التي جعلت من المسألة الفلسطينية أمراً مركزياً على ساحة الفكر السياسي والعسكري الدولي، خاصة ابتداءً من عام 1969. المطلوب هو فهم الوضع فهماً واضحاً، مبنياً على معرفة مباشرة لما حصل في الحقبة الأولى من الثورة الفلسطينية.

إلا أن ذلك لن يكون ممكناً إذا لم نتذكر العدو، فهو جزء مباشر من مزدوج الصراع في المنطقة. فالثورة الفلسطينية تمزّدت على واقع النكبة (1948)، والنكبة لم تكن ممكنة لو لم يكن العدو على تفوّقه. فما هي حقيقته الفعلية؟ لو كانت الصورة واضحة في ذهن العربي، لما كُنّا محتجنا للبدء من هنا.

في عام 1878، نشر صحفي ألماني مغمور في مدينة برن السويسرية كُراساً من حوالي 35 صفحة عنوانه "انتصار اليهودية على الجرمانية"، يقول فيه (فيما يقول) أن اليهود قد سيطروا على كافة أوجه الحياة في ألمانيا. ويتمى في سياق بحثه يائساً، أن يُنشر كُراسه في أحد الصحف الألمانية إذا "سمح له اليهود" بذلك، أو أن تظهر مُقتطفات منه على صحيفة ما في ألمانيا. ذلك أنّهم سيطروا على الصحافة ولا يظهر شيء فيها دون إذنيهم. في ذلك التاريخ، أي منذ أكثر من 135 سنة، كان في ألمانيا من يقول كلاماً يُردّده العرب اليوم، وهو أن الصهاينة يمنعوننا عن الصحافة والرأي العام، بعد أن سيطروا على وسائل الإعلام. ويُعتبّر كاتب هذا الكُراس اليوم أب "معاداة السامية" (مع أنه لم يستعمل هذا التعبير).

"المستشارون" يقررون!

في ذلك التاريخ، لم يكن ينتظر أحد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأوّل في المدينة السويسرية بازل (1897)،

القرنين، التاسع عشر والعشرين. وتأثيرها السياسي الدولي واضح منذ بدايات القرن الواحد والعشرين. لقد أصبحت إسرائيل، هذا البلد الصغير في مساحته وعدد سكانه، تتصرف مثل الدول الكبرى. وقد نجحت بالسيطرة على جزء مؤثّر من الصحافة في أكثر الدول الصناعية، إضافة إلى قدراتها الإقتصادية والسياسية على الساحة الدولية، والتي لا يناقش قوة تأثيرها أحد. إن هذه المؤسسة السياسية الهائلة هي التي استهدفتها الثورة الفلسطينية، يوم ظهرت ابتداءً من العام 1965. كانت الصهيونية تفترض أن الفلسطينيين قد أخلوا الساحة السياسية نهائياً. إلا أنّهم فوجئوا. وعندما شعروا بالجدية في بعض أوجه نشاطات الثورة، أخذوا يُوجّهون خبراءهم للبحث عن حلول للمسائل الفنية التي أثارها هذه الظاهرة الجديدة.

الأولوية للوحدة أم للعودة؟

بالرغم من أن ظاهرة الثورة الفلسطينية لم تحقق الأهداف المرجوة منها، إلا أنها ساهمت في تغيير الكثير من المفاهيم، ليس فقط في منطقة الصراع، أي في المشرق، إنما أيضاً على الساحة الفكرية الدولية. ونستطيع اليوم، ومع مسافة أكثر من نصف قرن، أن نستعيد بعض أهم هذه الدروس.

كانت تتنازع الشباب الفلسطيني مجموعة من الأفكار، يُمكن إيجازها بالصراع بين فكر الوحدة وفكر النضال الفلسطيني من أجل العودة (أنظر: المقال التاريخي الذي ظهر في مجلة فلسطيننا، ويحمل العنوان: لمن الأفضلية، للوحدة أم للعودة؟). وتحت العناوين خلفيات سياسية كبيرة. فالفكر العسكري الحدودي، بطبيعة تركيبه، فكر استراتيجي كلاسيكي يرنو لتحقيق وحدة الأقطار العربية. وأهم ما في هذا الفكر، التأسيس لاقتصاد قادر على إنتاج ما يكفي من السلاح لمواجهة العدو الصهيوني (في معارك لا تختلف في تصوّر زوّادها عمّا حصل فيما بعد في معركة العبور عام 1973، أي معارك كلاسيكية بالمعنى العسكري للكلمة).

أمّا الفكر الثاني، والذي كان يلقي الرواج في الشارع، فهو فكر حرب العصابات الذي أثبت نجاحه في الجزائر (1959-1964)، والذي كان لا يزال في أوج حدته ويُثبت قدرته على مواجهة أميركا، الدولة الكبرى، في فيتنام. كانت جامعات أوروبا وأميركا تتظاهر انتصاراً لشعب فيتنام. هذا الفكر وهذه الحساسية هي التي كانت

أي بعد واحد وعشرين سنة. ولم تكن آنذاك فكرة هجرة اليهود إلى فلسطين أكثر من حلم ديني. كانت عائلة روتشيلد قد نجحت بدخول مجلس اللوردات منذ فترة طويلة (1847)، وأصبح أحد أعضائها، ولمدة عشرين عامًا، رئيساً لبنك بريطانيا (كما يُسمّى البنك المركزي البريطاني، وذلك بين عامي 1869 و1889). كذلك، فقد ترأس الحكومة البريطانية في نفس الحقبة تقريباً أحد الصهاينة المعروفين، وهو ديزرائيلي (بين عامي 1874 و1880).

يمكننا أن نتقل إلى عام 1919 وإلى مؤتمر فرساي (قرب باريس) على أثر انتهاء الحرب العالمية الأولى، ليراقب فيها التأثير الصهيوني. لم يكن مصير الإمبراطورية العثمانية والشرق الأوسط هما الوحيدان اللذان نوقشا وحُسم أمرهما في هذا المؤتمر. فقد تمّ فيه أيضاً تحديد مصير ألمانيا وإيطاليا، إلى جانب تنظيم أكثر أوضاع الدول الأوروبية كما نعرفها اليوم. كان "الصهاينة" مسيطرين بشكل واضح على قرارات المؤتمر ولجان الصياغة فيه. وعلى سبيل المثال، كان مستشار الرئيس الأميركي ويلسون في باريس الحاخام ستيفن وايز ومعه الصهيوني برنارد باروخ. أمّا رئيس الوزراء البريطاني، فكان مستشاره الرئيسي الصهيوني العراقي الأصل فيل ساسون. أما الرئيس الفرنسي جورج كليمنصو، فكان معاونه الرئيسي وزيراً داخلية جورج مندل، الذي كان قبل ذلك يحمل اسم لويس روتشيلد. وكان المُستشاران ذاتهما، باروخ ووايز، حاضرين أيضاً في المؤتمر، بصفتهم أعضاء في الوفد الصهيوني. وقبل ذلك، في عام 1913، كان المُستشاران قد شاركا أيضاً في تأسيس البنك الفدرالي الأميركي (أي البنك المركزي).

بعد ذلك بأقل من ثلاثة عقود، وبينما كانت فلسطين تخسر ثورتها وكوادرها عام 1939، وفي نفس الحقبة تقريباً (1941)، كانت الصهيونية في أميركا تتنافس على مركز رئاسة المشروع الذي حسم الحرب العالمية الثانية، أي مشروع إنتاج السلاح النووي، والذي حمل اسم مشروع مانهاتن (The Manhattan Project). وقد انتزعت رئاسة المشروع وتمكّنت من تعيين أحد أعضائها (روبرت أوبنهايمر) فيه.

نحن إدّاً أمام حركة دينية سياسية، بدأت مكاسبها تظهر بشكل مُمتنّج ومُتجدّد منذ الحروب النابوليونية. وهي قادرة على التأثير في القرار السياسي الدولي منذ أواسط القرن التاسع عشر على الأقل. وقد شاركت في رسم التحوّلات السياسية العالمية في كل من



ناجي العلي - فلسطين

احترافية) في البلاد العربية وما حملوه من أفكار. كان فكر خزيجي الجامعات العربية أقرب إلى الرومانسية الثورية. فالمعنويات عالية، وهي التي تحمل الأفكار وتُعَدِّبها بنجاحات الثورة الجزائرية والتأييد الدولي العارم لثورة فييتنام. وكانت أفريقيا الجنوبية تدخل ببطء، لكن بنجاح، مرحلة الحصار الدولي لنظام التفرقة العنصرية الذي كان سائدًا فيها. كانت استراتيجية واشنطن تُعطي الإنطباع أنها في حالةٍ دفاعية، فقد كانت تستهدف "احتواء الخطر الشيوعي" وتفادي الوقوع في محظورات "لعبة الدومينو" (أي أن تقع دول العالم الثالث تبعًا تحت التأثير الشيوعي). في الظاهر، وبالذات في ذهن الرافد هذا، أي خزيجي الجامعات العربية من القيادة الفلسطينية، كان العالم كله يتجه نحو التحزب، بمساعدة الإتحاد السوفييتي. لذلك، فإن توجيهات هذا الجزء من القيادة لم تكن تُثير أي تساؤل حول صعوبة المهمة أو خصوصية النضال الفلسطيني. كانت هذه القيادة تُمثل المنحى الطبيعي والخط المقبول والمسار البديهي.

أما فكر خزيجي الجامعات الغربية، فكان أكثر وعيًا لصعوبات النضال الفلسطيني، وكان واعٍ بشكل خاص للفوارق الكبيرة بين ثورات التحرر في العالم وخصوصيات مواجهة العدو الصهيوني. كان أحد

أكثر الأحيان، بالتشاور مع أحدهما. لذلك، فإن الفكر الاستراتيجي التقليدي لم يكن مُستهجَنًا.

الفكر العسكري

يبقى أن نُسجِّل ملاحظة إضافية، وهي التأييد العارم للحركات الفلسطينية من فئة خاصة من الشعب الفلسطيني، وهي مجموعات الطلاب الذين كانوا يدرسون في الخارج، والذين عادوا ليشركوا في الثورة. ذلك أن لهؤلاء الخريجين الجُدد دورٌ مباشر في تقدُّم موضوعنا.

وهدفنا، في هذه الفقرة، هو الإضاءة على التفكير الذي كان سائدًا في الحلقات الفلسطينية التي كانت تشارك في اتخاذ القرار، وليس التاريخ لتلك الحقبة بشكل عام. إذ يتمركز بحثنا على حصر الأفكار الاستراتيجية الرئيسية التي كانت موضع التداول في مراكز القرار الفلسطيني، ومحاولة فهمها.

للبحث في الفكر العسكري، يجب علينا أولًا أن نصف أفكار اللاعبيين الفلسطينيين الرئيسيين. ولهذا التيار الفكري رافدان: (1) أحدهما مؤلف من طلاب عادوا إلى الوطن من جامعاتهم في أوروبا، (2) والآخر هو الفلسطينيون الذين درسوا في جامعات (أو مدارس

سائدة في الشارع الفلسطيني. أما ولاءات الأحزاب الفلسطينية، فكانت موزعة بين ثلاثة تيارات، وهي حزب البعث، حركة القوميين العرب وحركة فتح. أما حركة القوميين العرب، فكانت في وسط دوامة الخلاف على أولوية الوحدة أو العودة، مما أدى إلى انسلاخ الفلسطينيين عن باقي الحركة ليكوّنوا تنظيمًا خاصًا بهم هو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، تنتصر لفكرة حرب العصابات على شاكلة أفكار حركة فتح، التي كانت قد سبقتها لهذا التفضيل.

أما القادة الذين اقتنعوا بأفضلية العمل الودودي، فقد كانوا في أكثريتهم متأثرين بحديث ضباط (تخرّجوا من جامعات عسكرية غربية أو شرقية) يعتنقون كلهم عقيدة الفكر العسكري الكلاسيكي. فالحرب في ذهنهم عملية تحتاج لجيوش، والقوة بحسابهم هي المتساوية أو المتفوقة عددًا على العدو، أكان بالسلاح وكميته ونوعيته، أم كان بكفاءة المقاتلين وأعدادهم. وعلينا أن نثار على التذكير بمواقف البحث والمحيط السياسي الذي كان يحكم هذه الحقبة. ذلك أننا في أشد أيام الحرب الباردة حِدَّة. ولا يمكن للدول الصغيرة أن تتخذ قراراتٍ سياسية رئيسية، خاصة إذا كانت تؤثر على حسابات دولٍ محليةٍ أخرى إلا بعد حساب مواقف القطبين الكبيرين، الإتحاد السوفييتي وأميركا، وفي

مصادر التأثير الفكري هو المعهد الفرنسي للبحوث الإستراتيجية الذي كان يرأسه الجنرال بوفر، وكان يتصل به بعض قيادات فتح المتعلمين في الخارج. وتقع أهمية هذا المركز في أن عددًا من خبرائه قد أمضوا أوقاتًا طويلة في جدل تفصيلي لإمكانيات مواجهة إسرائيل. وقد أثرت بعض هذه الأفكار تأثيراً كبيراً في تسديد العمل السياسي والعسكري الفلسطيني، بالترجيح حتى أواخر عام 1970. إلا أن التأثير لم يكن مقتصرًا على هذا المعهد الفرنسي. فقد شارك عدد من الطلاب الذين تخرجوا من الولايات المتحدة بصياغة مواقف هذا التيار. ولم يكن تأثيرهم بسيطاً.

لقد أصبحت إسرائيل، هذا البلد الصغير في مساحته وعدد سكانه، تتصرف مثل الدول الكبرى وقد نجحت بالسيطرة على جزء مؤثر من الصحافة في أكثر الدول الصناعية، إضافة إلى قدراتها الإقتصادية والسياسية على الساحة الدولية

لا بد من خطتين

لم تستطع هذه الأفكار أن تجد طريقها إلى قيادات الحركتين الفلسطينيتين الرئيسيتين، فتح والجهة الشعبية، بسهولة. فالمجتمع الفلسطيني لم يكن متجانسًا (ولم تحسن أحواله منذ ذلك التاريخ). كانت الفوارق الثقافية كبيرة، ولم يكن بالإمكان عبور الهوة الفكرية بين الفريقين. تلك هي إحدى المسائل التي ما زال يتفادى بحثها الكثير من خبراء القضية الفلسطينية.

وهكذا، اجتمع عدد من الشباب على فكرة التخطيط السياسي والعسكري للثورة، وتجربتها للقيادة الفلسطينية وفرضها فرضًا.

ومن أول الذين اقتنعوا بالآراء الجديدة واعتنقوها في هذه الحقبة المجيدة شهيدًا، لا بد من ذكره، ولو على سبيل إنصافه وتكريمه، وهو الدكتور وديع حداد

(وآخرون ما زالوا أحياء، لن نأتي على أسمائهم). وهكذا، بدأت سلسلة من الاجتماعات، واستتب الرأي فيها على ضرورة المسارعة في وضع خطتين قصيرتي المدى، هدفهما تحريك الثورة ونقلها من وضعها الرومانسي الخفيف التأثير، إلى وضع يحمل وزنًا استراتيجيًا، يمكن أن تتأثر به إسرائيل. كان الحاضرون واعين لضرورة التقدم في هذا التخطيط دون التشاور مع اللجان القيادية. وكان المطلوب، في الحال، هو ابتكار خطة ناجعة فعليّة سريعة المفعول، واسعة التأثير، بانتظار وضع خطط أبعد أفقًا، وأطول مُدَّة، تُعالج إمكانيات المُستقبل النضالي وتؤسس له. نحن هنا مع حلقة فكرية ذات ثقافة أقل ما يُقال فيها أنها ليست متخلّفة. ولهذه الملاحظة أهمية خاصة.

كان المشاركون في هذه القرارات واعين للمسؤوليات المُلقاة على عاتقهم، ومُقدِّرين لصعوبة تنفيذ القرارات التي سوف يتخذونها، خاصة وأنهم يتعاملون مع سُركاء في الثورة، لا يُقدِّرون بنفس القراءّة، الصعوبات الخاصة بالقضية الفلسطينية، وغير واعين لِحجم العدو ونوع المواجهة المقبلة معه.

أما القرار الأول الذي اتخذته هذه الحلقة، فكان سياسيًا. كان متأثرًا بفكرة من أفكار الفيلسوف الأميركي دوي (John Dewey) والذي كان يعتبر الفكر أداة من أدوات الإنسان ونجاحه. كانت هذه فكرة ثورية بالنسبة للمُشاركين. فالفكر مُقدَّس في قناعتهم، وفي تقليدهم العقلاني، أي في التقليد الذي ورثوه من ثقافتهم المشرقية ذات الجذور الغائرة في القدم. والفكر مُقدَّس لأنه يستهدف التوصل إلى الحقيقة. أما أن نُحوِّله إلى أداة، أي أن نقبل بتغييره حسب الحاجة السياسية، فكان هذا نوع من أنواع الصدمة الثقافية التي تقترّب من "الهرطقة". كانت الحاجة للتأقلم مع هذا النمط الفكري إحدى أصعب أوجه مهمة هذا الفريق. وفي مثل هذا الجو المُعمَّق في نقاشاته وأبعاده، تم التوصل إلى إعادة صياغة أهداف الثورة بطريقة مُرشحة للقبول والتنفيذ.

أما القرار الثاني، فكان عسكريًا. وتمّ تحديد هدفه بسقف عال، وهو تحويل الصراع العسكري إلى "مسألة أمنية إسرائيلية بقياسات استراتيجية".

دولة ديموقراطية وخطة عسكرية

وهكذا، وتنفيذا للقرار الأول، فقد تمّ إنشاء فريق لصياغة بيان سياسي فلسطيني، مواصفائه العامة أنه يطالب بما لا تقبل به الصهيونية، وقابل للترويج في الأوساط الغربية، مع إمكانية إقناع الشارع الفلسطيني به. ونتج عن ذلك كتابة كُراس "الدولة الديموقراطية الفلسطينية"، والذي طبع باللغة الإنكليزية قبل أن يُعاد نشرُ ترجمته لاحقًا باللغة العربية.

أما القرار الثاني، فكان تكليف فريق ثانٍ، مهمته ابتكار طريقة، تسمح للثورة بتنفيذ عمليات عسكرية تنقل القضية الفلسطينية من مستوى وخز الإبرة (الذي كانت تقتصر عليها عمليات الثورة) إلى المستوى العسكري الميداني بمفعول إعلامي دولي. وكانت نتيجة ذلك عملية مطار الثورة، ثم تبعها غيرها من العمليات.

حصل كل ذلك في الفترة بين أوائل عام الكارثة 1967

وأواخرها. ولا بدّ من لفت عناية القارئ لمعنى ما تمّ الإتفاق عليه، وخطورته والجرأة التي تم تبنيها فيها. لم يكن أحدٌ قد طرح السؤال عن هدف الثورة. كيف يُمكن أن يكون الهدف غير طرد اليهود من فلسطين؟ كان الشقيري، الذي عينته الجامعة العربية ممثلًا للشعب الفلسطيني، يصرّح جهارًا بهذا الخط، من دون أن يرى أحدٌ في تصريحاته على الساحة العربية مأخذًا. وكذلك، فإنه لم يكن يرى أحدٌ أي تناقض بين هذا المفهوم والقبول بالقرار 242 الذي يعترف بإسرائيل رسميًا. كانت الرومانسية العربية المتعلقة بأهداف سياساتها في حالة مؤسفة من السذاجة والتناقض. ولم تكن هذه التناقضات مُقتصرّة على الإختلاف الفكري بين فريقين. كان المُجمَعُ سريع التصنيف لِمن يخرج

بالرغم من أن ظاهرة الثورة الفلسطينية لم تحقق الأهداف المرجوة منها، إلا أنها ساهمت في تغيير الكثير من المفاهيم، ليس فقط في منطقة الصراع، أي في المشرق، إنما أيضًا على الساحة الفكرية الدولية

عن إجماعه المُتناقض. وليس "للخائن" مكان في هذا المجتمع إلا في السجن أو القبر. لم تكن معركة الدولة الديموقراطية إداة عملية سهلة. ولا كانت القرارات العسكرية أقل خطورة. فالمجهود الفكري والإرادة الصلبة التي ميّزت هذا العمل كانت أمرًا لا يُمكن تبسيطه.

لقد تمّ أيضًا توزيع المهمات بحيث وقعت على فريق حركة فتح إنجاز المهمة الأولى، وعلى الدكتور وديع وفريقه المباشرة بتنفيذ القرار الثاني. واحتاج الفريق الأول إلى حوالي سنة كاملة للتوصل إلى تركيب منظومة فكرية، وهي الدولة الديموقراطية، قادرة على الثبات أمام النقاش على كل المنابر، واحتاج الفريق الثاني إلى سنة إضافية قبل التوصل إلى صياغة خطة عسكرية تؤدّي الهدف المطلوب.

الفنون جنون

زاهي وهبي

مجرد زبون في سوق هائلة تمتد على امتداد المعمورة. حيال هذا الواقع يغدو التبشير بالفن الحقيقي والجداد واجباً وضرورة وجزءاً لا يتجزأ من فعل المقاومة. مقاومة الرداءة والابتذال، التي تعني مقاومة الخراب والتخلف والتطرف بشقيهما: الرجعي والاستهلاكي. لكن تبقى المعضلة الفعلية التي تواجهنا في مجتمعات كمجتمعاتنا حيث الفقر والامية والبطالة مرتفعة المنسوب بما يتجاوز الخطوط الحمراء، هي كيف يستطيع الانتباه الى الفنون من ينم خاوي المعدة لأنه لا يجد قوت يومه، ولا خبزه كفاف يومه؟ كيف يتفاعل مع الفن من لا يقرأ ولا يكتب؟ بل كيف يفهمه المتعلم نفسه اذا لم يكن ذو ثقافة عامة؟ والآن، هنا، ماذا تعني الفنون جميعها لأولئك المهجرين من بيوتهم وأوطانهم؟ أو لمن فقدوا أجرة وأعضاء؟ ودُمرت بيوتهم وأرزاقهم؟ لأولئك الغرقى في البحر أو على شفا الموت طلباً للصفة الأخرى من الأبيض المتوسط؟ كلها أسئلة محقة ومشروعة، لا إجابة شافية عليها بغير السعي لتحقيق نهضة تنموية شاملة تكافح كل تلك الآفات، متى انتهى الفقر واثمت الأمية وانتفت البطالة وسادت العدالة الاجتماعية تراجعت احتمالات الحروب واستعصت بلادنا على مشاريع الفتن والتفتيت والتجزئة. لا مشروع نهضويًا تنمويًا بلا احترام العقل، والفنون من أجمل نتاجات العقل البشري، هي ليست ترفاً ولا كماليات، بل إحدى أبرز الأدوات الممكنة لمكافحة الفقر والامية والبطالة، فالإنسان متى تحلى بالوعي والمعرفة والثقافة ازدادت فرص نجاحه في الحياة، ومتى نجح يغدو أكثر مقدرة على مكافحة تلك الآفات. ولأن الفنون من أهم روافد الوعي والمعرفة، علينا احترامها وتقديرها وتوفير ما استطعنا اليه سبيلاً كي نحصن أرواحنا وعقولنا في مواجهة عالم لا يعرف الرحمة. ليست الفنون جنوناً ولا ترفاً، بل ضرورة من ضرورات العيش والحياة، فما أوحش هذا الكوكب لولا الشعر والموسيقى والغناء وسائر أشكال التعبير الإنساني. نشأنا ونحن نسمع أسلافنا يرددون: "الفنون جنون". اليوم نقول ما أجمل جنون الفنون مقارنة بجنون العصبية القاتلة المدمرة.

والنحت والموسيقى والتمثيل، ولا ينظر إليها بازدراء أو بوصفها رجساً من عمل الشيطان، بل نَعَمًا الهية سُخِّرَت لكي تكون حياتنا أخف وطأة، ولا غرابة البتة في كون الفنون تزدهر مع ازدهار الأمم وعلو كعبها كما حصل في بغداد الرشيد أو أندلس العرب، حينها كانت فنون الشعر والموسيقى والغناء والعمارة في أوجها، ومن ينسى مثلاً قصيدة ابن الرومي في "وحيد" المغنية. ولعل زيارة واحدة إلى إسبانيا والاطلاع على الإرث الإبداعي الذي خلّفه العرب في الأندلس تكفي لإعطائنا لمحة عن أهمية الفنون في البنيان الحضاري للأمم. ونذهب أبعد ذلك، إذ نعتبر الفنون الراقية طريقاً الى معرفة الخالق والتسييح بحمده. فما يصدر من القلب والروح قادر على الوصول إلى القلب والروح، وهنا ربما يكمن الفارق بين العلم والفن. فالأول يتكل اتكالاً عميقاً على العقل، فيما الثاني ينبع أساساً من القلب والروح. طبقاً لا يمكننا الفصل كلياً بين العقل والقلب، أو بين العقل والروح. فالكائن بلا عقل لا يصير إنساناً، وبلا روح لا يصير كائناً أصلاً. ولعل الفن الحقيقي يولد من تلك المنطقة العميقة "المجهولة" التي يتقاطع فيها العقل مع الروح. وبهذا لا يعود مستغرباً مثلاً أن تسمو الموسيقى روحياً بالإنسان، وترتقي به إلى مراتب الوجد والتجلي في علاقته مع خالقه. فالموسيقى الجادة والحقيقية، تظل من أهم الفنون التي ابتدعها الانسان، وفضلًا عن كونها تسمو بالنفوس البشرية وترتقي، تساهم أيضًا في علاج الأمراض النفسية والعصبية نظرًا لمفعولها السحري الجميل النافع. كما بات معلومًا أن ثمة أنواعًا من النباتات تصبح أكثر نموًا وتفتُّحًا حين "تصغي" الى الموسيقى. فما بالك إذًا بالإنسان؟ نعرف أن ما يطغى اليوم على المشهد هي الفنون الاستهلاكية والتجارية التي باتت أكثر شيوعًا وانتشارًا بفعل ثقافة العولمة الاستهلاكية، وبسبب الميديا الحديثة التي سهلت انتشار الغث والسمين على السواء، لكن هذا الواقع يدفعنا إلى التمسك أكثر بضرورة التبشير الدائم بأهمية الثقافة الإنسانية الحقيقية والجادة، ومن ضمنها الفنون التي تخاطب عقل الإنسان وتلامس روحه، ولا تقتصر على مخاطبة غرائزه وعصبياته. ولا نستغرب أن تنحاز الشركات الكبرى والمنتجون المقتردون إلى الفنون السهلة والنأي عن كل ما هو جاد، إذ أن تلك الشركات المُعولمة (كما أسلفنا سابقًا في هذه الصفحة) لا ترى في الكائن البشري إنسانًا بقدر ما تراه

غالبًا ما يواجهنا السؤال حول جدوى الأدب والفن في اللحظات المصيرية من حياة الشعوب والأوطان، وماذا ينفع الناس الكلام عن الشعر والموسيقى والغناء وسواها من أشكال التعبير الإنساني، فيما الطائرات النفاثة تهدر في السماء والمدافع تملأ الأرض دويًا وموتًا وخرابًا.

قد يغيب عن بال السائل أن معظم الفنون العظيمة ولدت في الأزمنة الصعبة ومن رحم المآسي والويلات. ففي الأوقات المذكورة، تسمي حاجة الإنسان إلى التعبير عن نفسه أشد ضرورة وإلحاحًا. ولو راجعنا تاريخ الفن، لوجدنا أن الكثير منه تزامن مع التحولات الكبرى التي عاشتها الشعوب والمجتمعات. وبظل السؤال مطروحًا حتى حين نقول إن الفنون تهذب النفوس البشرية وتساهم في سموها وارتقائها إلى أعلى، إذ نجد من يجيب بأن ثمة فنانيين كانت أعمالهم مصدر "إلهام" لطغاة ووحوش بشرية، كما كان الحال مثلاً مع النازية وزعيمها أدولف هتلر الذي استعان بفنانين ومفكرين للترويج لأفكاره المجنونة. هذا صحيح، لكنه استثناء. القاعدة أن الفن باختلاف تعبيراته وأشكاله له تأثير كبير في تشكيل الوعي النقدي والذائقة السليمة وتكوين حس مرهف ينأى بصاحبه عن العنف والتطرف في المشاعر والأفكار. عفوًا، قد يتطرف عاشق الفن ويصل إلى حافة الجنون، لكنه يتطرف جميل مبدع مختلف عن التطرف القاتل الذي حوّل بلادنا إلى ما يشبه المقبرة الجماعية في حفلة جنون دموية لها أول وليس لها آخر، إذ لن نُكتب نهاية قريبة لما يعصف بنا ما لم يصحو العقل العربي من سباته ويُعلي شأن المعرفة على ما عداها كي نبدأ خطوات أولى في مشوار الألف ميل للخروج من النفق المسطوم الذي يخنقنا ويحجب عنا النور وضوء الشمس. ما لم تشرق شمس العقل أولًا لن نعرف شمس النهوض والتقدم واللاحق بركب الأمم المعاصرة المتحضرة. نأفل القول أيضًا أن الفن عامل مهم من عوامل تكوين شخصية الانسان، ونقصد هنا الفنون الجميلة الراقية لا "الفنون" التجارية الهابطة التي تشوه ذائقة المرء عوض الارتقاء بها. هل أجمل من أن ينشأ الطفل على رؤية لوحة تشكيلية معلقة على جدار غرفته أو على مقطوعة موسيقية ترافقه لحظة نومه واستيقاظه، وأن يكون الكتاب جزءًا أساسيًا من مقتنياته، وأن يعتاد الذهاب إلى السينما والمسرح برفقة ذويه، ويُقدّر فنون الرسم



همام السيد - سوريا - من مجموعة Actual Gallery